الدار العربية للعلوم ناشرون Arab Scientific Publishers, Inc.

رواية التي تتصدر لائحة نيويورك تايمز لأكثر الكتب مبيعاً والتي تحولت إلى فيلم سينمائي مثير من إخراج مارتن سكورسيزي وبطولة ليوناردو دي كابريو

GALAGI ÖJIJAII SHUTTER ISLAND

DENNIS LEHANE

30 550 - 5

الجزيرة المغلقة

Shutter Island

الجزيرة المغلقة

Shutter Island

رواية

تأليف

دينيس ليهان Dennis Lehane

> ترجمة تيا معوض

مراجعة وتحرير مركز التعريب والبرمجة





يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Shutter Island

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

Harper Perennial

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل. Copyright © 2003 by Dennis Lehane

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هـ - 2010 م

ردمك 9-949-87-9953

جميع الحقوق محفوظة للناشر



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 786233 (+961-1)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمسنع نسسخ أو اسستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكاتيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ن

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (196+) الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (196+)

من يوميات الدكتور ليستر شيهان.

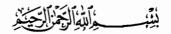
3 مايو، 1993.

لم أرَ الجزيرة منذ أعوام عدة. آخر مرة رأيتها فيها كانت من على متن مركب صديق دخل المرفأ الخارجي، واستطعت رؤيتها من بعيد - وراء الحلقة الداخلية - مغطاة بالضباب الصيفي، أشبه ببقعة ملونة قبالة السماء الزرقاء.

لم تطأها قدماي منذ أكثر من عقدين، لكن إميلي تقول (أحياناً عن طريق المزاح، وأحياناً أخرى لا) إنها ليست أكيدة من أنني غادرتها أصالاً. قالت ذات مرة إن الوقت بالنسبة إلى ليس سوى سلسلة من المؤشرات التي أستخدمها للتنقل جيئة وذهاباً في نص حياتي، والعودة مراراً وتكراراً إلى الأحداث التي تميّزني، في عيون زملائي الأكثر دهاء، مع كل خصائص المكتئب التقليدي.

قد تكون إميلي محقة. إنها محقة في أغلب الأحيان.

سأخسرها قريباً هي الأخرى. إنها مسألة أشهر، حسبما أخبرنا الدكتور أكسلرود يوم الخميس. نصحني بالقيام بتلك الرحلة. تلك التي تتحدث عنها دوماً. إلى فلورنسا، وروما، والبندقية في الربيع. لأنك يا ليستر، أضاف الدكتور، لا تهتم بنفسك جيداً.



يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Shutter Island

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Harper Perennial

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل. Copyright © 2003 by Dennis Lehane

All rights reserved

Arabic Copyright © 2009 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى

1431 هــ - 2010 م

ردمك 9-949-87-9953

جميع الحقوق محفوظة للناشر



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+) ص.ب: 5574- 1102-2050 شور ان – بير وت 2050-1102 – لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسسخ أو اسستعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكاتيكية بما فيه التسجيل المفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيئة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (1961+) الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (1961+)

على أعلى الجدار في أواخر الخريف، أو تناثرت على العشب. في وسط المجمّع، هيناك مبنيان توأمان مغطيان بالقرميد الأحمر على جانبي المستشفى، ومجموعة من الصخور الكبيرة والغرانيت الجميل. في الخلف، هيناك أحراف عالية، ومستنقع كبير، وواد طويل أنشئت فيه مزرعة جماعية، لكنها أقفلت في السنوات التي تلت الثورة الأميركية. إلا أن الأشجار اليتي تميت زراعتها بقيت على حية. وهي أشجار دراق، وإحاص، وتوت، لكنها لم تعد تثمر. تعصف رياح الليل غالباً في ذلك الوادي، وتطلق صرخات عالية مثل القطط.

الحصن، طبعاً، الذي شيّد قبل وصول أول موظفي المستشفى، لا يسزال شامخاً هناك في وجه المنحدر الجنوبي. والمنارة في الخلف، التي أصبحت عتيقة الطراز، وخارج الخدمة قبل الحرب الأهلية بفعل شعاع ضوء بوسطن (بوسطن لايت).

من البحر، لا تبدو المستشفى على حقيقته. عليك تصوّره بالطريقة التي رآه فيها تيدي دانيالز في ذلك الصباح الهادئ في سبتمبر 1954. سهل مع أشجار خفيضة في وسط المرفأ الخارجي. قد تقول إلها بالكاد جزيرة، إذ لا تشبه مفهوم الجزيرة. ما هو غرضها؟ ربما قال ذلك في نفسه.

كانت الجرذان الأكثر وفرة بين الحيوانات. تخربش في الشجيرات، وتسكل خطوطاً بمحاذاة الشاطئ ليلاً، وتتسلق بجهد فوق الصخور السرطبة. بعضها كان بحجم الأسماك المفلطحة. في السنوات التي تلت تلك الأيام الأربعة الغريبة، في أواخر صيف العام 1954، دأبت على دراسة الحرذان الموجودة في الهضبة المطلة على الشاطئ الشمالي. تفاجأت حين اكتشفت أن بعض الجرذان حاولت السباحة إلى جزيرة بادوك، التي هي أكبر قليلاً من صخرة في كومة الرمل تبقى مغمورة بادوك، التي هي أكبر قليلاً من صخرة في كومة الرمل تبقى مغمورة

بالماء اثنتين وعشرين ساعة كل يوم. وحين تظهر الصخرة للعيان خلال تلسك الساعة أو الساعتين فيما ينزل البحر إلى أدني مستوياته، تسبح الجرذان أحياناً إليها، بمعدل اثني عشر حرذاً تقريباً، وتعود دائماً إلى الخلف بفعل المدّ البحري.

أقول دائماً، ولكن لا. رأيت واحداً نجع في الوصول إليها. مرة واحدة، ليلة قمر الحصاد في أكتوبر 56، رأيت حسمه الأسود يندفع بسرعة عبر الرمل.

أو هكذا أظن. تقول إميلي، التي التقيتها في الجزيرة، "ليستر، هذا ليس ممكناً. كنت بعيداً جداً".

إنها محقة.

لكنني أعرف ماذا رأيت، جرذاً بديناً يندفع بسرعة عبر الرمل، رمل رمادي لؤلؤي بدأ يغرق مجدداً في الماء، فيما عاد البحر لابتلاع جزيرة بادوك، وابتلاع ذلك الجرذ، حسبما أفترض، لأنني لم أره أبداً يسبح في طريق العودة.

لكن في تلك اللحظة، فيما راقبته يندفع بسرعة نحو الشاطئ، رأيته - واللعنة على المسافات - فكّرت في تيدي. فكّرت في تيدي والمرحومة زوجته المسكينة، دولوريس شانال، والتوأم المرعب راشايل سولاندو وآندرو لايديز، والفوضى التي سبباها لنا جميعاً. فكّرت في أنه لو كان تيدي حالساً معي، لرأى ذلك الجرذ أيضاً. لا بد من ذلك.

سأقول لك شيئاً آخر:

تيدي...

لكان صفق بيديه.

اليوم الأول

راشایل

كان والد تيدي دانيالز صياداً. خسر مركبه لصالح المصرف عام 1931، حين كان عمر تيدي أحد عشر عاماً، وأمضى بقية حياته في العمل على مراكب أخرى حين يوجد فيها عمل، وفي إفراغ الحمولة على الأرصفة حين لا يوجد عمل في المراكب، والقيام بنزهات طويلة في طريق عودته إلى المنزل عند العاشرة ظهراً، والجلوس على كرسي بنذراعين، والتحديق إلى يديه، والهمس لنفسه بين الحين والآخر، فيما تصبح عيناه كبيرتين ومعتمين.

اصطحب معه تيدي إلى الجزر حين كان تيدي لا يزال صبياً فتياً، صعفيراً جداً لمساعدته في المركب. كل ما استطاع فعله حينها هو فك العقد من الشباك؛ وربط صنارات الصيد. حرح نفسه بضع مرات، ولطخ الدم أطراف أصابعه وراحتي يديه.

كانا يغادران في الظلام، وحين تشرق الشمس مجددًا، كان الهواء البارد يهبّ من شاطئ البحر، وتظهر الجزر للعيان من الغسق المختفي، مجتمعة قرب بعضها، كما لو أنها وقعت في شرك.

رأى تيدي أكواخاً صغيرة باهتة اللون على طول شاطئ إحدى الجزر، ومبنى كلسياً متفتتاً في جزيرة أخرى. أظهر له والده السجن في جزيرة الأيائل، والحصن الكبير في جزيرة جورج. في جزيرة تومبسون، كانت الأشجار العملاقة مليئة بالعصافير، التي صدحت زقها مثل صوت البَرَد على الزجاج. وراء كل هذه الجزر، ثمة

جزيرة يسمونها شاتر تشبه شيئاً مراقاً من سفينة شراعية إسبانية. بالعردة إلى تلك الأيام، في ربيع العام 1928، تُركت هذه الجزيرة وحدها وسط شغب نباتاتها، والحصن الذي كان ممتداً فوق أعلى نقطة فيها بدا ننوقاً بالعرائش ومغطى بسحابات كبيرة من الطحال.

سأل تيدي: "لماذا شاتر؟".

هزّ والده بكتفه. "أنت والأسئلة. دوماً هناك أسئلة".

"نعم، لكن لماذا؟".

"بعض الأماكن تتخذ أسماء تلتصق بها. ربما بسبب القراصنة".

"قراصنة؟". أحب تيدي ذلك. استطاع تخيلهم، رجالاً كباراً مع رقع على العيون، وجزمات عالية، وسيوف لامعة.

قال والده: "كانوا يختبئون هنا في الأيام الغابرة". مسحت ذراعه الأفق. "في هذه الجزر. كانوا يختبئون. ويخبئون ذهبهم".

تخيل تيدي أكواماً منه، والنقود الذهبية متناثرة على الجانبين.

شعر لاحقاً بالغثيان، وتقيأ تكراراً وبقوة سيولاً سوداء فوق حافة مركب والده، وفي البحر.

تفاجاً والده، لأن تيدي لم يبدأ بالتقيؤ إلا بعد ساعات من الرحلة، فيما كان المحيط هادئاً ومسطحاً. قال والده: "لا بأس. إنها المرة الأولى. لا داعى للحجل من أي شيء".

أومأ تيدي برأسه، ومسح فمه بمنديل أعطاه إيّاه والده.

قال والده: "هناك أحياناً حركة في البحر، ولا يمكنك أن تشعر بما إلا حين تتراكم داخلك".

إيماءة أخرى، إذ كان تيدي عاجزاً عن إخبار والده أن حركة البحر ليست هي المسؤولة عن اضطراب معدته.

المسألة تكمن في الماء. لقد كان الماء ممتداً حولهما، وبدا كأنه كل ما بقي من العالم. كيف صدّق تيدي أن البحر قادر على ابتلاع السماء؟!

نظر إلى والده، فيما كانت عينه حمراء وترشح دمعاً، فقال والده: "ستكون بخير". وحاول تيدي الابتسام.

سافر والده على متن مركب لصيد الحيتان في صيف العام 1938 و لم يعد أبداً. في الربيع التالي، تم العثور على بعض من حطام المركب على شاطئ نانتاسكت في هال، حيث ترعرع تيدي. تم العثور على جزء مسن العارضة الرئيسة للمركب، وصحن كبير حُفِر عليه اسم القبطان، وعلب من حساء البندورة والبطاطا، وبعض شباك الكركند الممزقة.

أقاموا جنازة للصيادين الأربعة في دار عبادة القديسة تيريزا، التي تدير ظهرها للبحر نفسه الذي ابتلع العديد من أبنائها. وقف تيدي مع أمه، وسمع شهادات عن القبطان، ومساعده الأول، والصياد الثالث، رجل عجوز اسمه حيل ريستاك أثار الرعب في مشارب هال منذ عودته مسن الحرب العظيمة مع قدم مصابة، والعديد من الصور البشعة في رأسه. لكن عند موته، قال أحد رواد المشرب الذي كان يخافه: "إن الله عفا عما مضى".

صاحب المركب، نيكوس كوستا، اعترف أنه بالكاد عرف والد تسيدي، وأنه وظفه في الدقيقة الأخيرة بعدما كسر أحد عمال الطاقم ساقه نتيجة سقوطه من شاحنة. بالرغم من ذلك، أشاد القبطان به، وقال إن جميع أهل البلدة يعرفون أنه كان عاملاً نشيطاً حداً. أليس هذا أفضل مديح يمكن أن يتلقاه إنسان؟

واقفاً في دار العبادة تلك، تذكر تيدي ذلك اليوم على متن مركب والده، لأنه لم يكرره أبداً. استمر والده في قول إنهما سيعيدان

الكـرّة، لكن تيدي فهم أن والده قال ذلك فقط كي يحافظ ابنه على بعـض الكبرياء. لم يعترف والده أبداً بما حصل في ذلك اليوم، لكنهما تـبادلا نظـرة في طريق عودهما إلى المنـزل، مروراً بسلسلة الجزر، وجزيرة شاتر خلفهما، فيما جزيرة تومبسون لا تزال أمامهما، وكانت سمـاء المدينة صافية جداً وقريبة جداً، بحيث يخال المرء إنه يستطيع رفع مبنى بقمته المستدقة.

قــال والــده وهو يفرك بيده ظهر تيدي: "إنه البحر". فيما كانا منحنــين فوق الجزء الخلفي من السفينة. "يتغلب عليه بعض الرحال. ويتغلب هو على بعض الرحال".

ثم نظر إلى تيدي بطريقة عرف تيدي أي نوع من الرجال سيكون هو على الأرجح.

للوصول إلى هناك عام 1954، أخذا المركب من المدينة، وعبرا محموعة من الجزر الأخرى الصغيرة المنسية؛ تومبسون وسبكتاكل، غرايب وبامبكين، راينفورد ولونغ، تلك الجزر الممتدة في البحر على شكل مجموعات من الرمل والأشجار والأشكال الصخرية البيضاء مثل العظام. باستثناء الرحلات الثابتة يومي الثلاثاء والسبت، كان المركب يقوم برحلات غير منتظمة، وكان داخله فارغاً من كل شيء باستثناء رقاقة معدنية تغطي أرضه، ومقعدين فولاذيين ممتدين تحت النوافذ. كان المقعدان مثبتين بالأرض ومثبتين بعمودين أسودين غليظين عند الطرفين، مع أغلال وسلاسل معلقة في كومات ملتوية فوق العمودين.

إلا أن المركب لم يكن ينقل مرضى إلى المصحّ اليوم، وإنما فقط تسيدي وشريكه الجديد، تشاك أول، وبضعة أكياس من البريد، وبعض علب الموارد الطبية.

بدأ تيدي الرحلة حاثياً على ركبتيه أمام المرحاض، يتقيأ بشدة، فيما محرك المركب يطقطق ويصدر أصواتاً، وامتلأ أنف تيدي بالروائح السزيتية للغازولين وللبحر في نهاية فصل الصيف. لم يستطع تقيؤ أي شيء باستثناء دفق صغير من الماء، إلا أن حنجرته بقيت تنكمش ومعدته تنقبض على قاعدة المريء، والهواء أمام وجهه مليء بذرّات الغبار التي ومضت مثل العيون.

تلا التقيؤ الأخير دفق من الأوكسيجين الذي بدا وكأنه يحمل معه حرزءاً من صدره، فيما انفجر خارج فمه، جلس تيدي على الأرض المعدنية، ومسح وجهه بمنديله، وفكّر في ألها ليست الطريقة التي أراد بدء فيها شراكة جديدة مع زميله.

تخييل تشاك وهو يخبر زوجته عند عودته إلى المنزل - إذا كان لديه زوجه؛ لا يعرف تيدي الكثير عنه بعد - عن لقائه الأول مع الأسطوري تيدي دانيالز. "استلطفني الرجل كثيراً، يا عزيزتي، لدرجة أنه تقبأ".

منذ تلك الرحلة، حين كان ولداً صغيراً، لم يستمتع تيدي أبداً بوجوده في الماء، ولم يستمتع أبداً بمناظر اليابسة من البحر، والأشياء السيّ يمكن الستمدد إليها ولمسها من دون أن تحتك بها يداك. تقول لنفسك إنه لا مشكلة في ذلك، لأن هذا ما يجدر بك فعله لعبور الماء. لكن في الحقيقة توجد مشكلة. حتى في الحرب، لم يخف من الهجمات العنيفة على الشواطئ، بقدر ما كان يخاف من تلك الياردات القليلة، الفاصلة بين المراكب والشاطئ، فيما الأرجل تغرز في أعماق المياه، وتدخل كائنات غريبة إلى جزمتك.

لا يزال يفضل أن يكون خارجاً على المنصة، في وجه الهواء النقي، بدلاً من العودة إلى هنا، مترنحاً ومريضاً. حين تأكد من أنه انتهى من التقيؤ، وتوقفت معدته عن البقبقة، ورأسه عن الدوران، غسل يديه ووجهه، وتحقق من مظهره في مرآة صغيرة معلقة معلقة فوق المغسلة، علماً أن معظم الطلاء تآكل بفعل ملح البحر، وبقيت فقط سحابة صغيرة في الوسط، استطاع تيدي من خلالها أن يرى صورته، صورة رجل شاب، نسبياً، مع قصة شعر عسكرية قصيرة. إلا أن وجهه كان محفوراً بأدلة الحرب والسنوات التي مرّت منذ ذلك الحين، وميله إلى سحر المطاردة والعنف الكامن في عينيه والذي أسمته دولوريس ذات يوم الجندي الكئيب.

قال تيدي لنفسه: "لا أزال شاباً جداً، حتى أبدو هذه القساوة".

عدّل حزامه حول خصره بحيث اتكأ المسدس وقرابه فوق وركه. أخد قبعته من على رف المغسلة، ووضعها على رأسه، وعدّل حافتها بحيث باتت مائلة قليلاً إلى اليمين. شدّ ربطة عنقه. إنها واحدة من ربطات العنق المزينة بالأزهار التي باتت خارج الموضة، منذ أكثر من عام، لكنه لا يزال يضعها لأنها أهدته إياها، ومررتما أمام عينيه يوم ذكرى ميلاده، فيما كان حالساً في غرفة الجلوس. ضغطت بشفتيها على تفاحة آدم. وضعت يدها الدافئة على جانب وجنته. فاحت رائحة السبرتقال من لسانها. حلست في حضنه، وفكت ربطة عنقه، وأبقى تيدي عينيه مغمضتين. فقط لشمها، لتخيلها، لتصورها في عقله والإمساك بما هناك.

لا يـزال في وسعه فعل ذلك، إغماض عينيه ورؤيتها. لكن، في الآونة الأخيرة، بدأت لطخات بيضاء تشوش أجزاء منها؛ شحمة أذها، أهداها، محيط شعرها. لم يحصل أن اختفى شكلها كله بعد، لكن تيدي خاف من الوقت الذي بدأ يسرقها منه، ويسحق أطر الصورة في رأسه. قال: "اشتقت إليك". وخرج إلى منصة المركب.

كان الطقس دافئاً وصافياً في الخارج، لكن مياه البحر مليئة بخيوط صدأ داكنة وشحوب رمادي إجمالي، ما يوحي أن شيئاً ما يتراكم في الأعماق.

ارتشف تشاك القليل من قنينته، وأمال عنقه باتجاه تيدي، وقطّب أحــد حاجبــيه. هزّ تيدي رأسه، وأعاد تشاك القنينة إلى جيب بذلته، وشدّ معطفه حول وركيه، ونظر إلى البحر.

سأل تشاك: "هل أنت بخير؟ تبدو شاحباً".

هزّ تيدي كتفيه. "أنا بخير".

"هل أنت متأكد؟".

أومأ تيدي برأسه. "أصبت فقط بدوار البحر".

وقف صامتين لبعض الوقت، فيما البحر يتموج حولهما، مع تيارات داكنة وحريرية مثل المخمل.

قال تيدي: "هل تعرف أنها كانت معتقلاً لأسرى الحرب؟".

قال تشاك: "الجزيرة؟".

أومأ تيدي برأسه. "أيام الحرب الأهلية. شيدوا حصناً هناك، ثكنة عسكرية".

"وماذا يفعلون الآن بالحصن؟".

هزّ تيدي كتفه. "لا أعرف. هناك بعض الحصون في عدد من الجزر. كانت معظمها أهدافاً لقنابل المدفعية خلال الحرب. لم يبقَ منها الكثير". "لكن... المؤسسة؟".

"حسبما أعرف، إلهم يستخدمون مقرّ الجيش القديم".

قال تشاك: "يبدو وكأننا نعود إلى الأساس، أليس كذلك؟".

استدار تيدي على الدرابزين: "لا تتمنَ ذلك لنا، ما هي قصتك هناك، تشاك؟".

ابتسم تشاك. كان أكثر بدانة من تيدي وأقصر منه، فيما رأسه مغطى بشعر أسود مجعد، مع بشرة زيتونية، ويدين نحيلتين ودقيقتين بسدتا غير متناسقتين مع شكله، كما لو أنه استعارهما إلى أن تعود يداه الأصليتان من المحل. كشفت وجنته اليسرى عن ندبة صغيرة، ربّت عليها بسبابته.

"أبدأ دوماً من الندبة. يسألني عنها الأشخاص عاجلاً أم آجلاً". "حسناً".

قال تشاك: "ليست من الحرب. تقول صديقتي إنه يجدر بي القول إلها من الحرب، وأنتهي من الشرح، لكن...". هزّ كتفه. "إلها من الحرب. حين كنت ولداً. كنت وذلك الولد الصغير نرمي الحجارة على بعضنا بعضاً في الغابة. لم يصبني حجر صديقي، فبقيت على ما يرام، أليس كذلك؟". هزّ رأسه. "ارتطم الحجر بشجرة، وأرسل قطعة من اللحاء إلى وجنتي. هكذا ولدت الندبة".

"من لعبة الحرب".

"نعم، من لعبة الحرب".

"انتقلت من أوريغون".

"سياتل. جئت الأسبوع الماضي".

انتظر تيدي قليلاً، لكن تشاك لم يقدم أي شرح إضافي.

قال تيدي: "كم مضى من الوقت على وجودك مع فرقة المارشالات؟".

"أربعة أعوام".

"تعرف إذاً، كم هي صغيرة".

"طبعاً. تريد أن تعرف لماذا تم نقلي". أوما تشاك برأسه، كما لو أنه يقرر شيئاً في نفسه. "إذا قلت إنني سئمت من المطر؟". برم تيدي راحتي يديه فوق الدرابزين. "إذا قلت ذلك...".

"لكن الفرقة صغيرة، مثلما قلت. يعرف الجميع بعضهم بعضاً. لذا، سيكون هناك في النهاية - ماذا يقولون - إشاعة؟!".

"هذا وصف صحيح".

"ألقيت القبض على بريك، صحيح؟".

أومأ تيدي برأسه.

"كيف عرفت إلى أين ذهب؟ طارده خمسون رجلاً، وذهبوا جميعاً إلى كليفلاند. أما أنت فذهبت إلى ماين".

"أمضى فصل الصيف هناك ذات مرة مع عائلته حين كان صغيراً. ذلك الشيء الذي فعله مع ضحاياه. إنه ما تفعله مع الأحصنة. تحدثت إلى عمـة أخـبرتني أن المرة الوحيدة التي كان فيها سعيداً كانت عند وجوده في مزرعة أحصنة، قرب منـزله المستأجر في ماين. لذا، ذهبت إلى هناك".

قال تشاك: "أطلقت النار عليه خمس مرات". ونظر إلى زبد الأمواج في البحر.

قال تيدي: "كنت مستعداً لإطلاق خمس طلقات إضافية، لكنه احتاج إلى خمس طلقات فقط".

أوماً تاشاك برأسه، وبصق فوق الدرابزين. "صديقتي يابانية. حسناً، ولدت هنا، لكنك تعرف... ترعرعت في مخيم. لا يزال يوجد الكثير من التوتر هناك؛ بورتلاند، سياتل، تاكوما. لا يحب أحد وجودي معها".

"لذا، تم نقلك".

أوماً تاشاك برأسه، وبصق مجدداً، وشاهد البصقة تسقط في الرغوة الزبدية.

قال: "يقولون إنها ستكون كبيرة".

رفع تيدي مرفقيه عن الدرابزين ومددهما. كان وجهه رطباً، وشفتاه مالحتين. غريب كيف استطاع البحر الوصول إليه، فيما لا يذكر ارتطام الرذاذ بوجهه.

ربّت على حيبي معطفه، بحثاً عن علبة سجائر تشسترفيلد. "من هم الذين سيقولون، ومن هي الكبيرة؟".

قال تاشاك: "هم. أصحاب الجرائد، العاصفة. عاصفة كبيرة حسبما قالوا. عملاقة". لوّح بذراعه إلى السماء الشاحبة، الشاحبة مثل السرغوة المرتطمة بالسفينة. لكن هناك، بمحاذاة الحافة الجنوبية، ثمة خطرفيع من كرات القطن الأرجوانية بدأ يكبر مثل بقع الحبر.

شمّ تيدي الهواء. "لا تزال تتذكر الحرب، أليس كذلك تشاك؟".

ابتــسم تــشاك بطريقة جعلت تيدي يشك في أنهما بدأا يفهمان بعضاً، ويتعلمان كيف يستفزان بعضهما بعضاً.

قــال تــشاك: "قلــيلاً، أذكر الركام، الكثير من الركام. ينبش الأشــخاص في الــركام؛ لكــنني أقول إنه مهم. أقول إنه يملك جماله الخاص. المسألة تعود إلى وجهة نظر الشخص".

"تتحدث مثل رواية رخيصة. هل أخبرك بذلك أحد آخر؟".

"الأمر قيد البحث". وجه تشاك إلى البحر ابتسامة أخرى من ابتساماته الصغيرة، وتمطط فوق الجزء الخلفي من السفينة، ممدداً ظهره.

ربّـــت تـــيدي على جيبـــي سرواله، وفتّش في الجيوب الداخلية لـــسترة بذلته. "تذكر كيف كانت عمليات نشر الجنود ترتبط، غالباً، بتقارير الأحوال الجوية".

فرك تشاك ذقنه بكعب يده. "أوه، نعم، أذكر".

"وهـل تذكـر كـم مـرة كانت تقارير الأحوال الجوية تلك صحيحة؟".

قطّـب تشاك حاجبيه، وهو يرغب في إعلام تيدي أنه يولي أهمية كبيرة لذلك. ثم زمّ شفتيه وقال: "في ثلاثين بالمئة من الأوقات، حسبما أظن".

"في أفضل الأحوال".

أومأ تشاك برأسه. "في أفضل الأحوال".

"وهكذا الآن، بالعودة إلى العالم كما نحن...".

قال تشاك: "أوه لقد عدنا، ويمكن القول، بطريقة خفية".

قمـع تيدي ضحكته، وأصبح يستلطف هذا الرجل كثيراً الآن. بطريقة خفية. يا الله!

قال تيدي: "بطريقة خفية، لماذا تصدق الآن التقارير الجوية أكثر مما كنت تفعل حينها؟".

"حــسناً"، قــال تشاك، فيما ظهر رأس مثلث صغير فوق خط الأفــق: "لست واثقاً من أنه يمكن قياس درجة تصديقي بطريقة كمية. هل تريد سيجارة؟".

توقف تيدي وسط حولة ثانية من البحث في الجيوب، ووجد أن تشاك يراقبه، فيما ابتسامته الساخرة ممتدة إلى وجنتيه، مباشرة تحت الندبة. قال تيدي: "كانت معى حين أبحرنا".

نظر تشاك إلى ما فوق كتفه. "موظفو الحكومة. يسرقونك على غفلة". رجّ تشاك سيجارة من علبة سجائر لاكي خاصته، وأعطاها إلى تريدي، وأشعلها له بقداحة زيبو النحاسية، فيما ارتفع لهب الكيروزين فسوق الهواء المالح، وعثر على الجهة الخلفية لحنجرة تيدي. أغلق تشاك القداحة، ثم فتحها مجدداً، بفتلة معصم، وأشعل سيجارة لنفسه.

زفر تيدي سحابة دخان، واختفى رأس مثلث الجزيرة للحظة، وسط سحابة الدخان.

قال تاك الوراء البحار، حين يأمرك تقرير الأحوال الجوية بالنفاب إلى مكان الإنزال، مع عدّة المظلة، أو التوجه إلى رأس الشاطئ، حسناً، يكون الأمر أكثر خطورة، أليس كذلك؟".

"صحيح".

"لكن، بالعودة إلى المنزل، أين هي المشكلة في القليل من الاعتقاد العشوائي. هذا كل ما أريد قوله، سيدي".

بــدأ رأس المثلث يكشف عن نفسه أكثر أمامهما، وامتلأت الأقسام الــسفلية تدريجياً إلى أن تسطّح البحر مجدداً على الجهة الأخرى منه، بحيث اســتطاعا رؤيــة الألوان تتبلور، كما لو ألها مرسومة بريشة فنان. أخضر متنوع حيث كبرت النباتات على هواها، وخط أسمر على طول الشاطئ، ووجــه محمر لجرف صخري في الطرف الشمالي. وفي الأعلى، فيما اقتربا أكثر، بدأا يلاحظان الحواف المسطحة، المستطيلة للمباني نفسها.

قال تشاك: "هذا مثير للشفقة".

"ما هو؟".

"غمن التقدم". وضع قدماً واحدة على حبل القطر، وانحنى على الدرابزين قرب تيدي. "مع التطورات – ولا تزال هناك تطورات، لا تخدع نفسك، تطورات كل يوم – في مجال الصحة العقلية، سيزول هذا المكان عن الوجود. سيقولون عنه بعد عشرين سنة إنه مكان بربري. حصيلة تعيسة للتأثير الفيكتوري القديم. وسيقولون إنه يجب التخلص منه بالدمج. سيقولون الدمج سيد الموقف. أهلاً بكم جميعاً في عملية المدمج. سنهتم بكم. نعيد تنظيمكم. جميعنا مارشلات. نحن مجتمع حديد، ولا مكان للاستثناء. لا استثناءات".

اخـــتفت المـــباني مجدداً وراء الأشجار، لكن تيدي استطاع رؤية الشكل المشوش لبرج مخروطي، ومن ثم زوايا حادة افترض أنها الحصن القديم.

"لكن، هل نخسر ماضينا لضمان مستقبلنا؟". رمى تشاك سيجارته في الرغوة الزبدية. "هذا هو السؤال. ماذا تخسر حين تمسح الأرض، تيدي؟ الغبار. الأوساخ التي كانت ستجلب النمل. لكن ماذا عن قرط الأذن الذي وضعته في غير مكانه؟ هل أصبح الآن في القمامة هو الآخر؟".

قال تيدي: "من هي؟ من أين أتت تشاك؟". "هناك دوماً هي. أليس كذلك؟".

سمع تيدي هدير المحرك يتبدّل خلفهما، وأحس بالمركب يتمايل قليلاً، واستطاع رؤية الحصن بشكل أوضح الآن فوق الجرف الجنوبي، فسيما اقتربا من القسم الغربي للجزيرة. لقد اختفت المدافع، لكن تيدي استطاع تمييز أبراج الهجوم بسهولة. تحولت الأرض إلى هضاب وراء الحصن، وتصوّر تيدي أن الأسوار موجودة هناك، مشوشة وسط المشهد الطبيعي من زاويته الحالية، ثم رأى مستشفى آشكليف في مكان ما وراء الأجراف العالية، يطلّ على الشاطئ الغربي.

قال تشاك: "هل لديك فتاة في حياتك تيدي؟ هل أنت متزوج؟". "كنت". قال تيدي وهو يتصوّر دولوريس، والنظرة التي وجهتها إلى دات مرة خلال شهر العسل، وهي تدير رأسها، ويكاد ذقنها يلامــس كتفها العارية، والعضلات تتحرك تحت اللحم قرب عمودها الفقري. "لقد ماتت".

ابـــتعد تشاك عن الدرابزين، وأصبح عنقه وردي اللون. "أوه، يا الله!".

قال تيدي: "لا بأس".

"لا، لا". وضع تشاك راحة يده على صدر تيدي. "إنه... سمعت ذلك. لا أعرف كيف نسيت. قبل عامين، أليس كذلك؟".

أومأ تيدي برأسه.

"يا الله! تيدي، أشعر أنني غبيي. فعلاً. أنا آسف جداً".

رآها تيدي مجدداً، وهي تدير له ظهرها، فيما تمشي في ممر الشقة، وتسرتدي واحدة من قمصان بذلاته القديمة، وتدندن، فيما هي داخلة المطبخ، وشعر بالحزن الاعتيادي يسري في عظامه. يفضل فعل أي شيء - حتى السباحة في هذا الماء - بدلاً من الحديث عن دولوريس، عسن حقائق وجودها على هذه الأرض لواحد وثلاثين عاماً، ومن ثم موتما. هكذا. كانت لا تزال هناك حين غادر إلى العمل ذلك الصباح. لكنها ماتت بعد الظهر.

لكنه افترض أن الأمر مماثل لندبة تشاك، القصة التي يجب إخبارها قبل المضي قدماً، وإلا ستكون المسألة عالقة دوماً بينهما. كيف؟ أين؟ ولماذا؟

ماتت دولوريس قبل عامين، لكنها تعود إلى الحياة ليلاً في أحلامه، ويمضي أحياناً دقائق كاملة في صباح جديد، وهو يفكر في كيف كانت تخرج من المطبخ، أو تشرب قهوتما على المصطبة الأمامية لشقتهما في باتونوود. صحيح ألها حدعة عقلية قاسية، لكن تيدي تقبل منطقها منذ زمن بعيد؛ فالاستيقاظ، في النهاية، هو حالة فطرية. تستيقظ من دون تاريخ، ثم تبدأ بطرق عينيك والتثاؤب بطريقة تشبه ماضيك، وتخلط الأشياء المبعثرة بتسلسل زمني قبل تعزيز نفسك للحاضر.

الأكثر قـساوة هي الطرائق التي يمكن للائحة غير منطقية من الأشـياء أن تحفر ذكريات زوجته القابعة في دماغه مثل عود ثقاب

مستعل. لا يستطيع أبداً أن يتوقع ما هو الشيء الذي قد يحفز الذكريات؛ مرشة ملح، مشية امرأة غريبة في شارع مزدحم، قنينة كوكا كولا، لطخة أحمر شفاه على زجاج، وسادة ناعمة...

لكن، بين كل هذه الأشياء، ما من شيء غير منطقي لناحية النسسيج السضام، أو أكثر إيلاماً لناحية التأثير، من الماء؛ الجاري من السصنبور، أو المنهمر من السماء، النازل على الرصيف، أو كما هي الحال الآن، المنتشر حوله لأميال عدة في كل اتجاه.

قال لتشاك: "اندلع حريق في مبنى شقتنا. كنت في العمل. مات أربعة أشخاص. كانت واحدة منهم. الدخان هو الذي قتلها، تشاك، وليس النار. لذا، لم تمت متألمة. ربما ماتت خائفة. ولكن ليس متألمة. هذا هو المهم".

ارتشف تشاك القليل من قنينته، وعرضها على تيدي محدداً.

هــز تيدي رأسه. "توقفت عن الشرب. بعد الحريق. كانت تقلق بــشأن ذلك، هل تعرف؟ كانت تقول إننا نحن الجنود ورجال الشرطة نــشرب الكــثير من الشراب. لذا...". أحس بتشاك قربه، يغرق في الإحــراج، وقــال: "تعرف كيف تتقبل شيئاً كهذا، تشاك. لا تملك خياراً. مثل كل اللعنات التي رأيناها في الحرب. هل تذكر؟".

أومأ تشاك برأسه، وصغرت عيناه مع الذكريات للحظة.

قال تيدي بهدوء: "هذا ما تفعله".

قال تشاك في النهاية: "طبعاً". فيما لا يزال وجهه متورداً.

ظهر الرصيف، كما لو أنه ظهر بفعل حيلة ضوئية، متمدداً على الرمل، مثل قطعة علكة من هذه المسافة، وهمية ورمادية.

شــعر تيدي أنه مصاب بالجفاف منذ خروجه من الحمام، وربما بالقلــيل من الإرهاق في الدقيقتين الأخيرتين، مهما تعلم تقبل المسألة،

تقبل غياها، لا يزال ثقل المصيبة ينهكه بين الحين والآخر. ثمة ألم كليل استقر في الجهة اليسري من رأسه، مباشرة خلف عينه، كما لو أنه يتم الضغط بالجهة الخلفية لملعقة قديمة. لا يزال الوقت باكراً جداً لمعرفة إذا، كان هذا مجرد تأثير جانبي بسيط للنشفان، أو بداية صداع عادي، أو تلميحاً أولياً لشيء أسوأ؛ صداع الشقيقة الذي طارده منذ أيام المراهقة، والذي يعود في أوقات مختلفة بقوة كبيرة، بحيث يسلبه النظر مؤقــتاً في عــين واحدة، ويحوّل الضوء إلى عاصفة هوجاء من المسامير الساخنة، وجعله مرة - مرة واحدة فقط لحسن الحظ - مشلولاً جزئياً ليوم ونصف اليوم. صداع الشقيقة، أو صداعه هو على الأقل، لا يزوره أبـــداً خلال أوقات الضغط أو العمل، وإنما بعد ذلك، حين يهدأ كل شيء، بعدما تتوقف كل القذائف عن السقوط، بعدما تنتهي المطاردة. بعد ذلك، في المحيم أو الثكنة، أو منذ الحرب، في غرف الفنادق أو في أثناء العودة إلى المنزل، على الطرقات السريعة، يأتي صداع الشقيقة ليفعل أسوأ أفعاله. الحيلة التي تعلمها تيدي منذ زمن بعيد، تقضى بإبقاء نفسسه مشغولاً ومركزاً. لا يستطيع صداع الشقيقة اللحاق بك إذا لم تتوقف عن الركض.

قال لتشاك: "هل سمعت الكثير عن هذا المكان؟".

"إنه مستشفى للأمراض العقلية، هذا كل ما أعرفه".

قال تيدي: "للمجانين المجرمين".

أجاب تشاك: "حسناً، ما كنا سنأتي إلى هنا لو لم يكن كذلك".

رآه تـــيدي وهو يبتسم تلك الابتسامة الخجولة مجدداً. "لا تعرف أبداً تشاك. لا تبدو لي عاقلاً مئة في المئة".

"قـــد أحجز ربما سريراً لي في أثناء وجودنا هنا، للمستقبل، بحيث أتأكد من أنهم حجزوا مكاناً لي".

قال تيدي، فيما توقفت المحركات عن العمل للحظات: "ليست فكرة سيئة". وتمايل المركب مع حركة التيار، ثم عادت المحركات للعمل بحدداً، وأصبح تيدي وتشاك أمام البحر المفتوح، فيما تراجع المركب إلى الخلف، في اتجاه الرصيف.

قال تيدي: "حسسما أعلم، إلهم متخصصون في المقاربات الجذرية".

قال تشاك: "الحمراء؟".

أجاب تيدي: "ليس الحمراء. الجذرية فقط. ثمة فرق بين الاثنين". "لا يمكنك معرفة ذلك مؤ حراً".

وافقه تيدي الرأي: "صحيح، لا يمكنك ذلك أحياناً".

"وهذه المرأة هربت، ممن؟".

قال تيدي: "لا أعرف الكثير عن ذلك. هربت الليلة الماضية. دوّنت اسمها في دفتري. أتصوّر ألهم سيخبروننا بكل شيء آخر".

نظر تشاك إلى الماء حوله قائلاً: "إلى أين ستذهب؟ هل ستسبح للعودة إلى ديارها؟".

هز تيدي كتفه قائلاً: "المرضى هنا يعانون – على ما يبدو – من مجموعة منوعة من الأوهام".

"انفصام في الشخصية؟".

"نعم، حسبما أظن. لن تعثر هنا على المعاقين الاعتياديين على كل حال. أو على رجل يخاف من تشققات الرصيف، أو ينام كثيراً. حسبما أعرف من الملف، الجميع هنا مجانين فعلاً".

قــال تشاك: "لكن ما عدد الأشخاص الذين يتظاهرون بذلك؟ لطالمــا فكرت في ذلك. هل تذكر فرقة الثمانية التي التقيتها في الحرب؟ كم كان فعلاً عدد الجحانين برأيك؟". "خدمتُ مع رجل في أردين...".

"كنتَ هناك؟".

أومـــأ تيدي برأسه. "ذاك الرجل، استيقظ ذات يوم وهو يتكلم بالمقلوب".

"الكلمات أو العبارات؟".

قال تيدي: "العبارات. كان يقول: الرقيب حضرة اليوم هنا الدم مسن الكثير يوجد. لكن في أواخر بعد الظهر، عثرنا عليه في حفرة، يضرب رأسه بصخرة. يضربه فقط. مراراً وتكراراً. كنا مذهولين جداً، لدرجة أننا احتجنا إلى دقيقة لإدراك أنه جرح عينيه".

"أنت تكذب على".

هـز تـيدي رأسه. "سمعت من رجل، بعد سنوات، أنه صادف الـرجل الأعمـى في مستشفى بيطري في سان ديبغو. لا يزال يتكلم بالمقلـوب، وأصـيب بـنوع من الشلل، لم يستطع أحد من الأطباء تـشخيص سـببه، وكان يجلس على كرسي نقّال قرب النافذة طوال الـيوم، يتحدث باستمرار عن محاصيله، وأنه عليه العودة إلى محاصيله. تبين أن الرجل ترعرع في بروكلين".

"حـــسناً، رجل من بروكلين يظن أنه مزارع، أعتقد أنه من قسم الجحانين".

"هذا أمر مؤكد".

الـــتقاهما نائب آمر السحن واردن ماكفرسون عند رصيف المرفأ. كان شاباً بالنسبة إلى رجل في منصبه، وكان شعره الأشقر أطول قليلاً من المألوف، وكشف عن لباقة طفيفة في حركاته، بحيث ربطها تيدي بأهل تكساس، أو بالرجال الذين ترعرعوا حول الأحصنة.

كان محاطاً بالجنود، معظمهم من العبيد مع بعض الرجال البيض ذوي الوجوه المفتقدة إلى الحيوية، كما لو أنه لم يتم إطعامهم كفاية، حين كانوا أطفالاً، وبقوا مذهولين ومنزعجين منذ ذلك الحين.

ارتدى الجنود قمصاناً بيضاء وسراويل بيضاء وتحركوا في مجموعة واحدة. بالكاد ألقوا نظرة على تيدي وتشاك. بالكاد ألقوا نظرة على أي شيء، وإنما تحركوا فقط على الرصيف نحو المركب، وانتظروا حتى يفرغ حمولته.

أخرج تيدي وتشاك بطاقتيهما بناء على الطلب، وأخذ ماكفرسون وقته في تفحصهما، وراح ينقل نظره من بطاقتي التعريف إلى وجهيهما.

قــال لهما: "لست واثقاً من أنني رأيت بطاقة مارشال⁽¹⁾ أميركي من قبل".

⁽¹⁾ المارشال هو موظف إداري يقوم بمثل المهام الموكولة إلى الشريف أو عمدة البلدة. أو موظف قضائي مكلف بالقيام بمهام معينة. (المصحح)

أجابه تشاك: "والآن رأيت اثنتين. يوم عظيم". وجه إلى تشاك ابتسامة كسولة، وأعاد إليه البطاقة.

بدا الشاطئ وكأنه تعرض لهجوم البحر خلال الليالي الفائتة؛ فقد كان مليئاً بالأصداف والأخشاب الطافية، والهياكل العظمية للأسماك الميتة التي أكلتها الحيوانات المفترسة التي تعيش هنا. لاحظ تيدي قمامة لا بد من ألها وصلت إلى هنا من المرفأ الداخلي، علباً معدنية ولفافات ورق مصبعة بالماء، ولوحة سيارة مشطورة وباهتة وخالية من الأرقام، بفعل تأثير الشمس. كانت الأشجار بمعظمها من الصنوبر والقيقيب، نحيلة وهزيلة، واستطاع تيدي رؤية بعض المباني عبر الفحوات، مشيدة أعلى الهضبة.

ثمــة احــتمال أن دولوريس كانت لتحب هذا المكان، إذ كانت تــستمتع بالاســتلقاء تحــت أشعة الشمس، لكن تيدي أحس فقط بالاندفاع المستمر لهواء المحيط، وهو تحذير من البحر أنه يستطيع الثوران حين يشاء، وحرّك إلى قعره.

عـاد الجـنود إلى الرصيف، وهم يحملون البريد والعلب الطبية، ووضعوها في العربات الصغيرة، فيما وقّع ماكفرسون على مستند صغير لتأكيد استلام الأغراض، ثم أعاد المستند إلى أحد حرّاس المركب وقال الحارس: "سنبحر مجدداً".

طرفت عينا ماكفرسون تحت الشمس.

قال الحارس: "العاصفة. يبدو أن أحداً لا يعرف كيف ستكون".

أومأ ماكفرسون برأسه.

قال تيدي: "سنتصل بالمحطة حين نرغب في العودة". أومأ الحارس برأسه. قال مجدداً: "العاصفة". أجابه تشاك: "طبعاً، طبعاً. سنتذكر ذلك".

أخدذهما ماكفرسون في طريق ممتد بين الأشجار. وبعد انتهاء الأشحار، بلغوا طريقاً معبّداً عبر مسارهم مثل ابتسامة عريضة، ورأى تدي منزلين على يمينه ويساره. المنزل إلى اليسار كان الأكثر بساطة بين الاثنين، وهو عبارة عن منزل فيكتوري مسقوف بالقرميد الأحمر الداكن، مع حواف سوداء، ونوافذ صغيرة بدت على شكل أكشاك للحرس. أما المنزل إلى اليمين فكان ثيودوري الطراز ومرتفعاً مثل قصر.

تابعوا طريقهم، وتسلقوا منحدراً شاهقاً ومكسواً بطحالب البحر قصبل أن تصبح الأرض خضراء وملساء حولهم، ومستوية، فيما أصبح العسب أقصر، وأفسح المجال أمام مرج تقليدي ممتد على مسافة مئات السياردات قبل أن يتوقف أمام جدار من الآجر البرتقالي، الذي بدا أنه امستد على طول الجزيرة. بلغ ارتفاع الجدار عشر أقدام، وكان أعلاه مكسواً بسشريط من الأسلاك، ولفت انتباه تيدي شيء ما في مظهر الأسلاك. شعر بشفقة مفاجئة على أولئك الأشخاص الموجودين في الجهة الأخرى من الجدار، الذين يعرفون تماماً سبب تركيب الأسلاك، ويدركون جيداً رغبة العالم في إبقائهم محبوسين في الداخل. رأى تيدي عدة رجال ببزات كحلية مباشرة خارج الجدار، ورؤوسهم إلى الأسفل، فيما يحدقون إلى الأرض.

قال تشاك: "حراس تأديب في مصح عقلي. مشهد غريب، إذا كنت لا تخالفني الرأي سيد ماكفرسون".

قال ماكفرسون: "إنها مؤسسة ذات نظام أمني مشدد، تعمل وفق ا امتيازين مزدوجين، واحد من مديرية الصحة العقلية في ماساتشوستس، وآخر من القسم الفدرالي للسجون". قال تشاك: "أفهم ذلك. لطالما تساءلت عن مقدار الأحاديث التي لديكم حول مائدة العشاء".

ابتسم ماكفرسون وهزّ رأسه قليلاً.

رأى تيدي رجالاً أسود الشعر يرتدي البزة نفسها، مثل بقية الحراس، لكن بزته مزينة بالأصفر عند الكتفين مع ياقة بارزة، فيما شارته ذهبية. كان الوحيد الذي مشى ورأسه مرفوع إلى الأعلى، ووضع يده خلف ظهره، فيما مشى بسرعة بين الرجال، ذكّرت مشيته تيدي بكولونيلات التقاهم في الحرب، رجال كانت السيطرة بالنسبة إليهم عبئاً ضرورياً ليس فقط من الحرب، وإنما أيضاً من... حمل كتاباً أسود صغيراً قرب قفصه الصدري، وأوما في اتجاههم ثم نزل المنحدر الذي حاؤوا هم منه، وتطاير شعره الأسود في الهواء.

قال ماكفرسون: "إنه آمر السجن، ستتعرفان إليه لاحقاً".

أومـــا تـــيدي برأسه، متسائلاً عن سبب عدم لقائهما به الآن، واختفى آمر السجن في الجهة الأخرى من المنحدر.

استخدم أحد الجنود مفتاحاً لفتح البوابة في وسط الجدار، وانفتحت البوابة على مصراعيها ودخل عبرها الجنود مع العربات الصغيرة، فيما اقترب حارسان من ماكفرسون ووقفا إلى جانبيه.

انتصب ماكفرسون في وقفته، بطريقة مهنية الآن، وقال: "سأعطيكما أيها الرجلان المخطط الأساسي للأرض".

"طبعاً".

"ستحصلان أيها الرجلان على كل الامتيازات التي نقدمها، وعلى كل المساعدة التي نستطيع توفيرها. لكن خلال إقامتكما، مهما كانت قصيرة، عليكما الانصياع للبروتوكول. هل هذا مفهوم؟".

أومأ تيدي برأسه، وقال تشاك: "طبعاً".

ثبّت ماكفرسون عينيه على نقطة مباشرة فوق رأسيهما. "أنا واثق من أن الدكتور كاولي سيشرح لكما تفاصيل البروتوكول، لكن عليّ التشديد على الآتي: ممنوع الاتصال غير المراقب بالمرضى الموجودين في هذه المؤسسة. هل هذا مفهوم؟".

كاد تيدي يقول: نعم سيدي كما لو أنه عاد إلى المدرسة العسكرية، لكنه توقف، واكتفى بقول: "نعم". ببساطة.

"الجناح أفي هذه المؤسسة هو المبنى الموجود إلى يميني، جناح السرحال. الجناح ب، جناح النساء، موجود إلى يساري. أما الجناح ج فهو تلك الأجراف العالية الموجودة مباشرة خلف هذا المجمّع ومقرّ الموظفين، موجود في، ما كان سابقاً، فورت والتون. ممنوع دحول الجناح ج من دون موافقة خطية والحضور الفعلي لآمر السجن والدكتور كاولي على حدٌ سواء. هل هذا مفهوم؟".

أومأ الرجلان مجدداً برأسيهما.

مــد ماكفرسون راحة إحدى يديه، كما لو أنه يتوسل الشمس. "والآن أطلب منكما تسليم سلاحيكما".

نظر تشاك إلى تيدي. هز تيدي رأسه.

قسال تسيدي: "سيد ماكفرسون، نحن مارشلان فدراليان معينان عهمة رسمية. ويطلب منا القانون حمل سلاحينا على الدوام".

صدح صوت ماكفرسون في الهواء مثل الكابل الفولاذي. "الأمر التنفيذي 391 من القانون الفدرالي للسجون والمؤسسات الخاصة بالجانين الجرمين ينص على أن تبطل رخصة حمل الأسلحة بناء على الأمر المباشر للمسؤولين المباشرين، أو الأشخاص المسؤولين عن رعاية وحماية السجون، أو مرافق الصحة العقلية. لا يمكنكما أيها الرجلان أن

تكونا استثناءً على القانون. لن يسمح لكما بعبور هذه البوابة مع سلاحيكما".

نظر تيدي إلى تشاك. حنى تشاك رأسه صوب راحة يد ماكفرسون الممددة وهزّ كتفه.

قال تيدي: "نود تسجيل استثنائنا في السجل".

قال ماكفرسون: "أيها الحارس، دوّن من فضلك استثناء المارشلين دانيالز وأول".

"حاضر سيدي".

قال ماكفرسون: "أيها السادة".

قام الحارس إلى يمين ماكفرسون بفتح كيس جلدي صغير.

فتح تيدي معطفه، وأخرج مسدس الخدمة من قرابه. فتح أسطوانة المسدس بنقرة من معصمه ثم وضع المسدس في يد ماكفرسون. سلمه ماكفرسون إلى الحارس، ووضعه الحارس في الكيس الجلدي، ومدّ ماكفرسون يده مجدداً.

كان تـشاك أبطأ قليلاً مع سلاحه، فتحسس بارتباك قراب المسدس، لكن ماكفرسون لم يتململ وإنما انتظر حتى وضع تشاك المسدس بطريقة غريبة في يده.

سلّم ماكفرسون المسدس إلى الحارس، ووضعه الحارس في الكيس الجلدي وخرج عبر البوابة.

قال ماكفرسون بهدوء، وتناثرت كلماته مثل الأوراق: "سيتم الاحتفاظ بسلاحيكما في غرفة الممتلكات مباشرة، خارج مكتب آمر السحن، الموجود في مبنى المستشفى الرئيس في وسط المحمّع. يمكنكما الحصول عليهما مجدداً يوم رحيلكما". عادت فجأة ابتسامة ماكفرسون العريضة والعفوية. "حسناً، انتهينا الآن من الأمور الرسمية. لا أعرف

اســــتدار، وتـــوجه نحو البوابة، ثم أغلق البوابة بعدما خرجوا جميعاً.

داخــل الجدار، كان العشب الأخضر ممتداً على جانبــي طريق رئــيس مــصنوع من الآجر نفسه الذي يغطي الجدار. كان بستانيون بكواحل مكبّلة بالأغلال يهتمون بالعشب والأشجار والأزهار، وحتى بمجمــوعة من أشجار الورد المزروعة حول المستشفى. كان البستانيون محاطين بالجنود، ورأى تيدي مرضى آخرين مكبلين بأغلال يمشون على الأرض بخطــى غريبة مثل البط. معظمهم كانوا من الرجال، مع عدد قليل من النساء.

قال ماكفرسون: "حين جاء أول الأطباء إلى هنا، كانت كل المساحة عبارة عن طحالب بحرية، وأشجار خفيضة. يجدر بكما رؤية الصور. أما الآن...".

إلى يمين ويسسار المستشفى، انتصب مبنيان متشابهان من الآجر الأحمر مع حواف مطلية بالأبيض، ونوافذ مغطاة بقضبان حديدية، فيما الألواح الرجاحية أصبحت صفراء نتيجة الملح ورذاذ البحر. أما المستشفى نفسه فكان فاحم اللون، فيما أصبح آجره ناعماً بفعل تأثير البحر، وارتفع ستة طوابق إلى أن أصبحت النوافذ الناتئة من السقف المائل مطلة عليها.

قال ماكفرسون: "تم تشييده على أنه المقرّ الرئيس لكتيبة الجنود مباشرة قبل الحرب الأهلية. ويبدو أنه كانت هناك بعض التصاميم لجعل هذا المكان مرفقاً للتدريب. والملفت ألهم ركّزوا على الحصن، ومن ثم على تحويل ذلك إلى معتقل لأسرى الحرب".

لاحظ تيدي البرج الذي رآه من المركب. كان رأسه أعلى قليلاً من مستوى الأشجار في الطرف البعيد من الجزيرة.

"ما هو هذا البرج؟".

قال ماكفرسون: "إنه منارة قديمة. لم يتم استعمالها منذ بداية القرن التاسع عشر. كان جيش الاتحاد يضع حراس المراقبة هناك، أو هكذا سمعت، لكنها تحولت الآن إلى مرفق للمعالجة".

"للمرضى؟".

هزّ رأسه. "لمياه المحارير. لن تصدقا ما الذي يوجد في هذه المياه! قد يبدو المنظر جميلاً من المركب، لكن كل قطعة نفايات، من كل نمر في هذه الولاية تصل إلى المرفأ الداخلي، ثم تنتقل إلى المرفأ الوسطي، وتصل في النهاية إلينا".

"وراء الجـــدار، في هـــذه الناحية" - أشار إلى وراء الجناح ب - "يــوجد المقرّ الرئيس للقيادة. ربما رأيتماه في طريقكما إلى هنا. كلّف تشييده ثروة في ذلك الحين، وأعفى القائد من مهامه حين دفع العم سام الفاتورة. يجدر بكما رؤية ذلك المكان".

قال تيدي: "من يعيش هناك الآن؟".

أجاب ماكفرسون: "الدكتور كاولي. لم يكن ليوجد أي شيء من هذا لولا الدكتور كاولي، وآمر السجن. لقد حققا شيئاً فريداً فعلاً هنا".

انـــتقلوا إلى الجهة الخلفية من المجمّع، والتقوا بالمزيد من البستانيين المكـــبلين والجــنود، وكان العديد منهم يجرفون الأرض قرب الحائط الخلفي. من بين البستانيين امرأة في خريف العمر مع شعر بلون القمح،

أصبح تاج رأسها شبه أصلع، حدّقت إلى تيدي في أثناء مروره، ثم رفعت إصبعاً واحدة إلى شفتيها. لاحظ تيدي ندبة حمراء داكنة، سميكة مثل عرق السوس، على طول حنجرتها. ابتسمت، فيما لا تزال الإصبع فوق شفتيها، ثم هزّت رأسها ببطء شديد له.

قال ماكفرسون، فيما عادوا مجدداً إلى الجهة الأمامية للمستشفى: "كاولي أسطورة في مجاله، كان الأول في صفه في حامعتي حون هوبكينز وهارفارد على حدّ سواء، ونشر أول دراسة له حول الأمراض العقلية في عمر العشرين. تمت استشارته مرات عدة من قبل اسكوتلاند يارد، وMI5، ومكتب الخدمات الاستراتيجية".

سأل تيدي: "لماذا؟".

"لاذا؟".

أومأ تيدي برأسه. بدا السؤال منطقياً.

"حسناً...". بدا ماكفرسون تائهاً.

قال تيدي: "لماذا تستشير جماعة مكتب الخدمات الاستراتيجية طبيباً نفسياً؟".

قال ماكفرسون: "عمل الحرب".

٥٠ تيدي ببطء: "صحيح، لكن أي نوع؟".

قال ماكفرسون: "النوع المصنّف، أو هكذا أفترض".

قال تشاك، وهو ينظر إلى تيدي بعين مذهولة: "كم هو مصنّف، إذا كنا نتحدث عن ذلك؟".

توقف ماكفرسون أمام المستشفى، ووضع قدمه على أول درجة. بـــدا مرتبكاً. نظر للحظة إلى الجدار البرتقالي ثم قال: "حسناً، أظن أنه يمكنك سؤاله. يفترض أن يكون انتهى من اجتماعه الآن".

صعدوا السلم، ودخلوا إلى ردهة رخامية، وكان السقف فوقهم على شكل قوس مقبب. انفتحت بوابة حين اقتربوا منها، وانتقلوا عبرها إلى غرفة كبيرة حيث جلس موظف أمام مكتبه إلى جهة اليمين، وجلسس موظف آخر قبالته، إلى جهة اليسار، فيما امتد خلفهما رواق طويل يفضي إلى بسوابة أخرى. أظهروا بطاقاتهم إلى الحارس عند وصولهم إلى السلم العلوي ودون ماكفرسون أسماءهم الثلاثة على ورقة، فيما تحقق الموظف من بطاقتيهما وهويتيهما وأعادها إليهما. وراء الموظف، يوجد قفص، ولاحظ تيدي وجود رجل بداخله يرتدي برة شبيهة ببرة آمر السحن، فيما المفاتيح معلقة في حلقات على الجدار خلفه.

صعدوا إلى الطابق الثاني، وانتقلوا إلى رواق فاحت منه رائحة صابون الخشب، فيما لمعت أرضية السنديان تحت أقدامهم، وسطعت بفعل الضوء الأبيض الداخل من النافذة الكبيرة في الطرف البعيد.

قال تيدي: "الأمن مشدد جداً".

أجاب ماكفرسون: "نتوخى كل درجات الحيطة والحذر".

قال تشاك: "من أجل سلامة الشعب، سيد ماكفرسون، أنا واثق من ذلك".

قال ماكفرسون وهو يستدير نحو تيدي، فيما مرّوا أمام مكاتب عدة، كانت أبواها كلها موصدة وعليها أسماء أطباء محفورة على صفائح فضية صغيرة: "عليك أن تفهم أنه لا يوجد مثل هذا المرفق في السولايات المتحدة. نحن نستقبل المرضى الأكثر سوءاً. نستقبل الذين لا يستقبلهم أي مرفق آخر".

قال تيدي: "غرايس موجود هنا، أليس كذلك؟".

أومأ ماكفرسون برأسه. "نعم، فنسنت غرايس في الجناح ج".

قال تشاك لتيدي: "هل كان غرايس الشخص الذي...؟". أومأ تيدي برأسه. "الذي قتل كل أقاربه، وسلخ جلود رؤوسهم وصنع لنفسه منها قبعات".

كان تشاك يومئ بسرعة. "ووضعها خلال تنقله في البلدة، أليس كذلك؟".

"حسبما ذكرت الصحف".

توقفوا أمام بابين مزدوجين. ثمة صفيحة نحاسية مثبتة على وسط الباب الأيمن كتب عليها: "مسؤول الموظفين، الدكتور ج. كاولي".

استدار ماكفرسون نحوهما، ووضع يده على مقبض الباب، ثم نظر إليهما بشدة غير مفهومة.

قال ماكفرسون: "في عصر أقل تحضراً من عصرنا، كان ليحكم على مريض مثل غرايس بالإعدام. لكنهم يستطيعون هنا دراسته، وتحديد مرضه، وربما عزل الشذوذ عن دماغه الذي دفعه للابتعاد تماماً عن أنماط السلوك المقبولة. إذا استطاعوا فعل ذلك، ربما نستطيع التوصل يوماً ما إلى طريقة للتخلص تماماً من هذا النوع من الجرائم في المجتمع".

بدا وكأنه ينتظر حواباً، إذ بقيت يده متصلبة على مقبض الباب. قال تشاك: "الأحلام حيدة، ألا تظن ذلك؟". كان الدكتور كاولي نحيلاً إلى درجة الهزل. ليس مثل العظام والغضاريف الطافية، التي رآها تيدي في داتشاو، وإنما يحتاج حتماً إلى عدة وجات حيدة. كانت عيناه الداكنتان الصغيرتان غارقتين في محجريهما، وألقت بظلالهما على بقية وجهه. كانت وجنتاه غارقتين جداً، بحيث بدتا منهارتين، وكان اللحم حولهما مليئاً ببثور قديمة العهد. كانت شفتاه وأنفه نحيلة مثل بقية جسمه، وبدا ذقنه مفلطحاً لدرجة عدم الوجود تقريباً. ما بقى من شعره كان داكناً بقدر عينيه والظلال التي تحتهما.

إلا أنه كشف عن ابتسامة متفجرة، ساطعة ومليئة بالثقة التي جعلت بؤبؤيه يشرقان، واستخدم الآن هذه الابتسامة، فيما استدار حول مكتبه لإلقاء التحية عليهما، ومدّ لهما يده.

قال: "مارشال دانيالز ومارشال أول، أنا مسرور لأنكما حئتما بهذه السرعة".

كانت يده حافة وناعمة حداً في يد تيدي، وكانت قبضة يده قدوية لدرجة ألها سحقت العظام في يد تيدي فأحس تيدي بالضغط يصل إلى ساعده. تالألأت عينا كاولي للحظات، كما لو أنه أراد القول، لم تتوقع هذا، أليس كذلك؟ ثم انتقل إلى تشاك.

صافح تـشاك وقـال: "سررت بلقائك سيدي". ثم اختفت الابتـسامة عـن وجهـه، وقال لماكفرسون: "هذا كل شيء للوقت الحاضر، حضرة نائب آمر السحن. شكراً لك".

قال ماكفرسون: "نعم سيدي. عذراً أيها السادة". وانسحب من الغرفة.

عادت ابتسامة كاولي، لكنها أصبحت أكثر لزوجة وذكّرت تيدي بالغشاء الذي يتكوّن فوق طبق الحساء.

"إنه رجل طيب، ماكفرسون، متحمس".

قال تيدي وهو يجلس أمام المكتب: "لأيّ أمر؟".

اخـــتفت ابتسامة كاولي مجدداً، وتجعد جانب واحد من وجهه، وبقى جامداً للحظة. "عذراً!".

قال تيدي: "إنه متحمس، ولكن لأي أمر هو متحمس؟".

جلس كاولي وراء المكتب المصنوع من خشب السّاج، وبسط ذراعيه. "مستحمس للعمل. ثمة انصهار معنوي بين القانون والنظام والرعاية السريرية. قبل نصف قرن من الزمن، أو حتى أقرب من ذلك، في عدد من الحالات، كان يسود الاعتقاد بضرورة تقييد المرضى الذين نستقبلهم هسنا بالأغلال، وتركهم لوحدهم مع قذاراتهم. كان يتم ضرهم بشكل نظامي، كما لو أن هذا سيخرج المرض من داخلهم. كنا نحولهم إلى شياطين. كنا نعذهم. كنا نضعهم على مصبعات حديدية، نعم. ندخل المسامير في أدمغتهم. أو حتى نغرقهم أحياناً".

سأل تشاك: "والآن؟".

"الآن نعالجهم، معنوياً. نحاول شفاءهم. وإذا أخفقنا، نوفر لهم على الأقل مقداراً من الهدوء في حياتهم".

سأل تيدي: "وماذا عن ضحاياهم؟".

رفع كاولي حاجبيه، وانتظر.

قال تيدي: "إلهم جميعاً مجرمون عنيفون، أليس كذلك؟".

أومأ كاولي برأسه. "نعم، في غاية العنف".

قال تيدي: "لقد ألحقوا إذاً، الأذى بأشخاص. وقتلوهم في العديد من الحالات".

"نعم، في أغلبها".

"ما هي إذاً، أهمية إحساسهم بالهدوء بالنسبة إلى ضحاياهم؟".

قال كاولي: "لأن مهمتي هي معالجتهم هم، وليس ضحاياهم. لا أستطيع مساعدة ضحاياهم. إنها طبيعة أي عمل، كل عمل في الحياة له قسيود. هذا هو عملي. أستطيع فقط الاهتمام بالمرضى الذين هم عندي". ابتسم. "هل شرح السيناتور الوضع؟".

نظر تشاك وتيدي بسرعة إلى بعضهما بعضاً، فيما حلسا.

قال تيدي: "لا نعرف أي شيء عن السيناتور، أيها الدكتور. تم تعييننا من قبل المكتب الحكومي".

أسند كاولي مرفقيه على دفتر أحضر، موضوع فوق المكتب، وشبك يديه، ووضع ذقنه فوقهما، وحدّق إليهما من فوق حافة نظارته.

"لقد أخطأت إذاً. ماذا قيل لكما؟".

"نعــرف أنــك فقدت سجينة"، وضع تيدي دفتره على ركبتيه، وقلّب صفحاته. "اسمها راشايل سولاندو".

"مريضة". وحّه إليهما كاولي ابتسامة صفراوية.

قال تيدي: "مريضة، أعتذر. نعرف أنما هربت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية".

كانت إيماءة كاولي على شكل انحناء بسيط للذقن واليدين. "الليلة الفائتة، بين العاشرة ومنتصف الليل".

قال تشاك: "و لم يتم العثور عليها بعد".

"صحيح، أيها المارشال...". رفع يده باعتذار.

قال تشاك: "أول".

اختفي وجه كاولى بين يديه، ولاحظ تيدي نقاطاً من الماء على النافذة خلفه. لم يعرف ما إذا كان مصدرها السماء أو البحر.

قال كاولى: "هل اسمك تشارلز؟".

أجاب تشاك: "نعم".

قال كاولى: "سأناديك إذا تشارلز، ولكن ليس بالضرورة أول". "هذا من حسن حظى".

"لاذا؟".

قال تشاك: "لا نختار أسماءنا بأنفسنا. لذا، من الجميل أن يبدى شخص إعجابه بأحد الاسمين على الأقل".

قال كاولى: "من اختار اسمك؟".

"أهلى".

"واسم شهرتك؟".

هـز تـشاك كتفه. "ومن يعرف؟ علينا العودة عشرين جيلاً إلى الخلف".

"أو لجيل واحد".

انحني تشاك إلى الأمام على كرسيه. "عذراً؟".

قال كاولى: "أنت يونان أو أرمني، أيهما؟".

"أرمين".

"إذاً، أول كان...".

"آناسماجيان".

حوّل كاولى نظره إلى تيدي. "وأنت؟".

قال تيدى: "دانيالز. إيرلندي من عشرة أجيال". وجه ابتسامة صغيرة إلى كاولي. "ونعم، أستطيع العودة إلى تاريخ جذوري، أيها الطبيب".

"لكن ما هو اسمك الأول؟ تيودور؟".

أرجع كاولي كرسيه إلى الخلف، وأفلت ذقنه من يديه. نقر على فــــتاحة رسائل فوق حافة المكتب، وكان الصوت ناعماً ومطرداً مثل صوت الثلج المتساقط على سقف.

"زوجتي اسمها مارغريت. لكن ما من أحد يناديها هكذا سواي. بعض أصدقائها القدامي ينادونها مارغو، وهذا منطقي نوعاً ما، لكن الآخرين ينادونها بيغي. لا أفهم ذلك أبداً".

"ماذا؟".

"كسيف جاء بيغي من مارغريت. واللافت أن الاسم شائع جداً. أو كيف جاء تيدي من إدوارد. لا يوجد حرف الباء في مارغريت ولا حرف التاء في إدوارد".

هزّ تيدي كتفه. "ما اسمك الأول؟".

"جون".

"هل ناداك أحد يوماً جاك؟".

هزّ رأسه. "معظم الأشخاص ينادونني أيها الطبيب".

سال الماء قليلاً على النافذة، وبدا أن كاولي يراجع حديثهم في رأسه، فشردت عيناه قليلاً، ثم قال تشاك: "هل تعتبر الآنسة سولاندو خطيرة؟".

قال كاولي: "كشف كل مرضانا عن ميل إلى العنف. ولهذا السبب، هم هنا. أغرقت أولادها الثلاثة في البحيرة، وراء منزلها. أخرجتهم إلى هناك الواحد تلو الآخر، ووضعت رؤوسهم تحت الماء حيى ماتوا. ثم أعادتهم إلى المنزل، ووضعتهم حول طاولة المطبخ، وتناولت وجبة طعام هناك، قبل أن يدخل أحد جيرالها".

سأل تشاك: "هل قتلت جارها؟".

ارتفع حاجبا كاولي، وأصدر تنهيدة صغيرة. "لا. دعته للحلوس وتناول الفطور معها. رفض طبعاً، واتصل بالشرطة. لا تزال راشايل تعتقد أن أو لادها أحياء وينتظرونها. قد يبرر ذلك سبب محاولتها الهرب".

قال تيدي: "للعودة إلى المنزل".

أومأ كاولي برأسه.

سأل تشاك: "وأين يقع منزلها؟".

"في بلدة صغيرة في بيركشاير. على مسافة مئة وخمسين ميلاً تقريباً مسن هنا". أدار كاولي رأسه وأشار إلى النافذة التي خلفه. "للسباحة في هـــذا الاتجـــاه، لا يمكن بلوغ اليابسة قبل أحد عشر ميلاً. وللسباحة شمالاً، لا يمكن بلوغ اليابسة إلا عند نيوفاوندلاند".

قال تيدي: "هل قمتم بتفتيش المكان؟".

"نعم".

"جيداً؟".

احتاج كاولي إلى بضع ثوان للإجابة، ولعب برأس حصان فضي موضوع على زاوية مكتبه. "أمضى آمر السجن ورجاله ومجموعة من الجنود الليل بكامله، وقسماً كبيراً من الصباح في تفتيش الجزيرة، وكل مسبى في المؤسسسة. لا أثر لها. والمقلق أكثر هو أننا لا نعرف كيف استطاعت الخروج من غرفتها. كانت الغرفة مقفلة من الخارج، وثمة قضبان حديدية على نافذها الوحيدة. لم نعثر على أي دليل أنه تم العبث بالأقفال". أبعد عينيه عن الحصان، ونظر إلى تيدي وتشاك. "يبدو وكأنها تبخرت عبر الجدران".

دوّن تــيدي كلمة تبخرت على دفتره. "وهل أنت واثق من ألها كانت في تلك الغرفة عند ضغط زر إيقاف تشغيل الإنارة؟".

"نعم".

"وكيف ذلك؟".

رفع كاولي يده عن الحصان، وضغط على زرّ النداء في هاتفه الداخلي. "الممرضة مارينو؟".

"نعم دکتور".

"اطلبي، من فضلك، من السيد غانتون أن يدخل". "فوراً دكتور".

ثمــة طاولــة صــغيرة قرب النافذة مع إبريق ماء وأربعة أكواب زجاجية عليها. توجه كاولي إليها وملأ ثلاثة أكواب ماءً. وضع واحداً أمام تيدي وواحداً أمام تشاك، وأخذ كوبه ووضعه أمامه على المكتب. قال تيدي: "لا تملك بعض الأسبيرين هنا، أليس كذلك؟".

وجه إليه كاولي ابتسامة صغيرة. "أعتقد أننا نستطيع تدبر أمرنا". فتش في درج مكتبه، وأخرج علبة من باير. "حبتين أو ثلاثاً؟".

"أفضل ثلاث حبات". شعر تيدي أن الألم بدأ خلف عينه.

أعطاه كاولي الحبات عبر المكتب، ووضعها تيدي في فمه، ثم شرب الماء.

"هل أنت عرضة للصداع أيها المارشال؟".

قال تيدي: "عرضة لدوار البحر لسوء الحظ".

أومأ كاولي برأسه. "آه. مصاب بالجفاف".

أومأ تيدي برأسه، وفتح كاولي علبة سجائر، وسلّمها مفتوحة إلى تسيدي وتسشاك. أخذ تيدي سيجارة. هزّ تشاك رأسه، وأخرج علبته الخاصة، أشعلوا هم الثلاثة سجائرهم فيما فتح كاولي النافذة خلفه.

جلــس محدداً خلف مكتبه، ومرر فوق المكتب صورة فوتوغرافية لامرأة شابة، جميلة، وجهها ملطخ بحالات سوداء تحت عينيها، وكانت الهالات داكنة بقدر شعرها الأسود. أما عيناها فكانتا كبيرتين جداً، كما لو أن شيئاً ساخناً يخزهما من داخل رأسها. ما رأته وراء عدسة الكاميرا، وراء المصور الفوتوغرافي، وراء أي شيء في العالم المعروف ربما لم يكن لطيفاً.

ثمــة شيء مألوف على نحو مزعج فيها، ثم أحرى تيدي الربط؛ تذكّر شاباً رآه في المخيم لم يكن يتناول الطعام الذي يعطونه إياه. اتكأ على حدار تحت شمس إبريل، وكشفت عيناه عن النظرة نفسها إلى أن أغلــق حفنــيه أخيراً، وأضافوه في النهاية إلى كومة الجثث في محطة القطار.

أطلق تشاك صفيراً خفيفاً. "يا الله!".

مجّ كاولي سيجارته. "هل هذا رد فعلك على جمالها الظاهري أو على حنونها الظاهري؟".

أجاب تشاك: "على الاثنين".

هاتان العيان، فكر تيدي. كانتا تصرحان بقوة بالرغم من تحمدهما في الزمان. ترغب في دخول الصورة والقول: "لا، لا، لا. لا بأس، لا بأس. شششش". ترغب في الإمساك بها إلى أن يتوقف كل الارتجاف، وتقول لها إن كل شيء سيكون على ما يرام".

فُتِح باب المكتب، ودخل شخص أسود طويل مع بقع رمادية في شعره وكان يرتدي البزة البيضاء الخاصة بالممرضين.

قال كاولي: "سيد غانتون، إنهما الرجلان اللذان أخبرتك عنهما؛ المارشالان أول ودانيالز".

وقسف تيدي وتشاك وصافحا غانتون، وشعر تيدي بخوف قوي، صسادر من الرجل، كما لو أنه لا يرتاح لمصافحة رجال القانون، ربما صدر بحقه حكم أو حكمان خارجاً، في العالم. "يعمل السبيد غانتون معنا منذ سبعة عشر عاماً. إنه مسؤول الممرضين هنا. السيد غانتون هو الذي رافق راشايل إلى غرفتها الليلة الفائتة. سيد غانتون!".

شبك غانتون كاحليه، ووضع يديه على ركبتيه، وانحني قليلاً إلى الأمام، ووجه عينيه إلى حذائه. "كانت هناك مجموعة في التاسعة مساء. ثم...". قـــال كاولي: "إلها حلسة علاج جماعي يقودها الدكتور شيهان والممرضة مارينو".

انتظر غانتون حتى تأكد من إنهاء كاولي كلامه قبل أن يبدأ بحدداً. "إذاً، نعم. كانوا في مجموعة وانتهت الجلسة قرابة العاشرة. رافقت راشيايل إلى غرفتها. دخلت، أغلقت الباب عليها من الخارج. نتحقق من الغرف كل ساعتين خلال الليل. عدت في منتصف الليل. نظرت إلى الداخل، وكان سريرها فارغاً. تصوّرت أنها ربما على الأرض. يفعل المرضى ذلك كثيراً، النوم على الأرض. فتحت الباب...".

كاولي مجدداً: "باستعمال مفاتيحك، صحيح، سيد غانتون؟".

أوما غانتون إلى كاولي، ونظر مجدداً إلى ركبتيه. "استخدمت مفاتيحي، نعم لأن الباب مقفل. دخلت. لم أعثر على الآنسة راشايل في أي مكان. أغلقت الباب، وتحققت من النافذة والقضبان. كانت مغلقة بإحكام أيضاً". هز كتفه. "اتصلت بآمر السجن". نظر إلى كاولى، ووجه إليه كاولى إيماءة أبوية هادئة.

"هل من أسئلة أخرى أيها السيدان؟".

هزّ تشاك رأسه.

رفيع تيدي رأسه عن دفتره وقال: "سيد غانتون، قلت إنك دخلت الغرفة وتأكدت من أن المريضة ليست موجودة في الداخل. ماذا يعنى ذلك؟".

"سيدى؟".

قال تيدي: "هل هناك خزانة؟ مساحة تحت السرير تستطيع الاختباء تحتها؟".

"الاثنان".

"وتحققت من هذين المكانين؟".

"نعم سيدي".

"والباب لا يزال مفتوحاً".

"سيدي؟".

"قلـــت إنـــك دخلـــت الغرفة، ونظرت حولك، ولم تعثر على المريضة. ثم أغلقت الباب وراءك".

"لا، أنا... حسناً...".

انتظر تيدي، ومجّ مجدداً السيجارة التي أعطاه إيّاها كاولي. كانت سيجارة ناعمة، أغنى من سجائر التشسترفيلد خاصته، وكانت رائحة الدخان مختلفة أيضاً، حلوة تقريباً.

قال غانتون: "استغرق الأمر كله خمس ثوان، سيدي. لا باب للخزانة. نظرت داخلها، نظرت تحت السرير، وأغلقت الباب. لا مكان لتختبئ فيه. الغرفة صغيرة".

قال تيدي: "لكن، على الجدار؟ إلى يمين الباب أو يساره؟".

"لا". هـــز غانتون رأسه، وللمرة الأولى رأى تيدي أنه لمح غضباً في عينـــيه، إحـــساساً باستياء أولي وراء العينين المخفضتين ووراء "نعم سيدي"، و"لا سيدي".

قال كاولي لتيدي: "هذا غير محتمل، فهمت قصدك أيها المارشال، لكن حين ترى الغرفة، ستفهم أن السيد غانتون ما كان ليفوّت رؤية المريضة لو كانت واقفة في أي مكان ضمن الجدران الأربعة".

قال غانتون: "هذا صحيح". وقد حدق الآن مباشرة إلى تيدي، ولاحظ تيدي أن الرجل يملك كبرياء في مبادئ عمله، وقد أهانه تيدي من خلال أسئلته.

قال كاولي: "شكراً لك سيد غانتون. هذا كل شيء للوقت الحاضر".

وقف غانتون، وحدقت عيناه إلى تيدي لبضع ثوانٍ إضافية، ثم قال: "شكراً لك دكتور". وغادر الغرفة.

ساد هدوء لدقيقة، فأنهى الرجال الثلاثة سجائرهم ثم أطفأوها في المنافض، قبل أن يقول تشاك: "أظن أنه علينا رؤية الغرفة الآن، دكتور".

قال كاولي: "طبعاً". ونهض من وراء مكتبه، وحمل في يده علاقة مفاتيح كبيرة. "اتبعاني".

كانت غرفة صغيرة جداً يفتح بابما إلى الداحل وإلى اليمين، فيما السباب مصنوع من الفولاذ والمفاصل مزيّتة جيداً بحيث التصق الباب تماماً بالجدار إلى اليمين. إلى اليسار، ثمة مساحة صغيرة من الجدار، وبعدها حزانة حشبية صغيرة مع بضعة أثواب فضفاضة وسراويل معلقة في علاقات خشبية.

اعترف تيدي: "تصح الآن تلك النظرية".

أومـــأ كاولي برأسه. "لا يوجد مكان لها لتختبئ من أي شخص يقف عند هذا الباب".

قال تااك: "حسناً، السقف". نظر الثلاثة إلى أعلى، وكشف كاولي عن ابتسامة.

أغلق كاولي الباب حلفهم، وأحس تيدي فحأة بشعور السجين في داخله. يمكنهم القول إنها غرفة، لكنها في الواقع زنرانة.

الـنافذة الموجـودة فـوق السرير الضيق، كانت مغطاة بالقضبان الحديدية. ثمـة منـضدة صغيرة على الجدار الأيمن، فيما الأرضية والجدران مصنوعان من الاسمنت الأبيض. مع وجودهم هم الثلاثة في الغـرفة، بالكاد كان هناك مجال للتحرك من دون ارتطام الأطراف ببعضها.

قال تيدي: "من يستطيع أيضاً الدخول إلى الغرفة؟".

"في هـــذا الوقت من المساء ثمة عدد قليل من الأشخاص يملكون سبباً للوجود في الجناح".

قال تيدي: "طبعاً. ولكن من يستطيع الدخول إليها؟".

"الممرضون طبعاً".

قال تشاك: "والأطباء؟".

قال كاولى: "حسناً، المرضات".

سأل تيدي: "ألا يملك الأطباء مفاتيح لهذه الغرفة؟".

أحــاب كاولي، مع بعض الانــزعاج: "بلى، لكن عند العاشرة مساء، يكون الأطباء قد خرجوا لقضاء الليل".

"وسلموا مفاتيحهم؟".

"نعم".

قال تيدي: "وهل من سجل لذلك؟".

"نعم، أتابعه".

قال تشاك: "عليهم التوقيع على استلام المفاتيح وتسليمها، أيها الطبيب، وهذا ما نسأل عنه".

"طبعاً".

قال تيدي: "ونريد التحقق من سجل الليلة الفائتة".

"نعم، نعم، طبعاً".

قال تشاك: "يكون هذا السجل موجوداً في القفص الذي رأيناه في الطابق الأول. القفص الذي يوجد حارس داخله، وجدار المفاتيح خلفه؟".

أعطاه كاولي إيماءة سريعة.

قــال تــيدي: "وملفات الموظفين، تلك الخاصة بالفريق الطبــي والممرضين والحراس. نريد الاطلاع على تلك الملفات".

حدّق إليه كاولي، كما لو أن وجه تيدي مليء بالبعوض الأسود. "لماذا؟".

"غمة امرأة اختفت من غرفة مقفلة، دكتور! هربت على جزيرة صغيرة جداً ولا يستطيع أحد العثور عليها! عليّ التفكير، على الأقل، ألها حصلت على المساعدة".

قال كاولي: "سنرى".

"سنرى؟".

"نعــم أيهــا المارشــال. عليّ التحدث مع آمر السحن وبعض الموظفين الآخرين. سنحدد الاستجابة لطلبك بناء على...".

قال تيدي: "دكتور، ليس هذا طلباً. نحن هنا بأمر من الحكومة. هذا مرفق فدرالي هربت منه سجينة خطيرة...".

"مريضة!".

قال تيدي، وقد أبقى صوته هادئاً قدر الإمكان: "مريضة خطيرة، هربت. إذا رفضت مساعدة مارشلين أميركيين، دكتور، تكون، لناحية هروب تلك المريضة، لسوء الحظ – تشاك؟".

قال تشاك: "تعرقل العدالة، دكتور".

نظر كاولي إلى تشاك كما لو أنه كان يتوقع الأذى من تيدي، لكن تشاك لم يكن على راداره.

قال، وقد اختفت الحياة من صوته: "نعم، حسناً، كل ما أستطيع قوله هو أنني سأبذل كل ما في وسعى لتلبية طلبكما".

تبادل تيدي وتشاك نظرة سريعة، وعادا للنظر إلى الغرفة الجرداء. ربما لم يكن كاولي معتاداً على الأسئلة التي تستمر، بعد أن يبدي انزعاجه منها، ولذلك منحاه دقيقة لكي يلتقط أنفاسه.

نظر تيدي إلى الخزانة بالغة الصغر، ورأى ثلاث بذلات فضفاضة بيسضاء، وزوجين من الأحذية البيضاء. "ما عدد الأحذية التي يحصل عليها كل مريض؟".

"اثنان".

"تركت هذه الغرفة حافية القدمين؟".

"نعـــم". ثــبّت ربطة العنق تحت ثوبه الأبيض، ثم أشار إلى ورقة كــبيرة موضوعة على السرير. "وجدنا هذه وراء المنضدة. لا نعرف ما يعنيه ذلك. كنا نأمل في أن يخبرنا شخص ما".

رفع تيدي الورقة وبرمها ليلاحظ أن الوجه الآخر كان مثل حدول طبيي لفحص العيون، بحيث انكمشت الأحرف واتخذت شكل هرم. أعاد برم الورقة وأعطاها إلى تشاك:

قانون الأربعة

أنا 47

هــــم 80

+ أنـــت 3

نحن 4 لكن من هو 67؟ لم يحب تيدي حتى الإمساك بالورقة. ارتعشت حواف الورقة على أصابعه.

قال تشاك: "اللعنة على إذا كنت أعرف".

اقترب كاولى منهما. "مماثل تماماً لاستنتاجنا السريري".

قال تيدي: "نحن ثلاثة".

حدّق تشاك إلى الورقة. "هوه!".

قال تيدي: "قد نكون نحن الثلاثة. نحن الثلاثة الآن الذين نقف في هذه الغرفة".

هزّ تشاك رأسه. "كيف كانت ستعرف ذلك؟".

هز تيدي كتفه. "هذا تحليل".

"نعم".

قال كاولي: "نعم، وكانت راشايل ذكية جداً في ألاعيبها. أوهامها - خصوصاً تلك التي تجعلها تصدق أن أولادها الثلاثة لا يسزالون على قيد الحياة - مبنية على هندسة دقيقة جداً، وإنما معقدة. للحفاظ على التركيبة، تستخدم سرداً دقيقاً ومفصلاً لحياها، يكون وهماً تماماً".

برم تشاك رأسه ببطء، ونظر إلى كاولي.

"أحتاج إلى شهادة لفهم ذلك، دكتور".

قهقه كاولي. "فكّر في الأكاذيب التي كنت تقولها لأهلك، حين كنت ولداً. كم كانت معقدة. بدلاً من إبقائها بسيطة لشرح سبب غيابك عن المدرسة، أو نسيانك لواجباتك، كنت تجعل الأكاذيب خيالية، صحيح؟".

فكّر تشاك في الأمر، وأومأ برأسه.

قال تيدي: "طبعاً. يفعل المجرمون الشيء نفسه".

"بالصبط. الفكرة هي التشويش. إرباك المستمع إلى أن يصدق المسالة بدافع الإرهاق وليس بناءً على أي حقيقة. فكّر الآن في تلك الأكاذيب التي تقولها لنفسك. هذا ما تفعله راشايل. طوال أربعة أعوام، لم تعترف أبداً ألها كانت في مصح عقلي. برأيها الشخصي، لقد عادت إلى بيركشاير في منزلها، ونحن رجال التوصيل، وعمال البريد، وأشخاص مارون مرور الكرام. مهما كانت الحقيقة، استخدمت قوة الإرادة لجعل أوهامها أقوى".

قسال تسيدي: "لكن، كيف لا تظهر الحقيقة أبداً؟ أعني، إنها في مصح عقلي. كيف لا تلاحظ ذلك من وقت إلى آخر؟".

قال كاولي: "آه، بدأنا الآن نغوص في الجمال المربع للتركيبة المخيفة لانفصام الشخصية. إذا صدقتما، حضرة الرجلين، أنكما الوحيدان اللذان يعرفان الحقيقة، سيكون كل الآخرين كاذبين. وإذا كان الجميع يكذب...".

قال تشاك: "فإن أي حقيقة يقولونها تكون كذبة".

هــزّ كــاولي إبهامــه، وأشار إليه بإصبعه مثل مسدس. "فهمت الأمر".

قال تيدي: "وينطبق الشيء نفسه تقريباً على هذه الأرقام؟".

"لا بد من ذلك. لا بد أنها تمثل شيئاً ما. مع راشايل، ما من فكرة تافهة أو إضافية. عليها منع التركيبة في رأسها من الانهيار، ولذلك، عليها التفكير دوماً. هذه هي التركيبة على ورقة". قال وهو ينقر على السورقة: "أظنن بسصراحة أن هذه الورقة يمكن أن تقول لنا إلى أين ذهبت".

لبرهة واحدة، رأى تيدي أن الفكرة أصبحت أوضح بالنسبة إليه. إنه واثق من أول رقمين – الرقم 47 والرقم 80 – أحس بهما يخربشان

في دماغه، مثل لحن أغنية يحاول تذكرها فيما يبث الراديو لحناً مختلفاً تماماً. الرقم 47 هو التلميح الأسهل. الأمر واضح أمامه. هذا بسيط حداً. إنه...

ثم الهارت كل جسور المنطق المكنة، وأحس تيدي أن عقله أصبح فارغاً، وعرف أن كل شيء طار منه مجدداً؛ التلميح، الرابط، الجسر، وأعاد الورقة إلى السرير مجدداً.

قال تشاك: "جنون".

سأل كاولي: "ما هو؟".

قال تشاك: "إلى حيث ذهبت. برأيي".

أحــاب كــاولي: "حــسناً، طبعاً. أظن أننا نستطيع اعتبار ذلك افتراضاً".

وقفوا خارج الغرفة. ثمة درج وسط الرواق. كان باب راشايل إلى يسار الدرج، في منتصف الطريق، من الجهة اليمني.

سأل تيدي: "هذا هو المخرج الوحيد من هذا الطابق؟".

أومأ كاولي برأسه.

سأل تشاك: "لا نفاذ إلى السطح؟".

هـز كـاولي رأسه. "السبيل الوحيد للصعود إلى الأعلى هو من مخرج الحريق. ستجدانه في القسم الجنوبي من المبنى. هناك بوابة، وتكون البوابة مقفلة دوماً. لا شك في أن الموظفين يملكون المفاتيح، ولكن المرضى لا يملكونها. للوصول إلى السطح، عليها النرول إلى الأسفل، والخروج من المبنى، واستعمال المفتاح، والتسلق مجدداً إلى السطح".

"هل تم التحقق من السطح؟".

إيماءة أحرى. "كما هي حال كل الغرف الأخرى في الجناح. على الفور. ما إن تم اكتشاف اختفائها".

أشـــار تيدي إلى ممرض، حلس قرب طاولة صغيرة أمام الدرج. "يوجد شخص هنا على مدار الساعة؟".

"نعم".

"إذاً، لقد كان شخص ما موجوداً هناك الليلة الفائتة".

"بالفعل، الممرض غانتون".

صعدوا الدرج وقال تشاك: "إذاً...". ورفع حاجبيه أمام تيدي. "إذاً". وافقه تيدي.

قال تشاك: "إذاً، خرجت سولاندو من غرفتها المقفلة إلى هذا السرواق، ونزلت على هذا الدرج". نزلوا الدرج بأنفسهم ورفع تسشاك إبحامه لممرض؛ كان في انتظارهم في ردهة الطابق الثاني. "مرّت أمام ممرض آخر هنا، لا نعرف كيف، بحيث جعلت نفسها غير مرئية أو شيئاً من هذا القبيل، ونزلت إلى هذا الطابق التالي وخرجت إلى هذا الطابق التالي وخرجت

نـــزلوا إلى الطابق الأحير، وأصبحوا أمام غرفة كبيرة مفتوحة فيها أرائك عدة بمحاذاة الجدار، وطاولة كبيرة قابلة للطي في الوسط مع كراس قابلة للطي، ونوافذ أشبعت المكان بضوء أبيض.

قال كاولي: "غرفة الجلوس الرئيسة. حيث يمضي معظم المرضى أماسيا هم. أجريت الجلسة العلاجية هنا الليلة الماضية. ستلاحظان أن مكتب الممرضات موجود مباشرة بعد هذا الباب هنا. بعد إطفاء الأنوار، يجتمع الممرضون هنا. يفترض أن يمسحوا الأرض، وينظفوا النوافذ وما شابه، لكننا، في أغلب الأحيان، نعثر عليهم هنا وهم يلعبون الورق".

"والليلة الماضية؟".

"حــسب الذين كانوا في الخدمة، كانت لعبة الورق في أوجها. سبعة رجال، حلسوا مباشرة عند أسفل الدرج، للعب البوكر".

وضع تـشاك يديه على وركيه، وأخرج نَفَساً طويلاً عبر فمه. "كررت لعبة الاختفاء نفسها مجدداً، على ما يبدو، وتحركت إلى اليمين أو اليـسار. اليمين يقودها إلى قاعة الطعام، ومن ثم إلى المطبخ، وبعد ذلك يوجد باب مسيّج ومزود بجهاز إنذار بدءاً من التاسعة ليلاً، بعدما

يغادر موظفو المطبخ. إلى اليسسار، هناك غرفة الممرضات وقاعة الموظفين. لا باب إلى الخارج. السبيل الوحيد للخروج، هو هذا الباب في الجهة الأخرى من قاعة الجلوس، أو في الجهة الخلفية من الرواق وراء السسلالم. وكان هناك رجال مراقبة في كلا المكانين الليلة الفائتة". نظر كاولي إلى ساعته. "أيها الرجلان، لديّ اجتماع. إذا كانت لديكما أي أسئلة، اسألا من فضلكما أي واحد من الموظفين أو يمكنكما زيارة ماكفرسون. هو من تولى عملية البحث لغاية الآن. يفترض أن يملك كل المعلومات السيّ تحتاجان إليها. يتناول الموظفون الطعام في تمام السادسة في قاعة التأمل في الطابق الأرضي من مبنى نوم الموظفين. بعد ذلك، نجتمع هنا في قاعة الموظفين، ويمكنكما التحدث إلى أي شخص كان يعمل خلال حادث الليلة الماضية".

خــرج مــسرعاً من الباب الرئيس، وراقباه إلى أن استدار يساراً واختفى.

قال تيدي: "هل من شيء في ذلك يدلّ على أن العملية ليست مدبرة من الداخل؟".

"أنا مولع حداً بنظرية الاختفاء. لا بد ألها كانت تضع التركيبة العجيبة في قارورة. هل تتبعني؟ يحتمل ألها تراقبنا الآن، تيدي". نظر تسساك بسسرعة فوق كتفه ومن ثم نظر إلى تيدي. "شيء للتفكير في شأنه".

بعد الظهر، انضما إلى حفلة البحث، وتحركا داخل الجزيرة، فيما أصبح الهواء أكثر دفئاً. كان معظم الجزيرة مكسواً بالعشب، مليئاً بالأعشاب الضارة والحقول السميكة من العشب الطويل، الملتف حول القسم المعترش من السنديان العتيق والكرمة الخضراء المغطاة بالأشواك.

في معظم الأماكن، كان المرور البشري مستحيلاً، حتى مع المناجل التي حملها بعض الحراس. لا تملك راشايل سولاندو منجلاً، وحتى لو كانت تملك، بدا أن طبيعة الجزيرة تدفع كل الزائرين إلى الشاطئ.

رأى تيدي أن البحث مفكك، كما لو أنه لا يوجد أحد متحمس لـ ه باستثنائه وتشاك. شق الرجال طريقهم، على طول الحلقة الداخلية فوق الشاطئ، بعيون مسمّرة إلى الأسفل وخطى متثاقلة. في مرحلة ما، استداروا حول رف من الصخور السوداء، وواجهوا منحدراً يطل على البحر. إلى يـسارهم، خلف بقعة من الطحالب والأشواك، والتوت الأحمر الملتف في كتل متشابكة، ثمة فرجة صغيرة، تمتد على قاعدة بعض الهـضاب المنخفضة. شمخت الهضاب بشكل عمودي، وكانت كل واحدة أعلى من الأخرى، إلى أن أفسحت المجال أمام الجرف الشاهق المـسنن، ولاحـظ تيدي فتحات في الهضاب، وفحوات في جانب الجرف.

قال لماكفرسون: "كهوف؟!".

أومأ برأسه. "القليل منها".

"هل تحققتم منها؟".

تسنهد ماكفرسون، وأشعل عود ثقاب، بمنأى عن الهواء، لإشعال سيجار رفيع. "تملك زوجين من الأحذية أيها المارشال. عثرنا عليهما في غسرفتها. كيف ستتمكن من عبور كل ما عبرناه للتو، وتجتاز كل هذه الصخور، وتتسلق هذا الجرف؟".

أشـــار تيدي إلى خلف الفرجة في القسم المنخفض من الهضاب. "تأخذ هذا الطريق، وتشق طريقها إلى الأعلى من الغرب.

وضع ماكفرسون إصبعه قرب إصبع تيدي. "حيث تنتهي الفرحة ثمية مستنقع مباشرة هناك عند طرف إصبعك. قاعدة تلك الهضاب

مغطاة باللبلاب السام، والبلوط الحي، والسماق، وألف نوع تقريباً، من النباتات المختلفة، وكلها مليئة بأشواك بحجم ابني".

"هـــل يعني ذلك أنها كبيرة أو صغيرة؟". قال تشاك، الذي كان يقف أمامهما ببضع خطوات، ونظر إليهما من فوق كتفه.

ابتسم ماكفرسون. "ربما بين الاثنين".

أومأ تشاك برأسه.

"كل ما أقوله أيها الرجلان هو ألها لا تملك أي خيار سوى البقاء قرب الشاطئ، والتحرك نصف المسافة فقط في كلا الاتجاهين، لتهرب من الشاطئ". أشار إلى الجرف. "ستصادف واحداً من هذه".

بعــد ساعة، في الجهة الأخرى من الجزيرة، وصلوا إلى خط السياج. ارتفع وراءه الحصن القديم والمنارة، ولاحظ تيدي أن المنارة تملك سياحها الخاص، مع حارسين عند البوابة يحملان بندقيتين على صدرهما.

قال: "عملية عفنة".

أومأ ماكفرسون برأسه.

نظر تيدي إلى تشاك. رفع تشاك حاجبيه.

قال تيدي محدداً: "عملية عفنة".

لم يأت أحد إلى طاولتهما عند العشاء. حلسا بمفردهما، مبللين من رذاذ المطر الذي بدأ الهواء الدافئ يحمله من المحيط. في الخارج، بدأت الجزيرة تقع في الظلمة، ويتحول النسيم الخفيف إلى ربح قوية.

قال تشاك: "غرفة مقفلة".

قال تيدى: "حافية القدمين".

"عبرت ثلاث نقاط تفتيش داحلية".

"مجموعة كبيرة من الممرضين والممرضات".

أضاف تشاك: "حافية القدمين".

حرك تيدي طعامه الذي هو نوع من فطيرة الراعي، وكان اللحم قاسياً. "فوق جدار مزود بعزل كهربائي".

"أو عبر بوابة محروسة برجال".

"خارج هذا". بدأ الهواء يعصف بالمبني ويهبّ في الظلمة.

"حافية القدمين".

"لم يرها أحد".

مصغ تشاك طعامه، وارتشف القليل من القهوة. "إذا مات أحد في هذه الجزيرة؛ لا بد أن هذا يحدث، صحيح؟ إلى أين يذهبون؟".
"يتم دفنهم".

أومأ تشاك برأسه. "هل رأيت مقبرة اليوم؟".

هزّ تيدي رأسه. "ربما مسيحة في مكان ما".

"مثل النبتة العفنة. طبعاً". أبعد تشاك صينيته، ورجع إلى الخلف في كرسيه. "إلى من سنتحدث بعد ذلك؟".

"إلى الموظفين".

"هل تظن ألهم سيكونون مفيدين؟".

"ألا تظن ذلك؟".

ابتسم تشاك ابتسامة عريضة. أشعل سيجارة، وأبقى عينيه على تسيدي، وتحولت ابتسامته إلى ضحكة ناعمة، فرقص دخان السيجارة على إيقاع الضحكة.

وقف تيدي في وسط الغرفة، وتحلق الموظفون في دائرة حوله. وضع يديه فوق كرسيّ معدنيّ، ووقف تشاك قربه، ووضع يديه في جيبيه. قال تيدي: "أعتقد أن الجميع يعرفون سبب وجودنا هنا. شهدتم حادثة فرار الليلة الماضية. نستطيع القول إن المريضة اختفت. لا نملك دليلاً يسمح لنا باعتقاد أن المريضة غادرت هذه المؤسسة من دون ماعدة. هل توافقني الرأي حضرة نائب آمر السحن ماكفرسون؟".

"نعم. أقول إن هذا تقييم منطقى في الوقت الحاضر".

كان تيدي على وشك التحدث مجدداً حين قال كاولي، الجالس على كرسي قرب الممرضة: "هل يمكنكما التعريف عن نفسيكما أيها الرحلان؟ لم يتعرف إليكما عدد من موظفي".

وقف تيدي بشكل منتصب. "المارشال الأميركي إدوارد دانيالز. هذا شريكي، المارشال الأميركي تشارلز أول".

لوَّح تشاك تلويحاً خفيفاً إلى المجموعة، ثم أعاد يده إلى جيبه.

قال تيدي: "حضرة نائب آمر السجن، لقد قمت أنت ورجالك بتفتيش المكان".

"طبعاً فعلنا".

"وماذا وجدتم؟".

تمدد ماكفرسون في كرسيه. "لم نعثر على أي دليل يوحي بوجود امرأة هاربة. لا يوجد قماش من ثياب ممزقة، ولا آثار قدمين، ولا نسباتات محنية. كان التيار قوياً جداً الليلة الفائتة، والمدّ مرتفعاً. لا مجال أبداً للسباحة".

قالت الممرضة، كيري مارينو "لكنها ربما حاولت". مارينو امرأة نحيلة، شعرها أحمر أفلتته من أعلى رأسها، وفكته من مشبك آخر كان وسط شعرها الطويل مباشرة، فور دخولها الغرفة. وضعت قبعتها في حضنها، ومشطت شعرها بأصابعها بطريقة كسولة، توحي بالتعب،

لكنها جعلت كل رجل في الغرفة ينظر إليها، بالطريقة التي أوحت فيها الأصابع المتعبة بالحاجة إلى سرير.

قال ماكفرسون: "ما هذا؟".

توقفت أصابع مارينو عن التحرك في شعرها وأعادتها إلى حضنها. "كيف نعرف ألها لم تحاول السباحة، وانتهت بالغرق بدلاً من ذلك؟".

تثاءب كاولي في معصمه وقال: "كانت لتطفو الآن على الشاطئ مع هذا المد!".

رفعـــت ماريــنو يــدها كما لو أنها تريد القول، أوه عذراً أيها الرجال، وقالت: "فكّرت فقط في التطرق إلى الموضوع".

قــال كاولي: "ونقدّر ذلك. حضرة المارشال، اطرح أسئلتك من فضلك. لقد كان يوماً طويلاً".

نظر تيدي إلى تشاك، فوجه إليه تشاك انحناءة بسيطة في العينين. امرأة مفقودة لها تاريخ عنف كبير في جزيرة صغيرة ويبدو أن الجميع يرغبون في الخلود إلى النوم.

قال تيدي: "أخبرنا السيد غانتون قبلاً، أنه زار غرفة الآنسة سولاندو في منتصف الليل، واكتشف اختفاءها. لم يتم العبث بقفلي قضبان النافذة والباب في غرفتها. بين العاشرة والثانية عشرة من الليلة الفائتة، سيد غانتون، هل حصل أنك لم تراقب الرواق في الطابق الثالث؟".

اســـتدارت عدة رؤوس نحو غانتون، وشعر تيدي بالارتباك لرؤية نـــوع من السرور في بعض الوجوه، كما لو أن تيدي هو أستاذ الصف الثالث، وطرح سؤالاً على التلميذ الأضعف في الصف.

تحدث غانتون وهو ينظر إلى قدميه. "لم تكن عيناي على الرواق فقط حين دخلت الغرفة ووجدتما مختفية".

"استغرق ذلك ثلاثين ثانية".

"بالأحرى خمس عشرة ثانية". وجّه عينيه إلى تيدي. "إنها غرفة صغيرة".

"لكن، ما عدا ذلك؟".

"ما عدا ذلك، كان الجميع في غرفهم في تمام العاشرة. كانت آخر من دخل إلى غرفتها. جلست في الرواق و لم أرَ أحداً طوال ساعتين". "و لم تترك أبداً مكانك؟".

"لا، سيدى".

"لم تحضر كوباً من القهوة أو ما شابه؟".

هزّ غانتون رأسه.

قال تا السادة. على العمود: "حسناً أيها السادة. على القام بوثبة كبيرة هنا. على القول، من باب الجدل فقط، وليس من باب تقليل الاحترام للسيد غانون، إنه يمكننا مناقشة فكرة زحف الآنسة سولاندو على السقف أو ما شابه".

قهقه عدد من أفراد المجموعة.

"ووصلت إلى الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني. من أعطاها إذن المرور؟".

رفع رجل، يرتدي البذلة البيضاء وله شعر برتقالي، يده.

قال تيدي: "ما اسمك؟".

"غلين، غلين ميغا".

"حسناً، غلين. هل كنت في مكان عملك طوال الليل؟".

"نعم".

قال تيدي: "غلين".

"نعم". نظر من فوق الظفر الذي كان يقضمه.

"في الحقيقة".

نظر غلين إلى كاولي، ومن ثم إلى تيدي. "نعم، كنت كذلك". قال تيدي: "هيا غلين".

حدّق غلين إلى عيني تيدي، وبدأت عيناه تتسعان ثم قال: "ذهبت إلى الحمام".

انحنى كاولي إلى الأمام على ركبتيه. "من جلس مكانك؟". قال غلين: "كان غياباً سريعاً للتبوّل، سيدي. عذراً".

قال تيدي: "لكم من الوقت؟".

هزّ غلين كتفه. "دقيقة على الأكثر".

"دقيقة. هل أنت واثق؟".

"لست جملاً".

."צ"

"دخلت وخرجت".

قال كاولى: "انتهكت البروتوكول. يا الله!".

"أعرف، سيدي. أنا...".

قال تيدي: "في أي وقت حصل ذلك؟".

"الحاديمة عمشرة والنصف تقريباً". حوف غلين من تيدي بدأ يتحول إلى كره تجاه تيدي. بعد بضعة أسئلة، أصبح عدائياً.

قال تيدي: "شكراً غلين". واستدار نحو تشاك مع حني للرأس.

قــال تشاك: "في الحادية عشرة والنصف تقريباً، هل كانت لعبة البوكر لا تزال في أوجها؟".

استدارت رؤوس عدة نحو بعضها بعضاً، ثم استدارت نحو تشاك، وأوماً بعدها شخص واحد برأسه، وحذا حذوه بقية الأشخاص.

"من كان لا يزال جالساً في ذلك الوقت؟".

رفع أربعة رجال سود ورجل أبيض أيديهم. حدد تشاك الزعيم بيسنهم، أول رجل أومأ برأسه، أول رجل رفع يده. كان رجلاً بديناً، بدا رأسه حليقاً ولامعاً تحت الضوء.

"اسمك؟".

"تراي، سيدي. تراي واشنطن".

"تراي، أين كنتم تحلسون؟".

أشار تراي إلى الأرض. "مباشرة هنا، في وسط الغرفة، مع النظر مباشرة إلى ذلك الدرج، نظرة إلى الباب الأمامي، ونظرة إلى الخلف". مسشى تسشك للوقوف قربه، وبرم رأسه في اتجاه البابين الأمامي

والخلفي والدرج. "موقع حيد".

أخفض تراي صوته. "لم تكن المشكلة مع المرضى فقط سيدي. مع الأطباء أيضاً وبعض الممرضات الذين كانوا لا يحبوننا. لا يفترض بنا لعب الورق. علينا أن نرى من يأتي، ونمسك بالممسحة بلمح البصر".

ابتسم تشاك. "لكنكم تتحركون بسرعة أيضاً".

"هل شاهدت يوماً، البرق في شهر أغسطس؟".

"نعم".

"إنه بطيء مقارنة بنهوضي عن الأرض".

أدى ذلك إلى تفكك المجموعة، بحيث لم تستطع المعرضة مارينو كسبت ابتسامتها، ولاحظ تيدي بعض الرجال السود يمررون أيديهم لبعضهم. عرف أنه خلال مدة إقامتهما، سيكون تشاك الشرطي الجيد. يجيد التعاطي مع الأشخاص، كما لو أنه يشعر بالارتياح مع أي شريحة من الأشخاص، بصرف النظر عن لونهم أو لغتهم. تساءل تيدي، كيف سمح له مكتب سياتل اللعين بالذهاب، سواء أأرادوا إبعاده عن صديقته أم لا؟!

من جهة أخرى، كان تيدي، الذكر الأول، غريزياً. حين يقبله الرجال، مثلما فعلوا بسرعة كبيرة في الحرب، يتفقون معه بشكل رائع. لكن قبل ذلك، يسود التوتر.

"حــسناً، حسناً". رفع تشاك يده لتهدئة الضحك، فيما كان لا يــزال يبتسم. "إذاً، تراي، كنتم جميعاً، عند قاعدة هذا الدرج، تلعبون الورق. متى عرفتم أن هناك خطباً ما؟".

"حــين، بــدأ آيــك، آه أقصد سيد غانتون، يصرخ نادوا آمر السجن. ثمة من هرب".

"ومتي كان ذلك؟".

"في الثانية عشرة ودقيقتين وتسع وثلاثين ثانية".

رفع تشاك حاجبه. "هل أنت ساعة؟".

"لا سيدي. لكنني تدربت على النظر إلى الساعة عند أول دليل على مشكلة. يمكن لأي شيء أن يكون ما تسمونه حادثًا، وعلينا جميعاً ملء تقرير بالحادث. أول شيء تسأل عنه في تقرير الحادث هو السوقت الذي بدأ فيه الحادث. هل تملأ ما يكفي من تقارير الأحداث؟ ستعتاد إذاً، على النظر إلى الساعة عند أول تلميح إلى مشكلة".

أومأ العديد من الموظفين برؤوسهم، فيما تكلم، مع بعض تمتمات مثل "أوه"، و"هذا صحيح"، خرجت من أفواههم، كما لو أنهم كورس في دار عبادة.

وجه تيدي نظرة إلى تشاك. "حسناً، ما رأيك في ذلك؟".

قال تشاك: "إذاً، في الثانية عشرة ودقيقتين".

"وتسع وثلاثين ثانية".

قال تيدى لغانتون: "هاتان الدقيقتان الإضافيتان بعد منتصف الليل

يمكن تبريرهما، لأنك كنت تتحقق من بعض الغرف الأخرى قبل وصولك إلى غرفة الآنسة سولاندو، صحيح؟!".

أومـــأ غانـــتون برأســـه. "إنها في الغرفة الخامسة في الرواق. بهذا الاتجاه".

قال تيدي: "متى وصل آمر السجن إلى مكان الحادث؟".

قال تراي: "هيسكفيل، إنه أحد الحراس، كان أول من دخل عبر السباب الأمامي. كان يعمل عند البوابة حسبما أظن. وصل في الساعة الثانية عشرة وست دقائق واثنتين وعشرين ثانية. آمر السحن وصل، بعد أربع دقائق من ذلك، مع ستة رجال".

استدار تيدي نحو الممرضة مارينو. "سمعت كل هذه الحركة وأنت...".

"أقفلت مكتب الممرضات. خرجت إلى الردهة في الوقت نفسه الذي كان فيه هيسكفيل يعبر الباب الأمامي". هزّت كتفها، وأشعلت سيجارة، فحذا عدد من أفراد المجموعة حذوها، وأشعلوا سجائرهم. "و لم يمرّ أحد أمامك في غرفة الممرضات".

وضعت ذقنها على كعب راحة يدها، وحدّقت عبر سحابة السدخان. "مرّ أمامي. أين الباب المؤدي إلى مركز العلاج المائي؟ ما إن تصل إلى هنتية مع الكثير من الأنابيب وبعض الأحواض الصغيرة".

"هل تم التحقق من تلك الغرفة؟".

قال ماكفرسون: "نعم حضرة المارشال". وبدا متعباً الآن.

قال تدي: "حضرة الممرضة مارينو، كنت جزءًا من جلسة العلاج الجماعي الليلة الماضية؟".

"نعم".

- "هل حدث أي شيء غريب؟".
 - "حدد ما تعنيه بالغريب".
 - "عفواً?".

"إنه مصح عقلي، أيها المارشال. للمحانين المحرمين. وكلمة عادي، ليست مألوفة في قاموسنا".

أوماً تيدي برأسه ووجّه إليها ابتسامة خجولة. "دعيني أكرر ما قلـــته. هل حصل أي شيء ضمن المجموعة، في الليلة الفائتة، كان أكثر لفتاً للأنظار من…؟".

قال: "العادى؟".

دفع ذلك كاولي للابتسام، وصدرت بعض الضحكات الخافتة. أومأ تيدي برأسه.

فكّرت في الأمر لدقيقة، وأصبح رماد سيحارتها أبيض اللون وانكرسر. لاحظرت ذلك، فنقرت السيحارة فوق المنفضة ورفعت رأسها. "لا، آسفة".

"وهل تحدثت مع سولاندو الليلة الماضية؟".

"نعم مرتين، حسبما أظن".

"عن ماذا؟".

نظرت مارينو إلى كاولي.

قال: "نفضح الآن خصوصية المرضى مع المارشالين".

أومأت برأسها، بالرغم من ملاحظة تيدي، ألها ليست مولعة جداً بالمفهوم.

"كــنا نــناقش الــسيطرة علــى الغضب. حصلت لدينا بعض التصرفات غير الملائمة في الآونة الأخيرة".

"من أي نوع؟".

"مرضى يصرخون في وجه مرضى آخرين، يقاتلون، هذا النوع من الأمور. لا شيء خارج عن المألوف، وإنما فقط ارتفاع بسيط في الوتيرة، في الآونة الأخيرة، له علاقة ربما بموجة الحرّ أكثر من أي شيء آخر. لذا، ناقشنا الليلة الماضية الطرائق الملائمة، وغير الملائمة للتعبير عن القلق، أو الاستياء".

"هل كشفت سولاندو عن نوبات غضب في الآونة الأخيرة؟".

"راشايل؟ لا. أصبحت راشايل مضطربة فقط حين أمطرت. كان هذا إسهامها في المجموعة، الليلة الماضية.

"أسمع المطر. أسمع المطر. ليس هنا، لكنه آت. ماذا سنفعل بالطعام؟".

"الطعام؟".

أطفأت مارينو سيحارتها، وأومأت برأسها. "تكره راشايل الطعام هنا. تشكو منه باستمرار".

قال تيدي: "لسبب وجيه؟".

كبتت مارينو نفسها قبل أن تتحول الابتسامة البسيطة إلى كبيرة. أخف ضت عين يها. "يمكن القول إن السبب مفهوم ربما. نحن لا نلون الأسباب أو الحوافز لناحية الافتراضات الأخلاقية الجيدة أو السيئة".

أومأ تيدي برأسه. "وكان الدكتور شيهان هنا الليلة الماضية. أدار المجموعة. هل هو هنا؟".

لم يتحدث أحد. أطفأ عدة رجال سجائرهم في المنافض الموجودة بين الكراسي.

في السنهاية قال كاولي: "غادر الدكتور شيهان في المركب الصباحي. المركب الذي حئتما فيه إلى هنا".

"ڵٵۮٵ؟".

"لقد أحذ إجازة لبعض الوقت".

"لكننا نحتاج إلى التحدث معه".

قال كاولي: "أملك مستنداته المتعلقة بالجلسة الجماعية. أملك كل ملاحظاته. ترك المرفق الأساسي في العاشرة مساء أمس، وذهب إلى مقرة. غادر في الصباح. استحق إجازته منذ زمن طويل، وخطط لها أيضاً منذ زمن. لم نجد أي سبب لإبقائه هما".

نظر تيدي إلى ماكفرسون.

"وافقت على ذلك؟".

أومأ ماكفرسون برأسه.

قال تيدي: "إنها حالة استثنائية. لقد هربت مريضة. كيف تسمح لأي كان، بالمغادرة خلال الحالة الاستثنائية؟!".

قــال ماكفرسون: "تأكدنا من مكان وجوده خلال الليل. درسنا الأمر ورأينا أنه ما من سبب لإبقائه".

قال كاولي: "إنه *طبيب*".

قال تيدي بصوت خافت: "عظيم!". أكبر خرق للإجراءات القياسية، صُودف في أي مؤسسة جزائية، ويتصرف الجميع كما لو أن المسألة غير مهمة".

"إلى أين ذهب؟".

"عفو اً؟".

قال تيدي: "في العطلة. إلى أين ذهب؟".

نظر كاولي إلى السقف، محاولاً التذكر قائلاً: "نيويورك، أعتقد. المدينة، هناك توجد كل عائلته. بارك أفنيو".

قال تيدي: "أحتاج إلى رقم هاتفه".

"لا أفهم لماذا...".

قال تيدي: "دكتور، أحتاج إلى رقم هاتفه".

"سنجلبه لـك أيها المارشال". أبقى كاولي عينيه على السقف. "هل من شيء آخر؟".

قال تيدي: "احزر".

أخفض كاولى ذقنه، ونظر إلى تيدى.

قال تيدي: "أحتاج إلى هاتف".

لم يصدر الهاتف، في غرفة الممرضات، أي شيء باستثناء صفير هواء فارغ. كانت هناك أربعة هواتف أخرى في الجناح، محبوسة وراء الزجاج، وحين تم فتح الزجاج، أعطت الهواتف كلها النتيجة نفسها.

توجه تيدي والدكتور كاولي إلى لوحة المفاتيح المركزية في الطابق الأول، من المبنى الرئيس للمستشفى. نظر إليهما عامل الهاتف، فيما دخلا عبر الباب، وكان يضع سماعات سوداء حول عنقه.

قال: "سيدي. تعطلت الاتصالات، حتى الإرسال اللاسلكي تعطل".

قال كاولى: "ليس الأمر بهذا السوء في الخارج".

هــزّ عامل الهاتف كتفه. "سأستمر في المحاولة. لكنني لا أستطيع فعل الكثير هنا. الأمر مرتبط بالطقس الموجود في الجهة الأخرى".

قــال كاولي: "استمر في المحاولة. وحين تتوصل إلى شيء أبلغني. يحتاج هذا الرجل إلى إجراء اتصال مهم".

أومأ عامل الهاتف برأسه، وأدار لهما ظهره، وأعاد السماعات إلى أذنيه.

في الخارج، كان الهواء مثل النفس المنقطع.

قال كاولى: "ماذا يفعلون إذا لم تسجل حضورك؟".

قال تيدي: "المكتب الميداني؟ يسجلونه في تقاريرهم الليلية. قبل أربع وعشرين ساعة عادة من بدء القلق".

أومأ كاولي برأسه. "قد يكون الوضع قد انتهى حينها؟".

قال تيدي: "انتهى؟ لم يبدأ حتى بعد".

هزّ كاولي كتفه، وبدأ يسير باتجاه البوابة. "ربما سأتناول الشراب مع تدخين سيحارة أو سيحارتين في منزلي. في تمام التاسعة. إذا كنت تحب أنت وشريكك المرور".

قال تيدي: "أوه، وهل نستطيع التكلم حينها؟".

توقف كاولي، ونظر إليه. الأشحار الداكنة في الجهة الأخرى من الجدار بدأت تتمايل وتصفر.

"نحن نتحدث أيها المارشال".

مــشى تــشاك وتيدي في الأراضي المظلمة، وأحسا بالعاصفة في الهواء الساخن حولهما، كما لو أن العالم حامل، متضخم.

قال تيدى: "هذا هراء".

"نعم".

"فاسد إلى أقصى الحدود".

"كنت معمدانياً. أقول لك آمين أحي".

"أخى؟".

"كيفِ يتكلمون هناك. أمضيت سنة في الميسيسيي".

"حقاً؟".

"آمين، أخي".

أحذ تيدي سيجارة أخرى من تشاك وأشعلها.

قال تشاك: "هل اتصلت بالمكتب الميداني؟".

هــز تــيدي رأسه. "قال كاولي إن الاتصال معطل". رفع يده. "العاصفة، مثلما تعلم".

بصق تشاك التبغ عن لسانه. "العاصفة؟ أين؟".

قال تيدي: "لكنك تستطيع الإحساس بمجيئها". نظر إلى السماء الداكنة. "لكنين لا أعرف كيف عطلت الاتصالات المركزية".

قال تشاك: "الاتصالات المركزية. هل تركت الجيش، أم أنك لا تزال تنتظر أوراق التسريح؟".

قال تيدي: "لوحة المفاتيح". وهو يلوح بسيحارته. "أو ما يطلقون عليها الإرسال اللاسلكي أيضاً".

"الإرسال اللاسلكي اللعين؟". اتسعت عينا تشاك. "الإرسال اللاسلكي، سيدي؟".

أوماً تيدي برأسه. "هذا هراء حقيقي، نعم. وضعونا في جزيرة للبحث عن امرأة هربت من غرفة مقفلة...".

"واجتازت أربع نقاط تفتيش محروسة برجال!".

"وغرفة مليئة بالمراقبين الذين يلعبون البوكر!".

"وتسلقت جداراً ارتفاعه عشر أقدام!".

"مكهر باً!".

"وسبحت أحد عشر ميلاً...!".

"... عكس تيار هائج...".

"... وصولاً إلى الشاطئ. بغضب. أحب هذا. والماء بارد أيضاً. هل تصل الحرارة إلى خمس وخمسين درجة فهرنهايت في الماء؟".

"تصل إلى ستين درجة كحدِّ أقصى. لكن في الليل؟".

أومأ تشاك برأسه. "تعود إلى خمس وخمسين. تيدي، هذه مسألة مترابطة مثلما تعلم".

قال تيدي: "والدكتور شيهان المفقود!".

قال تاكنا: "لفت الأمر انتباهك أيضاً، أليس كذلك؟ لم أكن أكيداً. لكنني أحسست أنك لم تستفز كاولي كفاية، سيدي".

ضحك تيدي، ع صوت ضحكته ينتقل مع هواء الليل ويذوب في البعيد، كما لو أنه لم يوجد أصلاً، كما لو أن الجزيرة والبحر والملح أحذوا ما كنت تظن أنك تملكه و...

"... وإذا كنا قصة التغطية؟". قال تشاك.

"ماذا؟".

قال تشاك: "ماذا لو كنا قصة التغطية؟ ماذا لو تم إحضارنا إلى هنا للمساعدة على تمويه مسألة ما؟".

"وضوح، واتسون".

ابتسامة أخرى. "حسناً، سيدي. جرّب وحاول".

"سأفعل، سأفعل".

"فلنقل إن طبيباً معيناً افتتن بمريضة معينة".

"سولاندو".

"رأيت الصورة".

"إلها جذابة".

"حذابة. تيدي، إلها امرأة فاتنة جداً محبوسة في غرفة. هكذا، أغرت رجلنا، شيهان... هل فهمت المسألة الآن؟".

نقر تيدي سيجارته في الهواء، وراقب كيف تناثر الرماد واشتعل في الهواء، ثم تناثر عليه وتشاك. "وعلق شيهان في شباكها، وقرر أنه لا يستطيع العيش من دونها".

"الكلمة الأساسية هي العيش. كتنائي حرّ في العالم الحقيقي". "لذا، هربا. بعيداً عن الجزيرة".

"يمكن أن يكون هذا استعراض دومينو مثلما نتحدث".

توقف تيدي عند الطرف البعيد لغرف نوم الموظفين، ووقف أمام الجدار البرتقالي. "لكن لماذا لم يتم استخدام الكلاب؟".

قال تشاك: "حسناً، لقد فعلوا. البروتوكول؛ عليهم إحضار أحد، وفي حالة فرار من مكان كهذا، تم إحضارنا نحن. لكن إذا كانوا يخبئون تسورط موظفين، نكون هنا لمجرد تقوية قصتهم؛ ويكونون فعلوا كل شهىء حسب الأصول".

قال تيدي: "حسناً. ولكن لم تغطية شيهان؟".

ضرب تــشاك نعــل حذائه بالحائط، وثنى ركبته، فيما أشعل سيجارة. "لا أعرف. لم أفكّر في ذلك ملياً بعد".

"إذا أخرجها شيهان من هنا، لا بد أنه قبّل بعض الأيدي".

"عليه فعل ذلك".

"الكثير من الأيدى".

"بعض الحاضرين على كل حال. كحارس أو اثنين".

"وتقبيل يد شخص في المركب. ربما أكثر من واحد".

"إلا إذا لم يغادر على متن المركب. ربما لديه مركبه الخاص".

فكّر تيدي في الأمر قليلاً. "ينحدر من عائلة غنية. بارك أفنيو، حسب كاولى".

"تقول إذاً، إنه يملك مركبه الخاص".

نظر تيدي إلى أعلى الجدار، إلى السلك الكهربائي المثبت فوقه، والناتئ مثل فقاعة مضغوطة، على زجاج.

قال تيدي بعد برهة: "يطرح ذلك أسئلة عديدة بقدر الأجوبة". "كيف ذلك؟".

"لماذا تلك الرموز في غرفة راشايل سولاندو؟".

"حسناً، إنما مجنونة".

"لكن، لماذا تظهر ذلك لنا؟ أقصد، إذا كانت هذه تغطية، لماذا لا تجعل الأمر أسهل علينا، بحيث نوقع على التقارير ونعود إلى المنزل؟ نام الحارس. أو صدأ القفل في النافذة، ولم تتم ملاحظة ذلك".

ضغط تــشاك بيده على الجدار. "ربما كانوا وحيدين بحاجة إلى بعض الصحبة من العالم الخارجي".

"طبعاً. ابتكروا قصة ليتمكنوا من إحضارنا إلى هنا؟ يريدون شيئاً حديداً للتحدث بشأنه؟ أوافق على ذلك".

استدار تـشاك، ونظر محدداً إلى آشكليف. "إذا وضعنا الهزل جانباً...".

استدار تيدي أيضاً، وقفا أمام المستشفى. "طبعاً...". "بدأت أشعر بالتوتر هنا، تيدي". قال كاولي: "يسمونها الغرفة العظيمة". فيما رافقهما عبر الردهة المرصوفة بالخشب إلى بابين من السنديان، مع مقبضين نحاسيين بحجم الأناناس. "أنا حاد. عثرت زوجتي على بعض الرسائل غير المرسلة في العلّية من المالك الرئيس، الكولونيل سبايفي. تفيد الرسائل عن الغرفة العظيمة التي كان يبنيها".

أمسك كاولي بأحد المقبضين، وفتح الباب.

أصدر تشاك صفيراً منخفضاً. امتلك تيدي ودولوريس شقة في باتونوود كانت محط حسد الأصدقاء بسبب حجمها، بحيث كانت هاك ردهة مركزية بحجم ملعب كرة قدم تقريباً، لكن تلك الشقة توازي نصف مساحة هذه الغرفة.

كانت الأرض رخامية، مغطاة هنا وهناك بسجادات شرقية داكنة. الموقد أطول من معظم الرجال. الستائر وحدها ثلاث ياردات من المخمل الأرجواني الداكن لكل نافذة، وهناك تسع نوافذ، كلّفت على الأرجع أكثر مما جناه تيدي طوال عام كامل، أو ربما عامين. طاولة البليار استقرت في زاوية تحت لوحة زيتية لرجل يرتدي البذلة الكحلية الرسمية لجيش الاتحاد، ولوحة أخرى لامرأة في فستان أبيض مكشكش، ولوحة ثالثة للرجل والمرأة معاً، مع كلب عند أقدامهما، والموقد العملاق نفسه خلفهما.

قال تيدي: "الكولونيل؟".

تابع كاولي نظره، وأومأ برأسه. "تقاعد من عمله بعد فترة وجيزة من انتهاء هذه اللوحات. عثرنا عليها في الطابق السفلي مع طاولة البليار، والسحادات، ومعظم الكراسي. يجدر بك رؤية الطابق السفلي أيها المارشال. يمكننا تشييد ملاعب بولو هناك".

شم تيدي رائحة تبغ الغليون، واستدار وتشاك في الوقت نفسه، وأدركا وجود رجل آخر في الغرفة. جلس وأدار لهما ظهره في كرسيِّ همزاز كبير أمام الموقد، ومدد قدماً قبالة الركبة الأخرى، وجعل زاوية كتاب مفتوح ترتاح هناك.

رافقهما كاولي إلى الموقد، وأشار إلى مجموعة الكراسي الموضوعة أمام الموقد، فيما انتقل إلى خزانة المشروبات. "ماذا تشربان أيها الرجلان؟".

قال تشاك: "شراب الجاودار، إذا كان لديك".

"أظن أنني أستطيع أن أتدبر بعضاً منه. وأنت مارشال دانيالز؟". "ماء وبعض الثلج".

نظر الغريب إليهما. "لا تفرطان في الشرب".

نظر تيدي إلى الرجل. ثمة رأس أحمر صغير، نتأ مثل حبة الكرز فوق حسم بدين. ثمة شيء دقيق فيه، وأحسّ تيدي أنه يمضي الكثير من الوقت، كل يوم في الحمام، وهو يدلك نفسه بمسحوق التلك والزيوت المعطرة.

قال تيدي: "وأنت؟".

قال كاولي: "زميلي، الدكتور جيريمياه نايهرينغ".

غمــز الــرجل بعينه، لكنه لم يمدّ يده، و لم يفعل ذلك تيدي ولا تشاك.

قــال نايهرينغ: "أشعر بالفضول". فيما جلس تيدي وتشاك على المقعدين الموجودين إلى يسار نايهرينغ.

قال تيدى: "لماذا؟".

"لماذا لا تشربان. أليس شائعاً لرجال في مهنتكما أن يشربوا؟".

أعطاه كاولي شرابه، ووقف تيدي وتوجه إلى رفوف الكتب، إلى يمين الموقد. قال له: "شائع كفاية. وأنت؟".

"عذراً؟".

قال تيدي: "في مهنتك. لطالما سمعت أنها مليئة بالثملين".

" لم ألاحظ ذلك".

"لم تنظر حيداً إذاً؟".

"لست أكيداً من أنني أتابع الموضوع".

"ما هذا إذاً، شاي مثلج في كأسك؟".

استدار تيدي عن الكتب، وراقب نايهرينغ، وهو ينظر إلى كأسه، وترتــسم ابتسامة ناعمة على فمه. "ممتاز مارشال. تملك آليات دفاع ممتازة. أفترض، أنك بارع جداً في الاستجواب".

هز تيدي رأسه، ولاحظ أن كاولي يحتفظ بعدد قليل من المراجع الطبية، على الأقل في هذه الغرفة. هناك عدد قليل منها، لكن الأغلبية هي قصص وبعض الكتب غير السميكة التي افترض تيدي أنها دواوين شعر، فيما امتلأت رفوف عدة بكتب التاريخ والسير الذاتية.

قال نايهرينغ: "أليس كذلك؟".

"أنـــا مارشــــال فدرالي. نتولى إحضار الأشخاص، هذا فقط. في معظم الأوقات، يتولى أشخاص آخرون إجراء المقابلة".

"أسميت استجواباً وأنت تسميه مقابلة. نعم، أيها المارشال، مملك قدرات دفاع مذهلة". نقر بكعب كأس الشراب الاسكتلندي خاصته على الطاولة مرات عدة، كما لو أنه يصفق. "رجال العنف يذهلوننى".

"رجال ماذا؟". استدار تيدي نحو كرسي نايهرينغ، ونظر إلى الرجل الصغير، وحرك الثلج في كأسه.

أرجع نايه رينغ رأسه إلى الخلف، وارتشف القليل من كأسه. "العنف".

قـال تـشاك: "يا له من افتراض، أيها الطبيب!" وبدا منـزعجاً بشكل عليي، حسبما رأى تيدي.

"لا افتراض. لا افتراض".

حرك تيدي الثلج في كأسه مرة جديدة قبل أن يشربه، ولاحظ شيئاً يرتعش قرب العين اليسرى لنايهرينغ. وقال: "أوافق شريكي الرأي". وجلس على مقعده.

"لا". حوّل نايهرينغ الكلمة أحادية اللفظ إلى ثلاث. "قلت إنكم رجال عنف. ليس هذا مشاهاً لاتمامكم أنكم رجال عنيفون".

وجه إليه تيدي ابتسامة كبيرة. "ثقفنا".

كان واقفاً وراءهم، شغّل أغنية في الفونوغراف، وتلت خربشة الإبرة أصوات هسيس صغيرة ذكّرت تيدي بالهواتف التي حياول استعمالها. ثم حلّ لحن من معزوفات الغيتار والبيانو مكان الهسيس. إنها موسيقى كلاسيكية، يعرفها تيدي جيداً، بروسية، ذكّرته بالمقاهي وراء البحار وبمجموعة موسيقية رآها في مكتب نائب آمر الفصيلة في داتشاو، الرجل الذي كان يستمع إلى الموسيقى، حين أطلق النار على نفسه في فمه. كان لا يزال حياً حين دخل تيدي وأربعة من رفاقه إلى الغرفة. كان يقرقر. لم يستطع الوصول إلى المسدس لإطلاق السنار مرة ثانية، لأنه وقع على الأرض. تلك الموسيقى الهادئة التي زحفت في الغرفة مثل العناكب. احتاج إلى عشرين دقيقة إضافية ليموت، وكان اثنان من الجنود يسألانه إذا تألم، فيما فتشا الغرفة بدقة.

رفع تسيدي صورة فوتوغرافية موضوعة في إطار عن حضن الرجل، صورة لزوجته وولديه، واتسعت عينا الرجل محاولاً الإمساك بالصورة، فيما أخذها تيدي بعيداً عنه. تراجع تيدي إلى الخلف، ونظر من الصورة إلى السرجل، حيئة وذهاباً، وذهاباً وجيئة، إلى أن مات الرجل. وطوال الوقت، كانت الموسيقي ما زالت تصدح بأنغامها.

سأل تشاك "براهمز؟".

"ماهلر". جلس كاولي قرب نايهرينغ.

قال نايهرينغ: "طلبت تثقيفاً".

وضع تيدي مرفقيه على ركبتيه، وبسط يديه.

قال نايهرينغ: "منذ أيام المدرسة، أراهن، أنكما لم تبتعدا أبداً عن النـــزاع الجسدي. لا يوحي ذلك أنكما تستمتعان بهذا، لكنكما لم تعتبرا أبداً هذه الطريقة مجرد خيار. صحيح؟".

نظر تيدي إلى تشاك. وجه إليه تشاك ابتسامة صغيرة، مرتبكة قليلاً.

قال تشاك: "لم تتم تربيتي للركض، أيها الطبيب".

"آه نعم، تربية. ومن تولى تربيتك؟".

قال تيدي: "الدببة".

أشرقت عينا كاولي، فيما وجه إلى تيدي إيماءة صغيرة.

لكن يبدو أن نايهرينغ لم يقدّر المزاح. رتّب سرواله عند الركبة. "هل أنت مؤمن؟".

ال الك الوائل.

ضحك تيدي.

انحني نايهرينغ إلى الأمام.

قال تيدي: "أوه، هل أنت جاد؟".

انتظر نايهرينغ.

"هل رأيت يوماً، مخيم موت أيها الطبيب؟".

هزّ نايهرينغ رأسه.

"لا؟". انحنى تيدي إلى الأمام. "لغتك الانكليزية حيدة حداً، لا بل خالية تقريباً من الأخطاء. لكنك لا تزال تلفظ الأحرف بقوة قليلاً".

"هل الهجرة القانونية جريمة، أيها المارشال؟".

ابتسم تيدي وهز رأسه.

"العودة إلى الإيمان إذاً".

"إذا رأيت مخيم موت يوماً ما، أيها الطبيب، عد إليَّ وأحبرني عن قوةإيمانك".

كانــت إيمـاءة نايهرينغ عبارة عن إغلاق بطيء للحفنين وإعادة فتحهما، ثم نقل نظره إلى تشاك.

"وأنت؟".

"لم أرَ أبداً المخيمات شخصياً".

"هل أنت مؤمن؟".

هزّ تشاك كتفه. "لم أفكّر في الموضوع كثيراً، بطريقة أو بأحرى، منذ زمن بعيد".

"منذ أن مات والدك، صحيح؟".

انحنى تشاك الآن إلى الأمام هو الآخر، وحدّق إلى الرجل القصير والبدين بعينيه اللامعتين.

"لقد مات والدك، صحيح؟ وكذلك والدك أنت أيها المارشال دانيالز؟ في الواقع، أراهن أنكما فقدتما الوجه الذكوري المهيمن على حياتكما قبل ذكرى ميلادكما الخامسة عشرة".

قال تيدي: "خمس ماسات".

"عذراً؟". انحناء أكبر إلى الأمام.

"هــل هذه حيلتك التالية؟". قال تيدي. "تخبرين عن البطاقة التي أحملها. أو، لا، انتظر، تقطع ممرضة إلى نصفين، وتسحب أرنباً من رأس الدكتور كاولي".

"ليست هذه حيلاً".

"ماذا عن هذا". قال تيدي، وهو يرغب في نزع ذلك الرأس الأحمر عن الكتفين الممتلئتين. "تعلم كيف تمشي امرأة عبر الجدران، وتحرب من مبنى مليء بالحراس والموظفين، وتطفو عبر البحر؟".

قال تشاك: "هذه واحدة حيدة".

طرف نايهرينغ عينيه مرة أخرى بطريقة ذكّرت تيدي بالقط المنزلي بعد تناوله الطعام.

"محدداً، آلياتك الدفاعية...".

"أوه، ها قد عدنا".

"... مذهلة. لكن المسألة الحالية...".

قال تيدي: "المسألة الحالية هي أن المرفق واجه تسعة حروقات واضحة للأمن خلال الليلة الفائتة. ثمة امرأة مفقودة، ولا يوجد أحد يبحث عنها...".

"نحن نبحث".

"بقوة؟".

تــراجع نايهرينغ إلى الخلف على كرسيه، وألقى نظرة إلى كاولي بطريقة جعلت تيدي يتساءل من هو المسؤول الحقيقي بينهما.

لاحظ كاولي نظرة تيدي، وأصبح القسم السفلي من فكه وردياً قلسيلاً. "الدكتور نايهرينغ، إضافة إلى مسؤولياته الأخرى، يعمل بمثابة عامل ارتباط رئيس لمجموعة المراقبين. طلبت منه هنا، في هذا المرفق، الليلة، أن يلبي طلباتك السابقة".

"وما تلك الطلبات؟".

أعــاد نايهرينغ غليونه إلى الحياة بواسطة عود ثقاب مشتعل. "لن نفصح عن ملفات الموظفين الخاصة بالفريق الطبـــي".

قال تيدي: "شيهان".

"أي واحد؟".

"تحاول عرقلتنا مبدئياً".

"لست معتاداً على هذا التعبير".

"فكّر في السفر أكثر".

"أيها المارشال، تابع تحقيقك، وسنساعدك حين نستطيع، ولكن...".

"צ".

"عذراً؟". انحنى كاولي الآن إلى الأمام، وأصبحوا هم الأربعة محنيي الأكتاف وممددي الرؤوس.

"لا". كرر تيدي. "انتهى هذا التحقيق. سنعود إلى المدينة في أول مسركب. سنملأ تقاريرنا ويتم تحويل المسألة، حسب افتراضي، إلى جماعة هوفر. لكننا انتهينا من هذه القضية".

بقي غليون نايهرينغ يتأرجح في يده. ارتشف كاولي القليل من مـــشروبه. صـــدحت موسيقى ماهلر. تكتكت ساعة في مكان ما في الغرفة. في الخارج، أصبح المطر قوياً.

وضع كاولي كأسه الفارغة على الطاولة الصغيرة قرب كرسيه. "مثلما ترغب أيها المارشال".

كان المطر يهطل بغزارة، حين غادرا منــزل كاولي، وانهمر المطر على السقف المائل وردهة الآجر، والسقف الأسود للسيارة التي كانت

في انتظارهما. لاحظ تيدي أن المطر ينهمر على شكل صفائح فضية مائلة في العتمة السوداء. لا تتعدى المسافة بضع خطوات، من مصطبة كاولي إلى السيارة، لكنهما تبللا كثيراً بالمطر، ثم جاء ماكفرسون، وجلس في الأمام وراء المقود وتناثر الرذاذ على لوحة القيادة حين هر رأسه، وشغّل محرك السيارة.

"ليلة جميلة". ارتفع صوته فوق صوت مسّاحات الزجاج الأمامي والمطر المنهمر.

نظر تيدي إلى الخلف عبر النافذة الخلفية، واستطاع رؤية الأشكال الضبابية لكاولي ونايهرينغ على المصطبة وهما يراقبانهم.

"غير ملائم لرجل أو وحش". قال ماكفرسون، فيما سقط غصن صغير، وقع عن شجرته الأم، وارتطم بالزجاج الأمامي للسيارة.

قال تشاك: "كم مضى على عملك هنا، ماكفرسون؟".

"أربع سنوات".

"هل حصلت على إجازة من قبل؟".

"للأسف لا".

"ماذا عن خرق القانون؟ تعرف، يختفي أحدهم لساعة أو ساعتين". هــز ماكفرسون رأسه. "ولا حتى هذا. حسناً، عليك أن تكون مجنوناً لعيناً. إلى أين تستطيع الذهاب؟".

قال تيدي: "ماذا عن الدكتور شيهان؟ هل تعرفه؟".

"طبعاً".

"كم مضى على وجوده هنا؟".

"أظن أنه جاء قبلي بعام واحد".

"إذاً خمسة أعوام".

"صحيح".

"هل عمل مع سولاندو كثيراً؟".

"لـــيس حسب علمي، لأن الدكتور كاولي كان الطبيب النفسي الرئيس المسؤول عنها".

"هـــل يـــشيع أن يكون رئيس الموظفين هو المشرف الرئيس على حالة مريضة؟".

قال ماكفرسون: "حسناً...".

انتظـروا، واســتمر صــوت المسّاحات على الزجاج، وانحنت الأشجار الداكنة نحوهم.

قال ماكفرسون: "حسب". وهو يلوّح إلى الحارس، فيما عبرت السيارة البوابة الرئيسة. "ينجز الدكتور كاولي الكثير من العمل الرئيس مع مرضى الجناح ج طبعاً. كما يهتم أيضاً بحالات عدد من الأشخاص في أجنحة أخرى".

"من يساعد سولاندو؟".

ركن ماكفرسون السيارة أمام مبنى نوم الرجال. "لا تمانعان إذا حئت لفتح الباب لكما، أليس كذلك؟ استمتعا بالنوم. أنا واثق من أن الدكتور كاولي سيجيب على كل أسئلتكما في الصباح".

قال تيدي فيما فتح بابه: "ماكفرسون".

نظر تيدي إلى الخلف فوق المقعد.

قال تيدي: "لست جيداً كثيراً في هذا".

"في ماذا؟".

وجه إليه تيدي ابتسامة حزينة، وخرج تحت المطر.

تـــشاركا غرفة مع تراي واشنطن وممرض آخر اسمه بيبـــي لوس. كان حجم الغرفة جيداً مع مجموعتين من الأسرّة المبيّتة في جدار وقاعة جلوس صغيرة، حيث كان تراي وبيبي يلعبان الورق، حين دخلا. حفف تيدي وتشاك شعرهما بمناشف بيضاء من كدسة مناشف تركها أحدهم لهما على السرير العلوي، ثم سحبا كرسيين، وانضما إلى لعبة الورق.

لعب تراي وتيدي لعبة البوكر البنسي، وكانت السجائر بديلاً مقبولاً إذا نفد المال من أحدهم. تفوق تيدي عليهم هم الثلاثة بفضل بطاقة سباعية، وانتهى بخمسة دولارات وثماني عشرة سيجارة مع أوراق فلوش، فوضّب السجائر في جيبه، وأكمل اللعب بعدها بتحفظ.

لكن، تبين أن تشاك هو اللاعب الحقيقي، بحيث كان مرحاً جداً، وتـستحيل قراءته، فجمع كومة من النقود والسجائر ومن ثم الأوراق المالية، وألقى نظرة إليها في نهاية اللعبة، كما لو أنه تفاجأ بحجم الكومة الكبيرة التي أصبحت أمامه.

قال تراي: "هل تملك عينين مزودتين بأشعة إكس أيها المارشال؟".

"أنا محظوظ حسبما أظن".

"اللعنة. يا له من محظوظ! لقد حقق لنفسه ربحاً كبيراً".

قال تشاك: "لم يكن يجدر بلعين ما أن يقحم نفسه".

"هوه!".

"لقد أقحمت نفسك، سيد واشنطن. في كل مرة تخسر". أشار إلى بيبي، "وهذا اللعين...".

انفجروا هم الثلاثة في الضحك.

 قهقــه تراي بأعلى ما يمكنه في الهواء ثم ضرب الطاولة. "ماذا عن المارشال دانيالز؟ كيف نجح في الهروب؟".

ابتسم تشاك ابتسامة عريضة. "هل سأطعن بشريكي؟ لا، لا، لا". "أوووه!". أشار بيبي عبر الطاولة إليهما معاً.

"لا يمكن فعل ذلك".

قال تراي: "أفهم، أفهم. إنها مسألة الرحال البيض".

اســود وجــه تشاك، وحدّق إلى تراي إلى أن فرغت الغرفة من الهواء.

انتفخت تفاحة آدم في عنق تراي، وبدأ يرفع يده معتذراً، فقال تسشاك: "طبعاً. وهل من سبب آخر؟". وأصبحت الابتسامة التي ارتسمت على وجهه كبيرة جداً.

"أيها اللعين!". ضرب تراي يده على أصابع تشاك.

قال بيبي: "أيها اللعين!".

قال تشاك: "أيها اللعين!". ثم انفجروا، هم الثلاثة، في ضحك متواصل، مثل الفتيات الصغيرات.

فكّر تيدي في المحاولة، وقرر أنه سيفشل، مثل رجل أبيض يحاول أن يبدو مطلعاً على التطورات. لكن تشاك، نجح تشاك في ذلك نوعاً ما.

سال تيدي تـشاك، فـيما استلقيا في الظلمة "إذاً، ما الذي فـضحني؟". عـبر الغرفة، كان تراي وبيبـي يتنافسان على الشخير، وأصبح المطر خفيفاً في نصف الساعة الأخيرة، كما لو أنه يلتقط أنفاسه وينتظر الدعم.

"في الورق؟". قال تشاك من السرير السفلي. "إنسَ الأمر".

"لا. أريد أن أعرف".

"كنت تظن أنك جيد كفاية حتى الآن، أليس كذلك؟ اعترف بالأمر".

"لا أظن أنني كنت سيئًا".

"لست سيئاً".

"لقد تغلبت على".

"ربحت بضعة دولارات".

"كان والدك مقامراً، صحيح؟".

"كان والدي حسيساً".

"أوه، آسف".

"ليست هذه غلطتك. ووالدك؟".

"و الدي؟".

"لا، عمك. طبعاً والدك".

حاول تيدي تصوّره في الظلام، واستطاع فقط رؤية يديه المليئتين بالندوب.

قال تيدي: "كان غريباً. بالنسبة إلى الجميع. حتى مع أمي. اللعنة! أشــك في أنه كان يعرف من يكون. كان مفتوناً بمركبه. وحين حسر المركب، حسر نفسه".

لم يقل تشاك أي شيء، وبعد برهة، تصوّر تيدي أنه خلد إلى النوم. استطاع فجأة رؤية والده، كله، حالساً في ذلك الكرسي، في تلك الأيام التي لم يكن يعمل فيها، الرجل الذي ابتلعته الجدران والأسقف والغرف.

"هاي، سيدي".

"لا تزال مستيقظاً؟".

"هل سنغادر فعلاً؟".

"نعم. هل تفاجأت؟".

"لا ألومك. أنا فقط لا...".

"ماذا؟".

" لم أتخلَ عن أي شيء من قبل".

استلقى تسيدي بهدوء لبعض الوقت. وأخيراً، قال: "لم نسمع الحقيقة ولو مرة واحدة. لا يمكننا الوصول إليها ولا يمكننا الاستناد إلى أي شيء، إذ ما من شيء سيجعل هؤلاء الأشخاص يتكلمون".

قال تشاك: "أعرف، أعرف. أوافقك الرأي. كلامك منطقي". "لكر؟".

"لكنني لم أتخل قبلاً عن أي شيء. هذا كل ما في الأمر".

"راشايل سولاندو لم تمرب حافية القدمين، من غرفة مقفلة، من دون مساعدة. الكثير من المساعدة. ربما ساعدها كل من في المؤسسة. حسب حسبرتي؟ أفضل سيناريو؛ نجح التهديد وكاولي يجلس الآن في قصره، يعيد النظر في كل موقفه. ربما في الصباح...".

"إذاً، كنت تمزح".

" لم أقل ذلك".

"لعبت الورق معك للتو، سيدي".

استلقيا بصمت، وأصغى تيدي إلى المحيط لبعض الوقت.

قال تشاك: "أغلق شفتيك". وأصبح صوته حافتاً مع النوم.

"ماذا؟".

"حين تمسك بيد حيدة. تفعل ذلك لثانية فقط، لكنك تفعلها دوماً". "أوه".

"ليلة سعيدة سيدي".

"ليلة سعيدة".

جاءت نحوه في الممر.

دولوريس، مع الكثير من الغضب في عينيها، فيما بينغ كروسبي يغيني أغنية الجهة الشرقية من السماء من مكان ما في الشقة، ربما من المطبخ. تقول: "عظيم، تيدي. عظيم". إلها تحمل قنينة شراب اسكتلندي فارغة في يدها. أدرك تيدي ألها اكتشفت أحد مخابئه.

"هل ستتوقف يوماً عن الإسراف في الشرب؟ هل تستطيع البقاء من دون شرب بعد الآن؟ أحبني".

لكن تيدي لا يستطيع الإحابة، لا يمكنه التكلم. ليس واثقاً حتى أين هو حسمه. استطاع رؤيتها، بقيت تتقدم في الرواق نحوه، لكنه لم يستطع رؤية حسده، ولا حتى الإحساس به. ثمة مرآة، في الطرف الآخر من الممر وراء دولوريس، ولا يظهر انعكاسه فيها.

تــستدير يساراً، إلى غرفة الجلوس، ويبدو ظهرها متفحماً، محترقاً قلــيلاً. لم تعد القنينة في يدها، فيما تطايرت سحب صغيرة من الدخان من شعرها.

تتوقف أمام نافذة. "انظر. إنها رائعة هكذا. طافية".

يقف تيدي قربها أمام النافذة، تبدل المشهد. لم تعد محترقة، وإنما مبللة كثيراً، واستطاع رؤية نفسه، رأى يده على كتفها، وتحركت أصابعه حول عظم ترقوقها، فبرمت رأسها، وقبلت أصابعه بسرعة.

قال، وهو غير واثق حتى من سؤاله: "ماذا فعلت؟".

"انظر إليها هناك".

قال لها: "صغيرتي، لماذا أنت مبللة هكذا؟". لكنه لم يتفاجأ حين لم تجبه.

المنظر خارج النافذة لم يكن ما توقعه. ليس المنظر الذي يمكن رؤيته من شقتهما، في باتونوود، وإنما المنظر من مكان آخر أقاما فيه ذات مرة، حجرة صغيرة. ثمة بركة صغيرة هناك، مع جذوع صغيرة طافية فوقها، ولاحظ تيدي كم هي ناعمة، تتحرك بطريقة غير منظورة تقريباً، فيما الماء يرتعش، وأصبح أبيض اللون، في بعض المساحات، تحت ضوء القمر.

قالت: "إنها لوحة جميلة. بيضاء جداً. يمكنك شمّ رائحة الطلاء الحديث".

"هذا جميل".

قالت دولوريس: "إذاً".

"قتلت الكثير من الأشخاص خلال الحرب".

"لهذا السبب تشرب".

"ر.عا".

"إلها هنا".

"راشايل؟". أومات دولوريس برأسها. "لم تغادر أبداً. كدت تراها. كدت تفعل ذلك".

"قانون الأربعة".

"إنه رمز".

"طبعاً، ولكن لماذا؟".

"إلها هنا. لا يمكنك المغادرة".

لفّ ذراعيه حولها من الخلف، ودفن وجهه في جانب عنقها. "لن أغادر. أحبك. أحبك كثيراً".

ارتشح سائل من بطنها وتدفق السائل عبر يديه.

"أنا عظام في علبة، تيدي".

."צ"

"بلى. عليك الاستيقاظ".

"أنت هنا".

"لا. عليك مواجهة ذلك. إنها هنا. أنت هنا. إنه هنا أيضاً. قم بعدّ الأسرّة. إنه هنا".

"من؟".

"لايديز".

زحف الاسم عبر لحمه وتغلغل في عظامه.

."צ"

"بلي". أرجعت رأسها إلى الخلف، ونظرت إليه. "لقد عرفت".

"צ".

"بلى عرفت. لا يمكنك المغادرة".

"أنت متوترة طوال الوقت". دعك كتفيها، فأصدرت أنيناً خفيفاً جعله يجفل.

قالت: "لم أعد متوترة. عدت إلى المنزل".

قال لها: "ليس هذا هو المنزل".

"طبعاً. هذا منسزلي. إنها هنا، إنه هنا".

"لايديز ".

قالت: "لايديز". ومن ثم "علىّ الذهاب".

"لا". إنه يبكى. "لا. ابقى".

"أوه، يــا الله!". انحــنت صوبه إلى الخلف. "دعني أذهب. دعني أذهب".

"أرجوك لا تذهبي". الهمرت دموعه على جسمها، واختلطت ببطنها المرتشح. "أريد الإمساك بك لوقت أطول قليلاً. لبعض الوقت أيضاً. أرجوك".

"حسناً. تشبث. بأكبر قوة لديك".

أمسك بزوجته. أمسكها وأمسكها.

عـند الخامسة صباحاً، فيما كان المطر ينهمر على العالم، نـزل تيدي عن السرير العلوي، وأخرج دفتره من معطفه. جلس على الطاولة حـيث لعبوا البوكر، وفتح الدفتر على الصفحة التي نقل عليها قانون الأربعة لراشايل سولاندو.

استمر تراي وبيبي في الشخير بصوت عال بقدر صوت المطر. نام تشاك بهدوء، على بطنه، واضعاً قبضة يده قرب أذنه، كما لو أنها للمس له بالأسرار.

نظر تيدي إلى الصفحة. إلها بسيطة حين تعرف كيف تقرأها. رمز ولد، فعلاً. لكنه لا يزال رمزاً، وبقي تيدي حتى الساعة السادسة، حتى استطاع فكه.

نظر إلى الأعلى، ورأى تشاك يراقبه من السرير السفلي. وضع تشاك ذقنه على قبضة يده.

"هل سنغادر سيدي؟".

هزّ تيدي رأسه.

"لا يستطيع أحد المغادرة، في هذا الهراء". قال تراي، وهو ينزل عن سريره، ويفتح ستارة النافذة ليظهر مشهد غارق بالماء اللؤلؤي اللون. "لا أسئلة".

فجاة، أصبح من الصعب التشبث بالحلم، رائحة تبخرها مع ارتفاع الستارة، سعال حاف من بيبي، تمدد تراي مع تثاؤب عال وطويل.

تساءل تيدي، ليس للمرة الأولى، وليس لفترة طويلة، إن كان هذا هو اليوم الذي سيكون فيه الاشتياق إليها صعباً جداً عليه. لو استطاع العودة بالسنوات إلى الوراء، إلى ذلك الصباح الذي حصل فيه الحريق، واستبدال حسمها بجسمه، لفعل. هذا أمر حتمي. لطالما كان هذا أمراً حتمياً. لكن مع مرور السنوات، يشتاق إليها أكثر فأكثر، وليس أقل، وأصبحت حاجته إليها مثل حرح لن يندمل، ولن يتوقف عن النرف.

أمسكت بها، أراد القول لتشاك وتراي وبيبي. أمسكت بها فيما كان بيسنغ كروسبي يغني من راديو المطبخ، واستطعت أن أشم رائحيتها، والسشقة في باتونوود والبحيرة، حيث أقمنا ذلك الصيف، وكانت شفتاها على براجمي.

أمسكت بها. لا يستطيع هذا العالم أن يمنحني ذلك. يستطيع هذا العالم أن يمنحني فقط تذكيراً بما لا أملكه، ولا أستطيع أبداً الحصول عليه، ولم أحصل عليه لوقت كاف.

كان يفترض بنا أن نتقدم في العمر معاً، دولوريس، وأن ننجب أولاداً، وأن نقسوم بنسزهات تحست الأشجار القديمة. أردت رؤية التجاعيد وهي تحفر نفسها في لحمك، وأعرف متى ظهرت كل واحدة منها. أردت الموت معاً.

ليس هذا. ليس هذا.

أمــسكت بهـا، أراد القول. لو كنت أعرف بالتأكيد أن كل ما أحتاج إليه للإمساك بها مجدداً هو الموت، لرفعت مسدسي الآن وصوبته نحو رأسي.

كان تشاك يحدق إليه، منتظراً.

قال تيدي: "فككت رمز راشايل".

قال تشاك: "أوه، هل هذا كل شيء؟".

اليوم الثاني

لايديز

التقـــى همــا كاولي في ردهة الجناح ب. كانت ملابسه ووجهه مبللين بالماء، وبدا مثل رجل أمضى الليل على مقعد في محطة الباصات. قال تشاك: "الحيلة، دكتور، هي أن تنام حين تستلقى".

مسح كاولي وجهه بمنشفة. "أوه، هل هذه هي الحيلة، مارشال؟ عــرفت أنـــني نسيت شيئاً ما. النوم، مثلما تقول. صحيح". صعدوا الدرج المصفر"، وأومأوا إلى الحارس الجالس عند أول منبسط.

سأل تيدي: "وكيف كان الدكتور نايهرينغ هذا الصباح؟".

رفع كاولي حاجبيه ثم أخفضهما بطريقة متعبة. "أعتذر عن ذلك. حيريمياه عبقري، لكنه يستخدم بعض الصقل الاجتماعي. خطرت له هيذه الفكرة لكتاب عن ثقافة المحارب الذكر في التاريخ. يتطرق باستمرار إلى هوسه في أحاديثه، ويحاول دمج الناس في نماذجه الموضوعة سلفاً. أنا آسف مجدداً".

هل تفعلون ذلك غالباً أيها الرجال؟".

"ماذا أيها المارشال؟".

"الجلوس والشرب، وأوه، إحراء تحقيق مع الناس؟".

"إنه الخطر الوظيفي، حسبما أظن. ما عدد الأطباء النفسيين الضروري لتركيب مصباح ضوئي؟".

"لا أعرف. كم؟".

"ثمانية".

"لاذا؟".

"أوه، توقف عن الإفراط في التحليل".

نظر تيدي إلى عيني تشاك وضحكا.

قال تشاك: "مرح منكمش. من كان ليحزر؟".

"هـــل تعـــرفان ما هو وضع بحال الصحة العقلية هذه الأيام، أيها الرجلان؟".

قال تيدي: "لا نملك أدبي فكرة".

"الحرب". قال كاولي وتاءب في منديله المبلل. "حرب إيديولوجية، فلسفية، وحتى حرب نفسية".

قال تاشاك: "أنتم أطباء. يفترض بكم التصرف بلطافة، وليس التصارع".

ابتسم كاولي ومروا أمام الحارس الجالس عند منبسط درج الطابق السثاني. من مكان ما في الأسفل، صرحت مريضة، وملا الصدى كل السدرج في اتجاههم. كان صراحاً توسلياً، وأحس تيدي بمقدار اليأس الموجود فيه، واليقين أنه مهما كان مطلب هذا الصراخ، لن يتحقق أبداً.

قال كاولي: "المدرسة القديمة تعتقد بفعالية العلاج الصدمي، والجراحة الفصية الجزئية، والعلاجات في المنتجعات المعدنية للمرضى الطيعين. هذا ما نطلق عليه اسم الجراحة النفسية. أما المدرسة الجديدة فترتكز على علم العقاقير النفسية. يقولون إنه المستقبل. قد يكون هذا صحيحاً. لا أعرف".

توقف، وضع يداً على الدرابزين، في منتصف الطريق بين الطابق السئاني والطابق الثالث، وأحسّ تيدي بإرهاقه كأنه كائن حي مكسور موجود معهم في حسم رابع على الدرج.

سأل تيدي: "وكيف تعمل العقاقير النفسية؟".

قال كاولي: "تمت الموافقة حديثاً على عقار، اسمه الليثيوم، يرخي المرضى المصابين بالذهان، أو يروّضهم، مثلما يقول بعضهم. تصبح الأغلل شيئاً من الماضي؛ السلاسل، الأصفاد، وحتى القضبان، مثلما يقلول المتفائلون. لا شك في أن المدرسة القديمة تعتقد أنه ما من شيء يستطيع الحلول مكان الجراحة النفسية، لكن المدرسة الجديدة أقوى، حسبما أظن، وستحقق الكثير من المال".

"المال... من أين؟!".

"مــن شركات الأدوية طبعاً. اشتريا الأسهم الآن، أيها الرجلان، وستتمكنان من التقاعد في جزيرتكما. مدارس جديدة، مدارس قديمة. يا الله، أصاب بالذهول أحياناً".

سأل تيدي برفق: "ومن أي مدرسة أنت؟".

"صدق أو لا تصدق، أيها المارشال، أنا أعتقد بالعلاج الكلامي، أي المهارات الأساسية بين الأشخاص. أملك الفكرة التي مؤداها إذا عاملت مريضاً باحترام وأصغيت إلى ما يحاول قوله لك، فلا بد أن تصل إليه".

صــراخ آخــر. المرأة نفسها. تيدي واثق تماماً. انــزلق الصراخ بينهم وبدا أنه لفت انتباه كاولي.

قال تيدي: "لكن هؤلاء المرضى؟".

ابتسم كاولي. "حسناً، نعم، يحتاج العديد من هؤلاء المرضى إلى أدوية ويحتاج بعضهم إلى التقييد بالأغلال. لا حدال. لكنه منحدر زلق. فحين تدخل السم إلى البئر، كيف ستتمكن من إخراجه من الماء؟".

قال تيدي: "لن تنجح".

أوماً برأسه. "هذا صحيح. وما يفترض أن يكون الخيار الأخير، يصبح المعيار القياسي. أعرف أنني أخلط الاستعارات. النوم". قال لتشاك. "صحيح. سأجرب ذلك المرة القادمة".

قــال تــشاك: "سمعت أنه يفعل العجائب". وتوجهوا نحو الطابق الأخير.

في غــرفة راشايل، حلس كاولي على حافة سريرها، واتكأ تشاك على الباب.

قال تا الشروري لتركيب ما عدد السورياليين الضروري لتركيب مصباح ضوئي؟".

نظر كاولي إليه. "لا أعرف. كم؟".

قال تشاك "سمكة". وضحك ضحكة قوية.

قال كاولي: "ستكبر يوماً ما أيها المارشال. أليس كذلك؟". "أشك في ذلك".

أمــسك تيدي بالورقة أمام صدره، ونقر عليها للفت انتباههما.

"انظرا إليها مرة جديدة".

قانون الأربعة

أنا 47

هم 80

+ أنت <u>3</u> نحن 4

لكن

من هو 67؟

بعد دقيقة، قال كاولي: "أنا متعب حداً أيها المارشال. لا أفهم أي شيء في الوقت الحاضر. عذراً".

نظر تيدي إلى تشاك. هز تشاك رأسه.

قال تيدي: "إن إشارة + هي التي لفتت انتباهي وجعلتني أدقق في الورقة مجدداً. انظرا إلى الخط الموضوع تحت "هم 80". يفترض بنا جمع السطرين. على ماذا نحصل؟".

"على مئة وسبعة وعشرين".

قــال تيدي: "واحد، اثنان وسبعة. صحيح. والآن، أضيفا ثلاثة. وإنمــا علـــى نحو منفصل. تريدنا إبقاء الأرقام منفصلة. هكذا، يصبح لدينا: واحد مضافاً إلى اثنين نضيفهما إلى سبعة ثم إلى ثلاثة. على ماذا نحصل؟".

"ثلاثة عشر". استقام كاولي على السرير قليلاً.

أوماً تيدي برأسه. "هل يملك الرقم ثلاثة عشر أي أهمية خاصة بالنسسبة إلى راشايل سولاندوّ؟! هل ولدت في الثالث عشر؟ أو تزوجت؟ أو قتلت أولادها في الثالث عشر؟".

قــال كاولي: "عليّ التحقق. لكن الرقم ثلاثة عشر هو رقم مهم بالنسبة إلى المصابين بانفصام الشخصية".

"لاذا؟".

هــز كتفه. "تماماً مثلما هو بالنسبة إلى العديد من الأشخاص. إنه حالب للحظ السيئ. يعيش معظم المصابين بانفصام الشخصية في حالة خــوف. إنــه عنــصر ربط شائع في المرض. لذا، نجد معظم المصابين بانفصام الشخصية يعتقدون بالخرافات. ويؤدي الرقم ثلاثة عشر دوراً في ذلك".

قسال تسيدي: "هذا منطقي إذاً. انظرا إلى الرقم التالي. أربعة. الجمعا واحداً مع ثلاثة فتحصلا على أربعة. لكن، واحد وثلاثة لوحدهما؟".

"ئلاثـــة عـــشر". ابـــتعد تشاك عن الجدار، ووجه رأسه إلى الورقة.

قال كاولي: "والرقم الأحير؟ سبعة وستون. ستة مضافة إلى سبعة يساويان ثلاثة عشر".

أوماً تسيدي برأسه. ليس هذا قانون الأربعة. إنه قانون الثلاثة عشر حرفاً في اسم راشايل سولاندو".

شاهد تـــيدي كــــلاً مـــن كاولي وتشاك يجمعان الأحرف في رأسيهما. قال كاولي: "تابع".

"حين نقبل بذلك، تكون راشايل قد تركت لنا مجموعة كاملة من الفــــتات. الرمـــز يتبع المبدأ الأولي لمطابقة الأرقام مع الأحرف. واحد يساوي أ. اثنان يساوي ب. هل توافقاني الرأي؟".

أوماً كاولي برأسه، ثم لحق به تشاك بعد ثوانِ قليلة.

"الحرف الأول من اسمها في اللاتينية (Rachel) هو R. الحرف المرتبة في المرتبة الثماني عشرة. A في المرتبة التسلسل الأبجدي اللاتيني يأتي في المرتبة الثامنة. E في المرتبة الثالثة. H في المرتبة الثامنة. E في المرتبة الثانسية عسشرة. اجمعا الأرقام أيها الرحلان، وعلى ماذا تحصلان؟".

قال كاولي بمدوء "يا الله".

"على سبعة وأربعين"، قال تشاك، وقد اتسعت عيناه وهما تحدقان إلى الورقة المعلقة فوق صدر تيدي.

قـــال كاولي: "هذا هو أنا. اسمها الأول. فهمت ذلك الآن. لكن ماذا عن هم؟".

"اسم العائلة". قال تيدي. "إنه هم".

"من؟".

"عائلة زوجها وأجداده. ليس اسمها هي، بالولادة. أو أنه يشير إلى أولادها. وفي كلتا الحالتين، لا يهم الأمر كثيراً. المهم هو اسم عائلتها. سولاندو (Solando). اجمعا المراتب الرقمية للأحرف، وصدقاني أنكما ستتوصلان إلى ثمانين".

للنظر إلى عن السرير، ووقف وتشاك أمام تيدي للنظر إلى الورقة المليئة بالرموز المعلقة على صدره.

نظر تشاك إلى الأعلى، بعد برهة، مباشرة إلى عيني تيدي. "ماذا أنت؟ آينشتاين لعين؟".

قــال كاولي فيما لا تزال عيناه على الورقة: "هل فككت رموزاً من قبل أيها المارشال، في الحرب؟".

"צ".

قال تشاك: "إذاً كيف توصلت إلى...".

تعبت ذراعا تيدي من حمل الورقة، فوضعها على السرير.

هـــزّ بكـــتفه "لا أعرف. ألعب كثيراً بالكلمات المتقاطعة. أحب الأحجمات".

قال كاولي: "لكنك كنت في مخابرات الجيش، صحيح؟".

هــز تيدي رأسه. "الجيش النظامي. لكن أنت أيها الطبيب كنت في مكتب الخدمات الاستراتيجية".

أجاب كاولي: "لا. قدمت فقط بعض المشورات".

"أي نوع من المشورات؟".

وجــه إلــيه كــاولي تلك الابتسامة الخفيفة، التي اختفت ما إن ظهرت. "النوع الذي لا يمكن الحديث عنه أبداً".

قال تيدي: "لكن هذا الرمز بسيط حداً".

قال تشاك: "بسيط؟. أنت شرحته، وما زال رأسي يبرم".

"لكن، بالنسبة إليك دكتور؟".

هــزّ كــاولي بكتفه. "ماذا أسميك أيها المارشال؟ لم أكن مفككاً للرموز".

أحــــنى كــــاولى رأســـه، وربّت على ذقنه، فيما أعاد انتباهه إلى الـــرموز. نظــر تـــشاك إلى عيني تيدي، وقد امتلأت عيناه بعلامات الاستفهام.

قال كاولي: "لقد فهمنا إذاً - أو بالأحرى فهمت أنت أيها المارشال - رمزي السبعة والأربعين، والثمانين. تأكدنا أن التلميحات هي تبدلات للرقم ثلاثة؟".

قال تيدي: "مرة حديدة، يشير ذلك إلينا، وتكون في هذه الحالة مستبصرة...".

"هذا مستىعد".

"أو يشير إلى أولادها".

"أوافق على ذلك".

"أضف راشايل إلى الثلاثة...".

قال كاولى: "وتحصل على السطر التالي. نحن أربعة".

"من هو إذاً؛ السبعة والستون؟".

نظر كاولى إليه. "لست منمقاً؟".

هز تيدي رأسه.

مــرر كاولي إصبعه فوق الجهة اليمني من الورقة. "لا يساوي أي جمع لهذه الأرقام سبعة وستين؟".

."Y"

مــرر كـــاولي راحـــة يده فوق رأسه واستقام. "ولا تملك أي نظريات؟".

قال تدي: "إنه الرمز الذي لم أستطع تفكيكه. ومهما كان السشيء الذي يشير إليه، فإنه شيء غير مألوف بالنسبة إليه، ما يجعلني أظن أنه شيء على الجزيرة. وأنت أيها الطبيب؟".

"أنا، ماذا؟".

"هل من نظريات؟".

"أبداً. وما كنت لأحزر السطر الأول حتى".

"نعم، لقد قلت ذلك. أنت متعب".

"مــتعب جــداً أيها المارشال". قال وهو يثبت نظره على وجه تيدي، ثم نظر إلى النافذة وراقب المطر وهو يهطل، على شكل رقاقات سميكة جداً، بحيث ملأت الأرض في الجهة الأخرى. "قلت الليلة الماضية إنك ستغاد, ".

قال تيدي: "في أول مركب".

"لن يكون هذا اليوم. أنا واثق تماماً من ذلك".

قال تيدي: "إِذاً، في الغد. أو في اليوم الذي بعده، هل تظن أنها لا تزال في الخارج؟ هنا؟".

قال كاولى: "لا. لا أظن".

"أين إذاً؟".

تنهد. "لا أعرف أيها المارشال. ليس هذا من اختصاصي".

رفيع تيدي الورقة عن السرير. "إنه معيار نموذجي. دليل لفك رموز المستقبل. أراهن براتب شهر كامل على ذلك".

"وإذا كان هذا صحيحاً؟".

"لــن تحاول إذاً، الفرار، دكتور. لقد أحضرتنا إلى هنا. أظن، أنه سيكون هناك المزيد من هذه".

قال كاولي: "ليس في هذه الغرفة".

"لا. لكن ربما في هذا المبنى. أو ربما في الخارج على الجزيرة".

امـــتص كاولي الهواء الموجود في الغرفة عبر منخريه، واضعاً يده على عتـــبة النافذة، وأرخى بثقل جسمه على قدميه، ما جعل تيدي يتساءل عما أبقاه مستيقظاً الليلة الفائتة.

قال كاولى: "أحضرتكما إلى هنا؟ لماذا؟".

"أنت قل لي".

أغمض كاولي عينيه وبقي صامتاً لفترة طويلة جداً، بحيث تساءل تيدي إذا خلد إلى النوم.

فتح عينيه مجدداً، ونظر إليهما. "كان يومي حافلاً. احتماعات مع الموظفين، احتماعات للميزانية مع المراقبين، احتماعات لصيانة طارئة في حال ضربتنا فعلاً هذه العاصفة. ستسعدان لمعرفة أنني رتبت لقاء لكما مع كل المرضى الذين كانوا في الجلسة العلاجية مع سولاندو، ليلة الحستفائها. يفترض أن تبدأ هذه المقابلات بعد خمس عشرة دقيقة. أيها السرجلان، أُقدر وجودكما هنا. فعلاً. أحاول المساعدة قدر الإمكان، سواء أظهر ذلك أم لا".

"أعطني إذاً، ملف الدكتور شيهان".

"لا أستطيع فعل ذلك. على الإطلاق". أرجع رأسه إلى الخلف على الجدار. "أيها المارشال، طلبت من عامل الهاتف محاولة طلب رقم هاتف بسشكل متواصل. لكننا لم ننجح في ذلك لغاية الآن. كل ما نعرفه، هو أن كل الساحل الشرقي مغمور بالماء. صبراً أيها الرجلان. هذا كل ما أطلبه. سنجد راشايل، أو سنعرف ماذا حصل لها". نظر إلى ساعته. "لقد تأخرت. هل من شيء آخر؟".

وقفا تحت مظلة خارج المستشفى، وهطل المطر أمامهما غزيراً.

قال تشاك: "هل تظن أنه يعرف ماذا يعنيه الرقم سبعة وستون؟". "نعم".

"هل تظن أنه فك الرموز قبلك".

"أظن أنه كان في مكتب الخدمات الاستراتيجية. وأظن أنه نال هدية أو هديتين في ذلك القسم".

مــسح تشاك وجهه، ومدّ أصابعه نحو المصطبة. "ما عدد المرضى الموجودين هنا؟".

قال تيدى: "العدد صغير".

"نعم".

"ربما عشرون امرأة وثلاثون رجلاً؟".

"ليس كثيراً".

."צ"

"ليس سبعة وستين على كل حال".

استدار تيدي ونظر إليه. "ولكن...".

قال تشاك: "نعم. ولكن".

نظرا إلى صف الأشجار وما بعده، إلى أعلى الحصن الناتئ خلف خيوط المطر، وقد أصبح ضبابياً وغير واضح، مثل رسم فحمي في غرفة دخانية.

تذكر تيدي ما قالته دولوريس في الحلم؛ عدّ الأسرّة.

"ما عدد الموجودين هناك، برأيك؟".

قال تشاك: "لا أعرف. علينا سؤال الطبيب المفيد".

"أوه، نعم. واضح أنه مفيد، أليس كذلك؟".

"هاي سيدي".

"نعم".

"هــل صـادفت في حـياتك هــذا القدر من المساحة الفدرالية المهدورة؟".

"وكيف ذلك؟".

"خمــسون مريــضاً في هذين الجناحين؟ لكم يتسع هذان المبنيان برأيك؟ لمئتي شخص إضافي؟".

"على الأقل".

"ونــسبة المــوظفين مع المرضى. إنها توازي اثنين لواحد لصالح الموظفين. لم ترَ شيئاً كهذا من قبل!".

"على القول، لا".

نظرا إلى الأرض التي تغلى تحت الماء.

قال تشاك: "بالله عليك، ما هذا المكان؟".

أجريا المقابلات في الكافيتيريا، وجلس تشاك وتيدي أمام طاولة في الجهة الخلفية. حلس حارسان قربهما، وكان تراي واشنطن مسؤولاً عن إحضار المرضى لهما ومن ثم إرجاعهما بعد الانتهاء.

السرجل الأول كان مريضاً، يكشف عن الكثير من الانقباضات اللاإرادية في السوجه والعينين. جلس متقوقعاً على نفسه، مثل حدوة حصان، وراح يحك ذراعيه، ورفض النظر إليهما.

نظر تيدي إلى الصفحة الأولى من الملف الذي أعطاه إيّاه كاولي؟ وكان مجرد خربشات من ذاكرة كاولي، فلم يعطه الملفات الحقيقية للمرضى. كان اسم هذا الرجل في المرتبة الأولى، واسمه كين غايج، وهرو موجود هنا لأنه اعتدى على شخص غريب في متجر للبقالة، وضرب الصحية على رأسه بعلبة بازيلاء، وهو يقول طوال الوقت بصوت مخنوق: "توقف عن قراءة بريدي".

قال تشاك: "إذاً، كين. كيف حالك؟". "أشعر بالبرد. أشعر بالبرد.

"آسف لسماع ذلك".

"المسشي مؤلم، نعم". حك كين محيط ندبة على ذراعه، بطريقة دقيقة أولاً، كما لو أنه يحفر خندقاً لها.

"هل كنت في جلسة العلاج في الليلة ما قبل الفائتة؟".

"أشعر بالبرد في قدميّ، وأتألم عند المشي".

ســـأله تـــيدي: "هل تريد بعض الجوارب؟". انتبه إلى الحارسين اللذين كانا ينظران إليهما ويضحكان ضحكة مكبوتة.

قال همساً: "نعم، أريد بعض الجوارب. أريد بعض الجوارب. أريد بعض الجوارب". وأخفض رأسه، وتمايل قليلاً.

"حــسناً سنحــضر لك جوارب في غضون دقيقة. نريد فقط أن نعرف إذا كنت...".

"الجو بارد جداً. في قدمي السير وأتألم عند المشي".

نظر تيدي إلى تماك. ابتسم تشاك للحارسين عند سماع ضحكاتهما التي وصلت إلى الطاولة.

قال تشاك: "كين. كين، هل يمكنك النظر إليَّ؟".

أبقى كين رأسه إلى الأسفل، وتمايل قليلاً أكثر. حرح ظفره السندبة، التي في ذراعه، وسال خط صغير من الدم، بين الشعيرات، في ذراعه.

"كين؟".

"لا أستطيع المشي. ليس هكذا، ليس هكذا. الجو بارد حداً حداً جداً".

"هيا، كين. أنظر إلى".

وضع كين معصميه على الطاولة.

وقف الحارسان، وقال كين: "يفترض ألا يؤ لم ذلك. لا يفترض. لكنهم يريدون هذا. يملأون الهواء بالبرد. لقد تغلغل في ".

جاء الحارسان إلى طاولتهما. قال الحارس الأبيض: "هل انتهيتما أيها الرحلان، أم أنكما تريدان سماع المزيد عن قدميه؟".

"أشعر بالبرد في قدميّ".

رفع الحارس الأسود حاجبه. "لا بأس، كيني. سنأخذك إلى غرفة العلاج المائي، ونشعرك بالدفء على الفور".

قــال الحارس الأبيض: "مضى على وجودي هنا خمسة أعوام. لم يتغير الموضوع".

سأل تيدي: "أبداً؟".

"أتأ لم عند المشي".

أجاب الحارس: "أبداً".

"أتألم عند المشي، لأنهم وضعوا البرد في قدميّ".

المريض التالي، بيتر برين، يبلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، أشقر وممتلئ. محطم للأصابع وقاضم للأظافر.

"لماذا أنت هنا، بيتر؟".

نظـر بيتر، عبر الطاولة، إلى تيدي وتشاك بعينين دامعتين، دوماً، على ما يبدو. "أنا خائف طوال الوقت".

اا ساًا

"من أشياء".

"حسناً".

رفع بيتر كاحله الأيسر إلى ركبته اليمنى، وأمسك بكاحله، وانحنى إلى الأمام. "يبدو هذا غبياً، لكنني أخاف من الساعات. التكتكة. يدخل الصوت في رأسك. الجرذان ترعبني".

قال تشاك: "وأنا أيضاً".

"حقاً؟". أشرق وجه بيتر.

"في الواقع، نعم. تلك الكائنات اللعينة. أشعر بالقشعريرة بمجرد النظر إلى واحدة منها".

"لا تخرج إذاً، أبعد من الجدار في الليل". قال بيتر. "إنها في كل مكان". "من الجيد معرفة ذلك. شكراً".

قــال بيتــر: "الأقلام. أقلام الرصاص، هل تعرفها؟ الخربشة على الورق. أنا خائف منك".

"منى؟".

"لا"، قال بيتر وهو يشير بذقنه إلى تيدي: "منه".

سأل تيدي: "لماذا؟".

هــز كتفه. "أنت ضخم. مع قصة قصيرة ومنظر حقير. يمكنك تدبر أمرك. براجمك مليئة بالندوب. كان والدي هكذا. ولكن من دون السندوب. كانــت يداه ناعمتين جداً. لكنه كان حقير المنظر. وأيضاً إحوتي. كانوا يضربونني".

قال تيدي: "لن أضربك".

"لكنك تستطيع ذلك. ألا ترى؟ تملك القوة. وأنا لا أملكها. يجعلني ذلك ضعيفاً. الضعف يخيفني أيضاً".

"ومتى تخاف؟".

أمسك بيتر بكاحله، وتأرجح حيئة وذهاباً، وانسدل شعر مقدمة رأســه فوق جبينه. "كانت لطيفة. لم أقصد أي شيء. لكنها أخافتني

بثديها الكبيرين، وطريقة تحركها بذلك الثوب الأبيض، والجحيء إلى منزلنا كل يوم. كانت تنظر إليّ مثل... تعرف الابتسامة التي توجهها إلى ولد؟ كانت تعطيني تلك الابتسامة. وكانت في عمري. أوه، حسناً، ربما أكبر مني ببضع سنوات، ولكنها في العقد الثاني من العمر. وكانت تملك معرفة جنسية كبيرة. بدا ذلك جلياً في عينيها".

أمال تيدي الملف بحيث يستطيع تشاك رؤية ملاحظات كاولي:

مريض اعتدى على ممرضة والده بكوب زجاجي مكسور. أصيبت الضحية بشكل خطير وتعرضت لندوب دائمة. أنكر المريض مسؤوليته عن الحادثة.

قال بيتر: "هذا فقط لأنها أخافتني. أرادتني لكي تضحك عليه... أقصد أنك تعرف هذا، يمكنك رؤية الأمر في وجهي، أنا لا أؤذي نملة. ليس هذا من طبعي. لكن حين أخاف؛ يا الله!".

سأله تشاك بصوت هادئ: "ماذا عنه؟".

"هل فكّرت في الأمر؟".

"عقلك؟".

قال: "العقل. عقلي، عقلك، عقل أي شخص كان. إنه، مبدئياً، محرك. هذا ما هو عليه. محرك دقيق ومعقد جداً. وفيه كل تلك القطع، وكل تلك العلب، والمسامير، والمفصّلات. ولا نعرف حتى، ماذا نفعل بنصفها. لكن، إذا انـزلق شيء واحد فقط، واحد فقط... هل فكّرت في ذلك؟".

"ليس أخيراً".

"عليك ذلك. إنه مثل السيارة. ليس مختلفاً. تنزلق علبة، أو ينكسر مسسمار، ويتعطل النظام بكامله. هل يمكنك العيش، وأنت تعرف ذلك؟". نقر على صدغه. "كل هذا عالق هنا، ولا يمكنك النفاذ إلىه، ولا تستطيع، فعلاً، السيطرة عليه. لكنه يتحكم بك، أليس كذلك؟ وإذا قرر يوماً ما، أنه لا يحب العمل؟". انحنى إلى الأمام، ولاحظا الأوتار الناتئة في عنقه. "حسناً، تقع حينها في ورطة كبيرة، أليس كذلك؟".

قال تشاك: "وجهة نظر مهمة".

تــراجع بيتر إلى الخلف على كرسيه، وبدا فجأة فاتر الهمة. "هذا أكثر ما يخيفني".

تيدي، الذي منحه صداع الشقيقة القليل من المعرفة بشأن فقدان السيطرة على العقل، يوافق على المفهوم الإجمالي لبيتر، لكنه أراد رفع ذلك الحقير من حنجرته، ورميه في أحد الأفران، في الجهة الخلفية للكافيتيريا، والسؤال عن تلك المرضة المسكينة التي اعتدى عليها.

هل تذكر اسمها، بيتر؟ ممّ كانت تخاف برأيك؟ هاه؟ منك أنت. هــــذه هي الحقيقة. كانت تحاول القيام بعمل شريف. حين رزقها. ربما لديها أولاد وزوج. كانوا يحاولون ربما ادخار بعض المال لإرسال أحد أولــــئك الأولاد إلى الجامعة في يوم من الأيام، ومنحه حياة أفضل. إنه حلم صغير.

لكن، لا، ثمة حقير غني صغير قرر ألها لا تستطيع امتلاك هذا الحلم. عذراً، ولكن لا. لا حياة طبيعية لك، سيدتي. ليس بعد الآن.

نظر تيدي، عبر الطاولة، إلى بيتر برين، وأراد ضربه في وجهه بقوة كبيرة بحيث لا يعثر الأطباء أبداً على كل العظام في أنفه. ضربه بقوة كبيرة حداً بحيث، لا يغادر الصوت أبداً رأسه.

إلا أنه أغلق الملف بدلاً من ذلك، وقال: "كنت في جلسة العلاج، في الليلة ما قبل الفائتة، مع راشايل سولاندو. صحيح؟". "نعم، طبعاً، سيدى".

"هل رأيتها وهي تذهب إلى غرفتها؟".

"لا. غـادر الـرجال أولاً. كانت لا تزال حالسة مع بريدجت كيرنـز وليونورا غرانت والممرضة".

"تلك المرضة؟".

أوماً بيتر برأسه. "صاحبة الشعر الأحمر. أستلطفها أحياناً. تبدو صادقة. لكن في أحيان أخرى، هل تعرف؟".

قال تيدي "لا". وأبقى صوته ناعماً، بقدر ما كان صوت تشاك. "لا أعرف".

"حسناً، لقد رأيتها. صحيح؟".

"طبعاً. ما اسمها محدداً؟".

قــال بيتر: "لا تحتاج إلى اسم. امرأة مثل هذه؟ لا اسم لها. فتاة قذرة. هذا هو اسمها".

قال تشاك: "ولكن، بيتر، ظننت أنك قلت إنك تستلطفها".

"متى قلت ذلك؟".

"من دقيقة واحدة".

"أوه! إنما قذارة. إنما حقيرة".

"دعني أسألك شيئاً آخر".

"حقيرة، حقيرة، حقيرة".

"بيتر؟".

نظر بيتر إلى تيدي.

"هل أستطيع سؤالك شيئاً ما؟".

"بالطبع".

"هل حدث أي شيء غير اعتيادي في الجلسة، تلك الليلة؟ هل قالت راشايل سولاندو أي شيء، أو فعلت أي شيء خارج عن المألوف؟".

"لم تستفوه بكلمة. إنها فأرة. جلست فقط هناك. قتلت أولادها، هسل تعرف؟ ثلاثة منهم. هل تصدق ذلك؟ أي نوع من الأشخاص هؤلاء؟ إنّهم أشخاص مرضى ومقرفون في هذا العالم، سيدي، إذا كنت لا تمانع قولى ذلك".

قال تشاك: "يملك الناس مشاكل. بعضهم أكثر من الآخر. إنهم مرضى، مثلما قلت. يحتاجون إلى مساعدة".

قال بيتر: "يحتاجون إلى الغاز".

"عفو أ؟!".

قال بيتر لتيدي: "غاز. غاز للمتخلفين عقلياً. غاز للقتلة. قتلت أو لادها؟ غاز للعاهرة".

جلــسوا صامتين، وكان بيتر يتوهج، كما لو أنه أنار العالم لهما. بعد برهة، نقر على الطاولة ووقف.

"سررت بلقائكما. سأعود".

اســـتخدم تيدي قلم رصاص لتدوين ملاحظة على غلاف الملف، وتوقف بيتر ونظر إليه.

قال تيدي: "بيتر".

"نعم؟".

"أنا...".

"هل يمكنك التوقف عن ذلك؟".

كــتب تــيدي الأحرف الأولى من اسمه على الكرتونة بضربات طويلة و بطيئة. "كنت أتساءل إذا...".

"أرجوك، أرجوك، هل يمكنك...؟".

نظر تيدي إلى الأعلى، وهو لا يزال يضع قلم الرصاص فوق غلاف الملف. "ماذا؟".

"... التوقف عن ذلك؟".

"ماذا؟". نظر تيدي إليه، ومن ثم إلى الملف. رفع قلم الرصاص، ومن ثم رفع حاجبه.

"نعم، من فضلك. هذا".

وضع تيدي قلم الرصاص على الغلاف. "أفضل؟".

"شكراً لك".

"هل تعرف مريضاً، بيتر، اسمه آندرو لايديز؟". "اد"

"لا؟ لا أحد هنا بمذا الاسم؟".

هــزّ بيتــر كتفه. "ليس في الجناح أ. قد يكون في الجناح ج. لا نتعاطى معهم. إنهم مجانين".

قال تيدي: "حسناً، شكراً لك بيتر". ورفع قلم الرصاص محدداً، وعاد للحربشة.

بعد بيتر برين، أجريا مقابلة مع ليونورا غرانت. كانت ليونورا مقتنعة أنحا ماري بيكفورد، وتشاك هو دوغلاس فايربانكس، وتيدي هو تشارلي شابلين. اعتقدت أن الكافيتيريا هي مكتب في بولفار غروب الشمس، وقد احتمعوا هنا لمناقشة عرض في نقابة الفنانين المحترفين. استمرت في ملاطفة متن يد تشاك، وسؤاله عمّن سيتولى تدوين ملاحظات الاجتماع.

في السنهاية، اضطر الحارسان إلى سحب يدها عن معصم تشاك، فيما بكت ليونورا: "وداعاً حبيبي. وداعاً". في منتصف الكافيتيريا، أفلتت من الحارسين، وعادت إليهما، وأمسكت بيد تشاك.

قالت: "لا تنسَ إطعام الهرّة".

نظر تشاك إلى عينيها وقال: "حاضر".

بعد ذلك، التقيا بآرثر تومي الذي أصر على أن ينادياه حو. نام حو، خلال حلسة العلاج، تلك الليلة. تبين أن حو مصاب بمرض النوم العميق. نام مرتين معهما، في المرة الثانية طوال النهار، نوعاً ما.

كان تيدي يدرس المكان في رأسه. جعله ذلك يشعر بالحكاك في رأسه، وفيما شعر بالتعاطف مع كل المرضى، باستثناء برين، لم يكف عن التساؤل كيف يستطيع الإنسان تحمل العمل هنا.

جاء تراي مع امرأة صغيرة لها شعر أشقر ووجه على شكل قلادة. نبضت عيناها بالوضوح. ليس وضوح المجانين، وإنما الوضوح اليومي لامرأة ذكية في عالم أقل من ذكي. ابتسمت ولوّحت إلى كل منهما قبل أن تجلس.

تحقق تيدي من ملاحظات كاولي، بريدجت كيرنـــز.

قالت، بعدما جلسوا هناك لبضع دقائق: "لن أخرج أبداً من هنا". تسدخن سسجائرها حتى النصف فقط، قبل أن تطفئها، وكشفت عن صوت ناعم وواثق، علماً أنها قتلت زوجها بفأس، قبل عقد من الزمن تقريباً.

قالت: "لست واثقة من أنني سأحرج".

قال تاك: "لااذا؟ أعين، عدراً على قول ذلك، آنسة كيرنز...".

"سيدة".

"سيدة كيرنز. عذراً. لكنك تبدين طبيعية بالنسبة إليّ".

تراجعت إلى الخلف على كرسيها، بارتياح أكثر من أي شخص آخر التقيا به في هذا المكان، وأصدرت ضحكة ناعمة. "أفترض. لم أكن هكذا عندما حئت إلى هنا. أوه يا الله! أنا مسرورة لألهم لا يلتقطون الصور. تم تشخيصي باكتئاب هوسي، ولا أملك سبباً للشك في ذلك. لقد عشت أياماً سوداء. أعتقد أن الجميع يعيشون ذلك. الفرق هو، أن معظم الأشخاص لا يقتلون أزواجهم بفأس. قيل لي إنني أملك نزاعات عميقة مع والدي، وأوافق على ذلك أيضاً. أشك في أن أخرج وأقتل شخصاً مجدداً، لكنك لا تستطيع التأكد". وجهت طرف سيجارتها ناحيتهما. "أظن أنه إذا ضربك رجل وخانك مع بالفأس عملاً غير مبرر، بالنسبة إليك".

التقت عيناها بعيني تيدي، ثمة شيء في بؤبؤيها - ربما حجل فتاة المدرسة - جعله يضحك.

"ماذا؟". قالت، وهي تضحك معه.

قال لها: "ربما لا يجدر بك الخروج".

"تقول ذلك لأنك رجل".

"أنت محقة".

"حسناً، لا ألومك".

من المريح الضحك بعد بيتر برين، وتساءل تيدي إذا كان يغازل، قليلاً أيضاً، مريضة عقلية، قاتلة بفأس. هذا ما وصلت إليه، دولوريس. لكنه لم ينشعر بالسوء حيال ذلك، كما لو أنه، بعد هذين العامين القاتمين من الحداد، أصبح مخولاً للقيام ببعض المغازلة غير المؤذية.

قالت بريدجت: "ماذا سأفعل إذا خرجت؟ لم أعد أعرف ماذا يسوجد في ذلك العالم. قنابل، حسبما أسمع. قنابل تستطيع تحويل مدن

بكاملها إلى رماد. وأجهزة تلفزيون، هذا ما يسموها، أليس كذلك؟ ثمة شائعة تفيد أن كل جناح سيحصل على جهاز، وسنتمكن من رؤية برامج في هذه العلبة. لا أعرف إذا كنت سأحب ذلك. إنما أصوات خارجة من علبة، وجوه في علبة. أسمع ما يكفي من الأصوات، وأرى ما يكفي من الوجوه كل يوم. لا أحتاج إلى المزيد من الضجيج". سألها تشاك: "هل أخبرتني عن راشايل سولاندو؟".

تـوقفت. كـان ذلك أشبه بتوقف مفاجئ، ولاحظ تيدي عينيها تـشردان قليلاً، كما لو ألها تبحث في دماغها عن الملف الصحيح، ودوّن تيدى كلمة أكاذيب في دفتره، واضعاً معصمه فوق الكلمة ما إن انتهى.

صدرت كلماتما بروية أكبر، وفاحت منها رائحة الكذب.

"راشايل لطيفة كفاية. إنها كتومة. تتحدث كثيراً عن المطر، لكنها في أغلب الأحيان لا تتحدث أبداً. تعتقد أن أولادها لا يزالون على قيد الحياة. تعتقد أنها لا تزال تعيش في بيركشاير وأننا جميعاً حيران، وعمال بريد، وعمال توصيل. كانت تصعب معرفتها".

تحدثت، وهي توجه رأسها إلى الأسفل، وعندما انتهت، لم تحستطع النظر في عيني تيدي. ابتعدت نظر تما عن وجهه، وتمعنت في سطح الطاولة، وأشعلت سيجارة أخرى.

فكَــر تــيدي في ما قالته للتو، وأدرك أن وصفها لأوهام راشايل كان مطابقاً حرفياً، لما قاله لهما كاولي البارحة.

"كم مضى على وجودها هنا؟".

"هو ه؟".

"راشايل. كم مضى على وجودها في الجناح ب معك؟".

"ثلاثــة أعوام؟ حسبما أظن. أتوه في الوقت. يسهل ذلك في مثل هذا المكان".

سأل تيدي: "وأين كانت قبل ذلك؟".

"في الجناح ج، مثلما سمعت. تم نقلها حسبما أظن".

"لكنك لست أكيدة".

"لا. أنا... مجدداً".

"طبعاً. هل حدث أي شيء غير اعتيادي في آخر مرة رأيتها؟". "لا".

"كان ذلك في مجموعة".

"ماذا؟".

قال تيدي: "آخر مرة رأيتها فيها. كان ذلك في حلسة العلاج، في الليلة ما قبل الفائتة".

"نعم، نعم". أومأت برأسها مرات عدة، ونفضت بعضاً من رماد السيجارة فوق المنفضة. "في مجموعة".

"وهل ذهبتم إلى غرفكم جميعاً مع بعضكم بعضاً؟".

"نعم، مع السيد غانتون".

نظرت إلى الأعلى، ولاحظ تيدي الارتباك، وربما بعض الرعب على وجهها. "لا أعرف ماذا تقصد".

"هل كان الدكتور شيهان هناك في تلك الليلة؟".

نظرت إلى تشاك، ومن ثم إلى تيدي، وزمّت شفتها العليا على أسناها. "نعم، كان هناك".

"كيف شكله؟".

"الدكتور شيهان؟".

أومأ تيدي برأسه.

"إنه حيد. إنه لطيف. وسيم".

"وسيم؟".

"نعم. إنه... عيناه غير قاسيتين، مثلما كانت تقول أمي". "هل غازلك يوماً؟".

."צ"

"تودد منك؟".

"لا، لا، لا. الدكتور شيهان طبيب جيد".

"وتلك الليلة؟".

"تاك الليلة؟". فكّرت في الأمر قليلاً. "لم يحدث أي شيء غير اعتيادي تلك الليلة. تحدثنا عن السيطرة على الغضب؟ وتذمرت راشايل مـن المطر. وغادر الدكتور شيهان مباشرة قبل انتهاء الجلسة، ورافقنا السيد غانتون إلى غرفنا، وذهبنا إلى الأسرة، وهكذا كان".

كتب تيدي في دفتره مدرّبة تحت كلمة أكاذيب، وأغلق الملف.

"هكذا فقط؟".

"نعم. في صباح اليوم التالي، اختفت راشايل".

"صباح اليوم التالي؟".

"نعم. استيقظت وسمعت ألها هربت".

"لكن تلك الليلة، قرابة منتصف الليل، سمعت ذلك، صحيح؟".

"سمعت ماذا؟". أطفأت سيجارتها، ولوّحت للدخان الذي صدر

منها.

"الفوضى. حين تم اكتشاف احتفائها".

"لا، كنت...".

"كـــان هناك صراخ، وضحيج، وركض الحراس في كل مكان، وأُطلقت صفارات الإنذار".

"ظننتُ أنه حلم".

"حلم؟!".

أومــأت بسرعة قائلة: "طبعاً. كابوس". نظرت إلى تشاك. "هل أستطيع الحصول على كوب من الماء؟".

"طبعاً". وقف تشاك ونظر حوله، ورأى كدسة من الأكواب، في الجهة الخلفية للكافيتيريا، قرب براد من الفولاذ.

وقف أحد الحراس، نصف وقفة عن كرسيه. "حضرة المارشال؟". "أريد فقط بعض الماء. لا بأس".

وصــل تشاك إلى البراد، وأخذ كوباً زجاجياً، واحتاج إلى بضع ثوان ليقرر أي خرطوم يضخ الحليب، وأي خرطوم يضخ الماء.

فيما رفع الخرطوم، الذي هو عبارة عن مقبض سميك، بدا مثل ظفر معدني، أحذت بريدجت كيرنز دفتر تيدي وقلمه. نظرت إليه مباشرة، في عينيه، وفتحت على صفحة نظيفة، وخربشت شيئاً عليها، ثم أغلقت الدفتر، وأعادت إليه الدفتر والقلم.

وجه إليها تيدي نظرة محتارة، لكنها أفلتت عينيه، والطفت علبة سجائرها.

عـاد تشاك مع الماء وجلس. راقبا بريدجت، وهي تشرب نصف الكوب، ثم تقول: "شكراً. هل هناك المزيد من الأسئلة؟ أنا متعبة نوعاً ما".

سألها تيدي: "هل التقيت يوماً بمريض اسمه آندرو لايديز؟".

لم يكسشف وجهها عن أي تعبير. أبداً على الإطلاق. بدا وكأنه تحسول إلى حجر. بقيت يدها مسطحة على الطاولة، كما لو أن رفعها عنها سيدفع الطاولة إلى الطيران نحو السقف.

لم يعرف تيدي السبب، لكنه أيقن تماماً أنها كانت على وشك البكاء.

قالت: "لا. لم أسمع به أبداً".

سأل تشاك: "هل تظن أنه جرى تدريبها؟". "ألس كذلك؟".

"حسناً، بدت الأجوبة مصطنعة قليلاً".

كانا في الممر الذي يصل آشكليف بالجناح ب، وباتا الآن تحت المطر، وتساقط الماء على بشرقهما.

"قليلاً؟ استخدمت الكلمات نفسها التي استخدمها كاولي في بعض الحالات. حين سألناها عن موضوع جلسة العلاج، توقفت قليلاً ثم قالت السيطرة على الغضب؟ كما لو ألها لم تكن واثقة. كما لو ألها كانت تخضع لامتحان، وأمضت الليل بكامله وهي تدرس".

"ماذا يعنى ذلك؟".

قال تيدي: "اللعنة عليّ إذا كنت أعرف! كل ما أحصل عليه هو أسئلة. كل نصف ساعة، كما لو أن هناك ثلاثين سؤالاً إضافياً".

قال تشاك: "أوافقك الرأي. هاي، إليك هذا السؤال؛ من هو آندرو لايديز؟".

"هل انتبهت إلى ذلك؟". أشعل تيدي إحدى السجائر التي ربحها في البوكر.

"سألت كل مريض تحدثنا إليه".

"لم أسأل كين أو ليونورا غرانت".

"تيدي، لا يعرفان على أي كوكب يعيشان". "صحيح".

"أنا شريكك، سبدى".

اتكأ تيدي إلى الخلف، على الجدار الحجري، وانضم تشاك إليه. برم رأسه، ونظر إلى تشاك.

قال له: "التقينا للتو".

"أوه، لا تثق بسي".

"أثــق بك، تشاك، أكيد. لكنني أخرق القوانين هنا. طلبتُ هذه القضية، بالتحديد، لحظة وصلت إلى المكتب الميداني".

"إِذاً؟".

"إذاً، دوافعي ليست موضوعية تماماً".

أوماً تشاك برأسه، وأشعل سيجارة منه. "فتاتي، حولي - حولي تاكيتومي - هذا هو اسمها. إلها أميركية بقدري أنا. لا تتحدث أي كلمة يابانية. جاء أهلها قبل حيلين إلى هذا البلد. لكنهم وضعوها في مخيم، ومن ثم...". هز رأسه ثم رمى سيجارته تحت المطر، ورفع قميصه، كاشفاً عن البشرة فوق وركه الأيمن. "انظر تيدي. انظر إلى ندبتي الأحرى".

نظر تيدي. كانت ندبة طويلة ومثل الهلام، سميكة بقدر إهامه.

"لم أصب هذه الندبة، في الحرب أيضاً. أصبت ها، في أثناء عملي مسع المارشالات. دخلنا عبر باب في تاكوما. طعنني الرجل الذي كنا نظارده بسيف. هل تصدق ذلك؟ سيف لعين! أمضيت ثلاثة أسابيع في المستشفى، حيث قاموا بتقطيب أحشائي. في خدمة المارشالات الأميركيين، تيدي. في خدمة بلدي. ثم يطردونني من القسم الذي أعمل فيه، لأني مغرم بامرأة أميركية لها بشرة وعينان آسيويتان". أنزل قميصه مجدداً. "اللعنة عليهم!".

قــال تيدي، بعد برهة: "بالرغم من أنني لا أعرفك حيداً، أقسم إنك مغرم فعلاً كمذه المرأة".

قــال تشاك: "إنني مستعد للموت من أجلها. لا أندم على ذلك أيضاً".

أومأ تيدي برأسه. ما من شعور أنقى في هذا العالم برأيه.

"لا تتخل عن هذا الشعور، صديقي".

"لــن أفعــل تــيدي. هذا هو المهم. لكنك ستخبري عن سبب وجودنا هنا. من هو آندرو لايديز؟".

رميى تيدي كعب سيجارته في الممر الحجري، ثم سحقه بكعب حذائه.

خاطب نفسه: دولوريس على إخباره. لا أستطيع فعل ذلك وحدي.

إذا كان بعد كل خطاياي - كل شربسي للكحول، كل الأوقات التي تركتك فيها لوحدك لفترة طويلة، وخذلتك، وحطمت قلسبك - إذا كان في وسعي التعويض عن أي من ذلك، قد يكون هذا هو الوقت، الفرصة الأخيرة التي أملكها.

أريد فعل ذلك بالطريقة الصحيحة، حبيبتي. أريد التعويض. ستفهمين ذلك أنت، وكل الأشخاص.

حاطب تــشاك "آندرو لايديز". وعلقت الكلمات في حنجرته الجافة. ابتلع، وحجز بعض الريق في فمه، ثم حاول مجدداً...

قـــال: "آندرو لايديز، كان رجل الصيانة، في المبنى الذي عشت فيه وزوجتي".

"حسناً".

"كان أيضاً يحب إحراق الأشياء".

استوعب تشاك ذلك، وتأمل وجه تيدي.

"إذاً...".

قسال تسيدي: "آنسدرو لايديز أشعل عود الثقاب الذي سبب الحريق...".

"اللعنة!".

"... الذي قتل زوجتي".

مــشى تيدي إلى حافة الممشى، وأخرج رأسه من تحت السقيفة لتبلــيل وجهــه وشـعره. استطاع رؤيتها في القطرات. تذوب بفعل الاحتكاك.

لم تــشأ أن يذهب إلى العمل ذلك الصباح. في السنة الأخيرة من حــياها، أصبحت خائفة بطريقة غير مبررة، عرضة للأرق الذي تركها مليئة بالرعب والتشوش. داعبته، بعدما توقف جرس المنبّه، ثم اقترحت أن يغلقــا الــستائر وينسيا النهار ولا يغادرا السرير أبداً. حين عانقته، تشبثت به بقوة كبيرة، ولفترة طويلة، وأحس تيدي بالعظام في ذراعيها تنسحق في عنقه.

فيما كان يستحم، جاءت إليه، لكنه كان مستعجلاً جداً، وقد تأخر أصلاً، وكما هي حاله غالباً هذه الأيام، يعاني من آثار الثمالة. كان رأسه مفتقداً إلى الحيوية ومليئاً بالأشواك في الوقت نفسه. بدا جسمها مثل الورق الرملي حين ضغطت بجسمها على جسمه. كان الماء النازل من الدوش مثل الرصاص.

قالت: "ابقَ معي يوماً واحداً. أي فرق سيحدثه يوم واحد؟".

حـــاول الابتـــسام، فيما أبعدها برفق عن طريقه، وتمدد لإحضار الصابون. "حبيبتي، لا أستطيع".

"لاذا؟".

"هات. أعطين الصابون". قضمت بأسناها صدره.

حاول ألا يدفعها. أمسكها بكتفيها بأكبر رفق ممكن، وأرجعها خطوة أو خطوتين. قال لها: "هيا. على فعلاً الذهاب".

ضحكت قليلاً، وحاولت مداعبته مجدداً، لكنه استطاع رؤية عينيها تمتل بالسيأس في أن تكون سعيدة، من أن لا تبقى وحيدة، من أن تعيد الأيام القديمة – قبل أن بدأ العمل كثيراً، وشرب الكحول كثيراً – قبل أن تستيقظ ذات صباح، ويبدو العالم ساطعاً جداً، صارخاً جداً، بارداً جداً.

"حسناً، حسناً". تراجعت إلى الخلف بحيث استطاع رؤية وجهها، فيما تناثر الماء عن كتفيه وبلل جسمها. "سأعقد صفقة معك. ليس اليوم كله، ساعة واحدة فقط. تأخر فقط ساعة واحدة".

"أصلاً لقد...".

"ساعة واحدة". قالت وهي تربّت عليه مجدداً، وقد امتلأت يدها برغوة الصابون الآن. "ساعة واحدة ثم يمكنك الذهاب". رفعت نفسها على أطراف أصابع قدميها لتقبيله.

قــبلها بسرعة كبيرة على الشفتين وقال لها: "حبيبتي لا أستطيع". وبرم وجهه نحو رذاذ الدُّوش.

قالت: "هل سيتم استدعاؤك محدداً؟".

"هوه؟".

"إلى القتال".

"ذلك الجرب قبل أن أربط "ذلك الحرب قبل أن أربط شريط حذائي".

قالت: "لا أعرف. لا أعرف حتى، لماذا نحن هنا. أقصد...".

"لأن جيوش كجيش كوريا الشمالية لا تحصل على أسلحة كهذه من أي مكان، حبيبتي. حصلت الجيوش عليها من ستالين. علينا

الإثبات أننا تعلمنا من ميونيخ، أنه كان علينا توقيف هتلر حينها، لكي نتمكن من وقف ستالين وماو، الآن، في كوريا".

"ستذهب".

"إذا تم استدعائي؟ أنا مجبر. لكنهم لن يفعلوا حبيبتي". "وكيف تعرف؟".

غسل شعره بالشامبو.

"هـــل تساءلت يوماً لماذا يكرهوننا إلى هذه الدرجة؟ الشيوعيون؟ لماذا لا يتركوننا وشأننا؟ سينفجر العالم، ولا أعرف حتى، لماذا".

"لن ينفجر".

"بلي. أقرأ الصحف و...".

"إذا توقفي عن قراءة الصحف".

شطف تيدي شعره بالماء، وضغطت بوجهها على ظهره، ولفّت يسديها حول بطنه. "أذكر المرة الأولى التي رأيتك فيها في الغروف. في بذلتك العسكرية".

يكره تيدي حين تفعل ذلك. شريط الذكريات. لا تستطيع التكيف مع الحاضر، حيث هما الآن، مع المشاكل وكل شيء، ولذلك تعود بشريط الذكريات إلى الوراء لتدفئة نفسها.

"كنت وسيماً حداً. وقالت ليندا كوكس: أنا من رآه أولاً. لكن هل تعرف ماذا قلت لها؟ لقد تأخرت حبيبتي".

"لماذا قلت ذلك؟ لا. قلت: لقد رأيته أولاً ربما، ليندا، لكنني سأراه أخيراً". رأت أنك تبدو حقيراً عن قرب، لكنني قلت لها: "حبيبتي، هل نظرت في عينيه. ما من شيء حقير فيهما".

أغلـــق تيدي صنبور الدوش واستدار، ولاحظ أن زوجته نجحت في وضع بعض من صابونه عليها. تناثرت بقع من رغوة الصابون على لحمها.

"هل تريدين أن أفتح صنبور الدُّوش مجدداً؟". هزّت رأسها.

لف منشفة حول خصره، وحلق أمام المغسلة، واتكأت دولوريس على الجدار، فيما جفت بقع الصابون البيضاء على حسمها وقفت تراقبه.

قال تيدي: "لماذا لا تجففين نفسك. أو تضعين عليك ثوباً؟".

قالت: "لقد احتفى الماء الآن".

"لا، لم يختف. يبدو مثل طفيليات بيضاء عالقة عليك".

قالت: "ليس الصابون".

"ماذا إذاً؟".

"كوكونات غروف. احترق بكامله فيما كنت هناك".

"نعم، حبيبتي. سمعت ذلك".

"هــناك". أنــشدت بــرفق، وهي تحاول بث المرح في الأجواء. "هناك...".

لطالما امتلكت صوتاً جميلاً. الليلة التي عاد فيها من الحرب، نـــزلا في غرفة في فندق باركر هاوس، وبعدما أقاما علاقة حميمة، سمعها تغني للمرة الأولى من الحمام، فيما كان مستلقياً على السرير؛ فتيات بافلو، فيما حرج البخار من تحت الباب.

قالت: "هاي".

"نعـم؟". رأى انعكاس الجهة اليسرى من جسمها في المرآة. لقد حف معظم الصابون على بشرتها وأزعجه ذلك. أوحى ذلك باعتداء، بطريقة لا يستطيع وضع إصبعه عليه.

"هل لديك امرأة أخرى؟".

"ماذا؟".

"قل لي".

"عمّ تتحدثين؟ أنا أعمل، دولوريس".

هــزّت كتفها، كما لو أنه لا علاقة للموضوع بالحديث الحالي. وضــعت قدمها على الجدار، واستحدمت إصبعاً لمسح الماء عن فخذها

وصفعت فدمها على الجدار، واستحدمت إصبعا لمسح الماء عن الداخلي. "لم تعد تقيم علاقة حميمة معي".

"دولوريس، أنا جادٌّ لا تتحدثي بهذه الطريقة في المنزل".

"عليّ الافتراض إذاً، أنك تقوم بذلك معها".

"أنا لا أقـوم بأي شيء، مع أحدٍ، وهلا توقفت عن لفظ هذه الكلمة؟".

"أي كلمة؟". وضعت يدها أسفل بطنها. "علاقة حميمة؟".

"نعم". رفع يده. تابع الحلاقة باليد الأخرى.

"هل هي سيئة؟".

"تعــرفين أنها كذلك". أنــزل الشفرة إلى حنجرته، وسمع صوت خربشة الشعيرات عبر رغوة الصابون.

"ما هي إذاً الكلمة الجيدة؟".

"هوه؟". غمس الفرشاة في الماء وهزّها.

"أي كلمة لا تجعلك تشعر بالغضب؟".

"لم أغضب".

"بلي".

أنهى حلاقة حنجرته، ومسح الشفرة بفوطة. وضع القسم المسطح منها تحت شارب خدّه الأيسر.

"لا، حبيبتي. لم أغضب". نظر إلى عينيها عبر المرآة.

"ماذا يفترض بــــى القول؟".

"دولوريس".

قالت: "أحمق".

انـــزلقت الشفرة عميقاً جداً في بشرة تيدي، لدرجة شك أنها وصــلت إلى عظم فكه. اتسعت عيناه وأشرق كل الجانب الأيسر من وجهــه، ثم دخل بعض من رغوة الحلاقة إلى الجرح، وسال الدم داخل الغيوم البيضاء والماء الذي في المغسلة.

أعطته منشفة، لكنه دفعها بعيداً، وامتص الهواء عبر أسنانه، وترك الألم يحفر داخل عينيه، يتغلغل في دماغه، ونــزف فوق المغسلة، وشعر أنه على وشك البكاء. ليس من الألم. ليس من آثار الثمالة. وإنما لأنه لا يعـرف مـاذا يحدث لزوجته، الفتاة التي رقص معها للمرة الأولى في كوكونات غروف. لا يعرف ماذا أصبحت، أو، ماذا أصبح العالم مع حـروبه الصغيرة والقذرة، ومع الكراهية والتجسسات في واشنطن، في هولــيوود، أقنعة الغازات في المدارس، مع ملاجئ إسمنتية من القنابل في الطوابــق الأرضــية. وكل شيء مترابط نوعاً ما؛ زوجته، هذا العالم، شربه للكحول، الحرب التي شارك فيها لأنه اعتقد، فعلاً، أنها ستنهي، كا ذلك...

نـــزف في المغسلة، وقالت دولوريس: "أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة أنا آسفة أنا آسفة أنا أسفة ألله أن المنظم أو النظر إليها. استطاع سماع الدموع في صوتها، وعرف أن هناك دموعاً في عينيها، وعلى وجهها، وكره كم أصبح العالم لعيناً، وفاحشاً تماماً، مثل كل شيء فيه.

* * *

في الصحيفة، قيل إن آخر شيء قاله لزوجته، هو أنه يحبها. كذبة.

آخر شيء قاله فعلاً؟

تمدد نحو مقبض الباب، وضغط بمنشفة ثالثة على فكه، فيما بحثت عيناها في وجهه:

"الله، دولــوريس، علــيك استجماع قواك. لديك مسؤوليات. فكّري فيها أحياناً اتفقنا؟ وفكّري في طريقة صحيحة.

كانت تلك الكلمات الأخيرة التي سمعتها منه زوجته. أغلق الباب، ونزل السلالم، وتوقف عند الدرجة الأخيرة. فكّر في العودة. فكّر في صعود السلالم مجدداً والدخول إلى الشقة وتسوية الأمور نوعاً ما. أو على الأقل جعل الأمور أكثر هدوءاً.

أكثر هدوءاً. كان ذلك أفضل.

المرأة، صاحبة الندبة السوداء على حنجرتها، جاءت تتمايل في المسر صوبهما، وكانت مكبلة في الكاحلين والمعصمين، مع حارس على كل جانب. بدت سعيدة، وأصدرت أصوات بطة، وحاولت التصفيق بمرفقيها.

قال تشاك: "ماذا فعلت؟".

أجاب الحارس: "هذه؟ إنها ماغي العجوز. نسميها ماغي مونباي. إنها ذاهبة الآن إلى غرفة العلاج المائي. لكننا لا نستطيع المحازفة معها.

تـوقفت ماغـي أمامهما، وأسرع الحارسان لمنعها من التحرك، لكـنها دفعـتهما بمـرفقيها، وضربت قدميها على الأرض، فبرم أحد الحارسين عينيه وتنهد.

"أصبحت الآن مهتدية. هل تسمعان؟".

حدّقت ماغي إلى وجهيهما، وأمالت رأسها إلى اليمين، وتحركت مثل السلحفاة، التي تتحسس طريقها خارج قوقعتها. قالـــت: "أنا الطريق. أنا النور. ولن أخبز فطائر كما اللعينة. لن أفعل. هل تفهمان؟".

قال تشاك: "طبعاً".

قال تيدي: "حاضر. لا فطائر".

"حئتما إلى هنا. ستبقيان هنا". شمت ماغي الهواء. "إنه مستقبلكما وماضيكما، وهو يدور مثل دورات القمر حول الأرض".

"نعم سيدق".

انحنت صوبهما وشمتهما. أولاً تيدي، ومن ثم تشاك.

"إلهم يحتفظون بأسرار. هذا ما يبقى الجحيم هنا".

قال تشاك: "حسناً، هذا، والفطائر؟".

ابتـــسمت له، وبدا لبرهة أن شخصاً عاقلاً دخل حسمها، وظهر عبر بؤبؤيها.

"اضحك". قالت لتشاك. "هذا جيد للروح. اضحك".

قال تشاك: "حسناً. سأفعل سيدتي".

لمست أنفه بإصبع معقوف. "أريد أن أذكرك هذه الطريقة؛ وأنت تضحك".

ثم استدارت بعيداً، وبدأت تمشي. لحق بها الحارسان، ومشيا معها في الممر، وعبر باب جانبي يؤدي إلى المستشفى.

قال تشاك: "فتاة مضحكة".

"من النوع الذي تحضره إلى المنزل لأمك".

"ثم تقـــتل أمــك، وتدفــنها خارج المنــزل، لكن بالرغم من ذلك...". أشعل تشاك سيحارة. "لايديز".

"قتل زوجتي".

"أنت قلت هذا. كيف؟".

"كان مهووساً بالنار". "قلت ذلك أيضاً".

"كان أيضاً عامل الصيانة في المبنى عندنا. تشاجر مع المالك. طرده المالك. في ذلك الوقت، عرفنا جميعاً أن الحريق كان مفتعلاً. أشعله شخص ما. كان لايديز على لائحة المشتبه بهم، لكنهم احتاجوا إلى بعض الوقت للعثور عليه، وحين فعلوا، حصل على البراءة. اللعنة! لم أكن واثقاً، حتى من أنه هو".

"وما الذي غيّر رأيك؟".

"قــبل سنة، فتحت الجريدة ووجدته. أحرق مدرسة، حيث كان يعمــل. القصة نفسها؛ طردوه وعاد، وأشعل الطابق الأرضي، وشغّل الغلايــة لكــي ينفجر المبنى. تماماً مثلما حصل عندنا. الأمر مشابه. لم يكــن هناك أولاد في المدرسة، وإنما فقط المديرة التي كانت تعمل حتى وقــت متأخــر. ماتت. تمت إحالة لايديز إلى المحاكمة، وزعم أنه سمع أصــواتاً، وحكموا عليه بالذهاب إلى شاتاك. حدث شيء هناك - لا أعرف ماذا - لكن تم نقله إلى هنا، قبل ستة أشهر ".

"لكن، لم يره أحد".

"في الجناحين أ وب".

"ما يوحي أنه في الجناح ج".

"نعم".

"أو ميت".

"ربما. وهذا سبب آخر للعثور على المدافن".

"لكن فلنقل إنه ليس ميتاً".

"حسناً...".

"إذا عثرت عليه، تيدي، ماذا ستفعل؟".

"لا أعرف".

"لا تسخر مني سيدي".

جاءت ممرضتان نحوهما، وكانتا تطقطقان بأحذيتهما، وتسيران بمحاذاة الجدار، لتفادى المطر.

قالت إحداهما: "أصبحتما مبللين أيها الرجلان".

قـال تشاك: "بالكامل؟". وضحكت تلك التي كانت أقرب إلى الجدار، فتاة قصيرة صاحبة شعر أسود قصير.

بعـــدما مرّتا، استدارت الممرضة، صاحبة الشعر الأسود، نحوهما وقالت: "هل تغازلون هكذا دوماً أيها المارشالات؟".

قال تشاك: "حسب".

"ماذا؟".

"نوعية الموظفات".

توقف تا لـــبرهة، وعندما فهمتا، دفنت الممرضة، صاحبة الشعر الأســود القــصير، وجههـا في كتف الممرضة الأخرى، وانفجرتا في الضحك، وتوجهتا نحو باب المستشفى.

يا الله! كم يحسد تيدي تشاك. قدرته على تصديق الكلمات التي يلفظها. في مغازلات سخيفة. في ميله السهل إلى لعب سريع وسخيف بالكلمات! ولكن أكثر من كل ذلك خفة دمه وسحره!

لم يتوافـــر السحر يوماً بسهولة لتيدي. بعد الحرب، أصبح الأمر أكثر صعوبة. بعد دولوريس، اختفى تماماً.

كان السحر ترفاً للذين لا يزالون يعتقدون بالاستقامة الأساسية للأمور. في النقاوة والحدود المستقيمة.

قــال لتــشاك: "تعرف، في آخر صباح مع زوجتي، تحدثت عن حريق كوكونات غروف".

"حقاً؟!".

"هناك التقينا. في الغروف. كانت تملك تلك الصديقة الغنية، وتم السماح لي بالدخول لأنهم منحوا حسماً للعسكريين. كان ذلك مباشرة، قبل سفري. رقصت ، نها طوال الليل. حتى رقصة الفوكستروت".

أبعــد تشاك عنقه عن الجدار، ونظر إلى وجه تيدي. "هل ترقص الفوكستروت؟ أحاول تصور ذلك، ولكن...".

قـــال تيدي: "هاي سيدي، لو رأيت زوجتي تلك الليلة! لكنت قفزت عن الأرض مثل الأرنب لو طلبت منك ذلك".

"التقيت بما إذاً، في الكوكونات غروف".

أوماً تيدي برأسه. "ثم احترق فيما كنت في إيطاليا؟ نعم، كنت في إيطاليا حينها؛ ووحدت ذلك خطيراً. كانت تخاف كثيراً من النار". قال تشاك بهدوء: "لكنها ماتت بالنار".

"سخرية القدر، أليس كذلك؟".

استرجع تيدي صورة لها، من ذلك الصباح الأخير، وهي ترفع ساقها على حدار الحمام، عارية، وحسمها ملطخ ببقع الرغوة البيضاء. "تيدي؟".

نظر تيدي إليه.

بسط تشاك يديه. "سأدعمك في هذه القضية. مهما كلف الأمر. تريد العثور على لايديز وقتله؟ هذا غرامي".

"غرام". ابتسم تيدي. "لم أسمع هذه الكلمة منذ...".

"ولكن، سيدي، أريد معرفة ما يمكن توقعه. أنا حادّ. علينا إنجاز مهمتنا بسرعة، وإلا سننتهي في محكمة، أو قضية حديدة. الجميع يفتشون هذه الأيام، هل تعلم؟ يبحثون عنا جميعاً. يراقبون، يصبح العالم أصغر، دقيقة بعد دقيقة".

أرجع تيدي إلى الخلف كتلة شعره السميك النازلة على جبينه. "أظن، أنك تعرف شيئاً لم تخبرني به. أظن، أنك جئت إلى هنا، لإلحاق الأذى".

وضع تيدي يده فوق قلبه.

"أنا جادٌّ، سيدي".

قال تيدي: "نحن مبللان".

"إذاً".

"برأيي، هل سنهتم إذا أصبحنا مبللين أكثر؟".

* * *

غــادرا بعد ذلك، وتوجها إلى الشاطئ. غطى المطر كل شيء. مــوجات، بحجــم المنازل، ارتطمت بالصخور. كانت تعلو كثيراً في الهواء، ثم تتناثر لإفساح المجال أمام موجات جديدة.

صرخ تيدي فوق الهدير: "لا أريد قتله".

."**?**''

."צ"

"لست واثقاً من أنني أصدقك".

هز تيدي كتفه.

قال تشاك: "لو كانت زوجتي؟ لقتلته مرتين".

قال تيدي: "تعبت من القتل. في الحرب؟ لهت كثيراً. كيف يمكن ذلك تشاك؟ لكنني فعلتها".

"بالرغم من ذلك. إنها زوجتك، تيدي".

عثراً على مجموعة من الصخور السوداء، الحادة، التي قذفها البحر، إلى بين الأشجار، ووصلت إلى اليابسة.

قال تيدي: "انظر". بعد أن وصلا إلى سهل مرتفع ودائرة من

الأشـــجار العالية، التي حجبت بعض المطر. "لا أزال أضع العمل المهني أولاً. نعرف ماذا حصل لراشايل سولاندو. وإذا صادفت لايديز في أثناء قيامي بذلك؟ يكون هذا رائعاً. سأقول له إنني أعرف أنه قتل زوجتي. سأقول له إنني سأكون في انتظاره على اليابسة حين يتم إطلاق سراحه. سأقول له إنه لن يستطيع تنفس الهواء الحر طالما أنا على قيد الحياة".

قال تشاك: "هذا كل شيء؟".

"هذا كل شيء".

مــسح تشاك عينيه بكمّه، وأبعد شعره عن جبينه. "لا أصدقك. فعلاً، لا أصدقك".

نظر تسيدي إلى جنوب حلقة الأشجار، ورأى أعلى مستشفى آشكليف ومبانيها.

"هل تظن أن كاولي يعرف السبب الحقيقي لوجودك هنا؟".

"أنا هنا فعلاً، من أجل راشايل سولاندو".

"لكــن اللعنة، تيدي، إذا كان الرجل الذي قتل زوجتك موجوداً هنا، إذاً...".

" لم تــــتـم إدانـــته بذلك. ما من شيء يربطنا ببعض أنا وهو. لا شيء".

جلس تشاك على صخرة ناتئة، وأخفض رأسه للمطر. "المدافن إذاً. لم لا نسرى إذا كسنا نستطيع العثور عليها، بعد أن أصبحنا الآن خارجاً؟ إذا رأيسنا مدفناً للايديز، نعرف أن نصف المعركة يكون قد انتهى".

نظر تيدي إلى حلقة الأشجار، إلى العمق الأسود فيها. "جيد". وقف تشاك. "بالمناسبة، ماذا قالت لك؟".

"من؟".

"المريضة". شبك تشاك أصابعه. "بريدجت. أرسلتني لأحضر لها الماء. قالت لك شيئاً ما. أعرف".

."צ"

"لا؟ أنت تكذب. أعرف ألها...".

قال تيدي: "كتبته". وربّت على حيوب معطفه بحثاً عن دفتره.

أخيراً، عثر عليه، في جيبه الداخلي، وبدأ يقلُّب صفحاته.

بدأ تشاك يصفر، ويطرق بقدميه على الأرض اللزجة تحتهما.

حين وصل إلى الصفحة، قال تيدي: "أدولف، يكفي".

جاء تشاك إليه. "هل وجدتما؟".

أوماً تيدي برأسه، وبرم الدفتر بحيث يستطيع تشاك رؤية الصفحة، الكلمة الوحيدة المكتوبة عليها، بخربشة صغيرة بدأت تنزف تحت المطر:

اهرب

عثرا على الصخور، على مسافة نصف ميل تقريباً، داخل اليابسة، فيما أسرعت السماء نحو الظلمة. تحت الغيوم الملبدة.

كانت الصحور فوق أجراف سبخة حيث عشب البحر ضئيل وزلق تحت المطر، واتسخا بالوحل عند شق طريقهما بصعوبة نحو الأعلى.

ثمة حقل تحتها، مسطح مثل الجهات السفلية للغيوم، خال من كل شيء باستثناء شجيرة أو اثنتين، وبعض الأوراق السميكة التي قذفتها العاصفة، ومجموعة من الصخور الصغيرة التي افترض تيدي، أساساً، ألها حاءت مع الأوراق، بفعل قوة الرياح. توقف في منتصف الطريق، عند الجهة البعيدة من المنحدر، ونظر إليها مرة جديدة.

كانست منتشرة عبر الحقل، على شكل كومات صغيرة ومحكمة، وفصلت بين الكومة والأخرى مسافة ستة إنشات، تقريباً، فوضع تيدي يده على كتف تشاك، وأشار إليها.

"ما عدد الكومات التي تستطيع إحصاءها؟".

قال تشاك: "ماذا؟".

قال تيدي: "تلك الصخور. هل تراها؟".

"نعم".

"إنها مكوّمة على نحو منفصل. كم عددها برأيك؟".

وجّــه تشاك إليه نظرة، كما لو أن العاصفة ضربت رأسه. "إنها صخور".

"أنا جادّ".

أعطاه تشاك واحدة أخرى من تلك النظرات، ثم وحّه انتباهه إلى الحقل. بعد دقيقة، قال: "عددت عشرة".

"وأنا أيضاً".

انخــسف الوحل تحت قدم تشاك، فانــزلق، لكنه تشبث بذراع التقطه بها تيدي، وأمسكه بها إلى أن سوّى تشاك نفسه.

قـــال تـــشاك: "هل نستطيع النـــزول؟". ووجه إلى تيدي إيماءة انـــزعاج.

شــقا طريقهما نحو الأسفل، وذهب تيدي إلى كومات الصخور، ورأى أهــا تشكّل خطين، واحداً فوق الآخر. بعض الكومات أصغر كثيراً من كومات أخرى. احتوت بعض الكومات فقط على ثلاث أو أربع صخور، فيما احتوت كومات أخرى على أكثر من عشر صخور، أو ربما حتى عشرين.

مـــشى تـــيدي بـــين الخطين، ثم توقف، ونظر إلى تشاك وقال: "أخطأنا في العد".

"كيف؟".

"بين هاتين الكومتين هنا؟". انتظر تيدي حتى ينضم إليه وراحا ينظران معاً. "ثمة صخرة واحدة هنا. إنما كومة بحدّ ذاتما".

"في هذا الهواء؟ لا. وقعت؟".

"إنها على مسافة متساوية من الكومات الأخرى. على مسافة نصف قدم من الكومة إلى اليسار، ومسافة نصف قدم من الكومة إلى السيمين. وفي الصف التالي، يحصل الشيء نفسه مرتين أيضاً. صحرة لوحدها".

"إِذاً؟".

"هناك إذاً، ثلاث عشرة كومة من الصخور، تشاك". "تظن ألها هي من ترك هذا. أليس كذلك؟". "أظن أن أحداً فعلها".

"رمز آخر".

قال تشاك: "إنه، ربما، دمج لقفل العالم الأكبر".

أغلق تيدي الدفتر، ووضعه في جيبه. "ملاحظة جيدة".

قال تاشكراً لك. شكراً لك. سأظهر مرتين، ليلياً، في كاتسكيلز. ستأتى لتشاهدن، أليس كذلك؟".

سحب تيدي المعطف مجدداً عن رأسه ووقف، فالهمر المطر مجدداً عليه، وعثرت الريح على صوته.

توجها شمالاً، فيما امتدت الأجراف إلى اليمين، وبرزت مستشفى آشكليف إلى يسارهما في مكان ما، وسط الريح والمطر. ازدادت قوة المطر بشكل كبير، خلال النصف ساعة التالية، ومشيا ملتصقين ببعضهما، لكى يسمعا حديث بعضهما بعضاً، وكانا يتمايلان مثل ثملين.

"سألك كاولي إذا كنت في مخابرات الجيش. هل كذبت عليه؟".

قال تيدي: "نعم ولا. سرحت من الجيش النظامي".

"لكن، كيف دخلت إليه؟".

"من الأساس. تم إرسالي إلى كلية اللاسلكي". "ومن هناك؟". "دورة في كلية الحرب، وبعدها، نعم، في المخابرات". "لكن، كيف انتهيت في الجيش النظامي؟".

"ارتكبت خطأ فظيعاً". توجب على تيدي الصراخ في وجه الرياح. "نسفت تفكيك رموز إحداثيات موقع العدو".

"كم كان ذلك سيئاً؟".

لا يرزال باستطاعة تيدي سماع الضجيج الذي وصل عبر اللاسلكي. كان هناك صراخ، سكوت، بكاء، سكوت، نار بندقية. يليه المزيد من الصرحات، والمزيد من البكاء، والمزيد من السكوت. وصوت ولد، في الخلفية القريبة، لكل ذلك الضجيج، يقول: "هل ترى إلى أين ذهب باقى جسمى؟".

صرخ تيدي في الهواء: "نصف كتيبة تقريباً، تمت تصفيتها مثل رغيف اللحم".

لم يكن هناك شيء سوى صوت العاصفة في أذنيه، لدقيقة، ثم صرخ تشاك: "أنا آسف. هذا مريع".

تـسلقا هـضبة صغيرة، وكاد الهواء، في الأعلى، يوقعهما أرضاً، لكن تيدي أمسك بمرفق تشاك، وشقا طريقهما نحو الأمام، مع خفض رأسيهما، ومـشيا بهذه الطريقة لبعض الوقت، وهما يحنيان رأسيهما وجـسميهما في الهواء، ولم يلاحظا، حتى حجارة الأضرحة في البداية. اسـتمرا في التقدم إلى الأمام والمطر يملأ عيوهما، ثم ارتطم تيدي بحجر مـسطح، مائـل إلى الخلف، ومقتلع من حفرته بفعل الريح، فاستلقى مسطحاً على متنه، كما لو أنه ينظر إليه.

جاكوب بلاف شريك بوسان 1832–1858 انكسرت شجرة إلى يسارهما، وبدا صوت تصدعها أشبه بالفأس السذي يشق سقفاً رقيقاً، وصرخ تشاك: "الله!". ثم تناثرت أجزاء من الشجرة بفعل الربح، وتطايرت أمام عيونهما.

تحسركا في المقسرة، وهما يضعان أذرعتهما حول وجهيهما، فيما تحولت القذارات والأوراق وقطع الأشجار إلى كائنات حية، كهربائية، ووقعا أرضاً، مرات عدة، وكادا يصابان بالعمى، ورأى تيدي شكلاً فحمياً بديناً، أمامهما، وبدأ بالإشارة إليه، فيما ضاع صراحه في الريح. مررت كتلة من شيء ما، على نحو قريب جداً من رأسه، وأحس أنه لامس شعره، فركضا، فيما دفعت الريح ساقيهما، وارتفعت الأرض، وارتطمت بركبتيهما.

ضريح ضخم. كان الباب فولاذياً. لكنه مكسور عند المفصلات، ونتأت الأعشاب الضارة من الأسفل. فتح تيدي الباب، ودفعته الريح فجعلته يميل إلى يساره مع الباب، وسقط أرضاً فيما رفعت الريح مفصلة الباب السفلية، وأصدر صوتاً قوياً، ثم ارتطم بالجدار. انزلق تيدي في الوحل. لكنه، وقف على قدميه، وعصفت الريح بكتفيه، فوقع على ركبة واحدة، ورأى الباب الأسود أمامه، فتقدم إلى الأمام عبر الأوساخ، وزحف إلى الداخل.

قال تشاك: "هل رأيت يوماً شيئاً كهذا؟". فيما وقفا عند مدخل السباب، وراقبا الجزيرة وهي عالقة في دوامة غضب. كان الهواء كثيفاً ومليئاً بالأوساخ والأوراق، وأغصان الأشحار والحجارة، ودوماً المطر، وأصدر صوتاً قوياً كما لو أن الأرض تتمزق.

قال تيدي: "أبدأ". وتراجعا إلى الخلف بعيداً عن الباب.

عشر تيدي على علبة أعواد ثقاب، لا تزال جافة في الجيب الداخلي لمعطفه، فأشعل ثلاثة أعواد ثقاب دفعة واحدة، وحاول حجب

السريح بحسمه، فلاحظا أن المدفن الإسمني، في وسط الغرفة، فارغ من التابوت أو الجثة، التي تم نقلها أو سرقتها قبل أعوام. ثمة مقعد حجري مستبد في الجسدار، في الجهسة الأخرى من المدفن، فتوجها إليه فيما انطفأت أعواد الثقاب. جلسا على المقعد، واستمرت الريح في الدحول عبر المدخل، وارتطم الباب بالجدار.

قــال تشاك: "لكن هذا جميل، أليس كذلك؟ حنّ حنون الطبيعة! لون تلك السماء... هل رأيت كيف انقلب اللوح الحجري؟!". "ارتطمت به، لكن نعم، كان المنظر مذهلاً".

"واو". عصر تشاك حاشية سرواله، بحيث أصبحت هناك برك من الماء تحت قدميه، وسوّى قميصه المبللة على صدره. "أظن أنه كان يجدر بسنا البقاء بالقرب من القاعدة. علينا الخروج سالمين من هذه العاصفة هنا".

أوماً تيدي برأسه قائلاً: "لا أعرف الكثير عن الأعاصير، لكنني أشعر أن الوضع سيزداد سوءاً".

"هل ستغيّر الريح اتجاهها؟ هل سيأتي ذلك الضريح إلى هنا". "أفضل أن أكون هنا، بدلاً من التواجد هناك في الخارج".

"طبعاً، لكن التفاؤل وسط الإعصار؟ ما درجة ذكائنا؟".

"ليست عالية جداً".

"حصل الأمر بسرعة. قبل ثانية، كان مجرد مطر غزير، وبعد ثانية أصبحنا دوروثي المتوجهة إلى أوز".

"كان ذلك إعصاراً قمعياً".

"أي واحد؟".

"في كنساس".

"أوه".

ارتفع الصحيح كثيراً، واستطاع تيدي سماع الريح تصل إلى الحدار الحجري السميك خلفه، وتضربه مثل الملاكم الجبّار، إلى أن أحسّ بصدمات خفيفة في ظهره.

كرر: "العاصفة تزداد قوة".

"ماذا يفعل كل المجانين الآن برأيك؟".

"يصرخون على العاصفة".

جلسا صامتين لبرهة، وأشعل كل منهما سيجارة. تذكر تيدي ذلك اليوم، على مركب والده، وأول إدراك له أن الطبيعة لا تبالي به، وهي أقوى منه بكثير، وتصوّر الريح كألها شيء له وجه صقر مع منقار معقوف ينقض على الضريح، ويزعق بصوت عال. شيء غاضب حوّل المسوحات إلى أبراج، وابتلع المنازل مثل عيدان ثقاب، ويستطيع رفعه بقبضته، ورميه في الصين.

قال تاكنت في شمال أفريقيا عام اثنين وأربعين. شهدنا عاصفتين رمليتين. لكن، ما من شيء يشبه هذا. إلا أنك تنسى مجدداً. ربما كانت العاصفة هذا السوء".

قـال تيدي: "لا أستطيع تحمل ذلك. أقصد، لا أستطيع الصمود أمام ما يجري الآن، والتجول خارجاً، لكن هذا أسهل من البرد يا الله! في الأردين كنت تشعر بالجليد يخرج من فمك. حتى هذا اليوم، لا أزال أستطيع الإحساس به. كانت أصابعي باردة جداً كما لو أنها على نار. كيف تتصور ذلك؟!".

"في شمال أفريقيا، واجهنا الحرّ. سقط الرحال نتيجة الحرّ. كنا نقف هناك دقيقة واحدة فقط، ثم على ظهر المركب في الدقيقة التالية. عانى الرجال من تصلب الشرايين نتيجة ذلك. أطلقت النار على ذلك الرجل، وكان لحمه طرياً جداً نتيجة الحرّ، فاستدار، وشاهد الرصاصة

تخرج من الجهة الأخرى من حسمه". نقر تيدي على المقعد بإصبعه. قال بهدوء: "شاهدته يطير. أقسم بالله".

"قتلت رجلاً واحداً فقط؟!".

"تقريباً. وأنت؟".

"بالعكس. قتلت الكثير، ورأيت معظمهم". أرجع تيدي رأسه إلى الخلف، نحو الجدار، ونظر إلى السقف. "لو أنجبت ولداً، لا أعرف أبداً، إذا كنت سأسمح له بالذهاب إلى الحرب. حتى إلى حرب مثل تلك التي لا نملك فيها خياراً. لا أظن أنه يجب طلب ذلك، من أي كان".

"ماذا؟".

"القتل".

رفع تشاك ركبته إلى صدره. "أهلي، صديقتي، بعض أصدقائي الذين لا يستطيعون عيش التحربة، كلهم يسألون. هل تفهم؟".

"نعم".

"كيف كان ذلك؟ هذا ما يريدون معرفته. وأنت تقول: "لا أعرف. لقد حصل الأمر لشخص آخر. كنت فقط أشاهد من فوق، أو من مكان ما". رفع يديه. "لا أستطيع شرح الأمر بطريقة أفضل. هل هذا منطقى، نوعاً ما؟".

قال تيدي: "في داتشاو، حاصرنا رجال العدو، خمسمئة منهم. كان هناك مراسلون، لكنهم رأوا كل الجثث مكومة عند محطة القطار أيضاً. استطاعوا أن يشموا تماماً ما كنا نشمه نحن. نظروا إلينا، وأرادونا أن نفعل ما فعلناه. لذا، أعدمنا كل واحد من أولئك الرجال اللعينين. وجهانا البنادق إلى ثلاثمئة رجل دفعة واحدة. عبرنا الخط الفاصل، ووضعنا الرصاصات في رأس كل واحد بقي يتنفس. هذه جريمة. لو كان هذا أقل ما نستطيع

فعله. راح أولئك المراسلون اللعينون يصفقون. كان سجناء المخيم سعداء جداً لدرجة أنهم راحوا يبكون. لذا، أعطيناهم بعض الأسرى. ومزقوهم إلى قطع. في نهاية ذلك اليوم، انتشلنا خمسمئة جثة عن وجه الأرض. قتلناهم جميعاً. ما من دفاع ذاتي، وما من حرب. كانت تلك مجزرة جماعية. وبالرغم من ذلك، لم يلمنا أحد. كانوا يستحقون أسوأ مسن ذلك. كيف تخبر الزوجة والأهل والأولاد، أنك فعلت مثل هذا السشيء؟ أنك أعدمت أشخاصاً غير مسلحين؟ أنك قتلت صبياناً؟! صبياناً يحملون أسلحة، ويرتدون بذلات، وإنما صبيان صغار! الجواب ههو أنك لا تستطيع إخبارهم. لن يفهموا أبداً. لأن ما فعلته، كان للسبب الصحيح. لكن ما فعلته خطأ أيضاً. ولن تستطيع نسيانه أبداً".

بعد برهة، قال تشاك: "كان ذلك على الأقل للسبب الصحيح. هل نظرت يوماً إلى بعض أولئك المساكين العائدين من كوريا؟ لا يزالون لا يعرفون سبب ذهابهم إلى هناك. أوقفنا أدولف. أنقذنا ملايين الأشخاص. صحيح؟ فعلنا شيئاً، تيدي".

اعترف تيدي: "نعم، صحيح. يكون هذا كافياً أحياناً".

"لا بد من ذلك. صحيح؟".

وقعـــت شحرة بأكملها أمام الباب، رأساً على عقب، وتناثرت جذورها إلى الأعلى، مثل الأشواك.

"هل رأيت ذلك؟".

"نعــم. لقد استيقظت العاصفة وسط المحيط لتقول: "انتظرا ثانية. ليس هذا صحيحاً".

"يفترض بيى أن أكون هناك".

"احــتحت إلى أعــوام، لجعــل تلك الهضبة تبدو بالطريقة التي أريدها".

ضــحكا بهدوء في الظلمة، وراقبا الجزيرة تدور في العاصفة مثل كابوس.

"إذاً، كم تعرف عن هذا المكان سيدي؟".

هز تيدي كتفه. "أعرف القليل. ليس ما يكفي. كفاية ليخيفني". "أوه، رائع. أنت خائف. ماذا يفترض بالإنسان العادي أن يشعر إذاً؟".

ابتسم تيدي: "بالرعب الحقيقي".

"حسناً، اعتبرين مذعوراً".

"إنه مرفق تجريبي. أخبرتك؛ العلاج الجذري. يحصل على تمويله جزئياً من الكومونويلث، وجزئياً من مكتب السجون الفدرالية، ولكن الأغلبية تسأتي مسن صندوق أنشئ عام واحد وخمسين من قبل لجنة نشاطات الكونغرس الأميركي HUAC.

قال تشاك: "مذهل. محاربة جماعة الشيوعيين من حزيرة في مرفأ بوسطن. ماذا يفعل المرء حيال ذلك؟".

"يجرون التجارب على العقل. أظن ذلك. يدوّنون ماذا يعرفون، ويحوّلونه إلى زملاء كاولي السابقين في مكتب الخدمات الاستراتيجية، في وكالــة الاســتخبارات المركــزية الأميركية ربما. هل سمعت يوماً بالفينسيكليدين؟".

هزّ تشاك رأسه.

"ميزالين؟".

"צי ע".

قال تيدي: "إنما أدوية مهلوسة. عقاقير تدفعك إلى الهلوسة".

"حسناً".

 "كرؤية أشجار مقلوبة رأساً على عقب أمام الباب؟".

"آه، هــذا هــراء. لقد رأيناها كلانا. ليست هذه هلوسة. كل شــخص يرى أشياء مختلفة. لنقل إنك تنظر إلى الأسفل وترى ذراعيك تتحولان إلى كوبرا، وترتفع الكوبرا، وتفتح فمها لابتلاع رأسك".

"أقول: إن هذا يكون فعلاً يوماً سيئاً".

"أو قطــرات الماء التي تتحول إلى لهب؟ أو شجيرة تتحول إلى نمر مفترس؟".

"يكون هذا يوماً أكثر سوءاً. لا يجدر بي مغادرة السرير أبداً. لكنك، تقول: إن عقاراً قد يستطيع أن يجعلك تظن أن هذا يحصل فعلاً؟".

"لـــيس فقط قد. وإنما حتماً. وإذا تم إعطاؤه بالجرعة الصحيحة، تبدأ فعلاً بالهلوسة".

"إنها بعض العقاقير".

"نعم، صحيح. الكثير من هذه العقاقير، يفترض أن يكون تأثيرها مماثلاً، لحال المصاب بانفصام شخصية وخيم. ما كان اسمه، كين؟ ذلك السرجل. البرد في قدميه. يصدق ذلك. ليونورا غرانت، لم تكن تراك. كانت ترى دوغلاس فايربانكس".

"ولا تنسَ؛ تشارلي شابلين أيضاً، يا صديقي".

"قد أحاول التقليد، لكنني لا أعرف الأصل".

"هاي، ليس سيئاً، سيدي. يمكنك تقديمي في الكاتسكيلز".

"كانت هناك حالات موثقة عن مصابين بانفصام الشخصية، سلخوا وجوههم بأنفسهم، لأنهم ظنوا أن أيديهم هي شيء آخر، حيوانات، أو أي شيء. يرون أشياء غير موجودة، يسمعون أصواتاً لا يسمعها أحد غيرهم، يقفزون من سطح المبنى لأنهم يظنون أن المبنى يحترق، وما إلى ذلك. الأدوية المسببة للهلوسة تفضى إلى تخيلات مماثلة".

أشار تشاك بإصبعه إلى تيدي. "تتحدث فجأة بمعرفة كبيرة أكثر بكثير من المعتاد".

قال تيدي: "ما الذي أستطيع قوله لك؟ أنجزت بعض الفروض المناسخية. تاشاك، ماذا يحصل، برأيك، إذا، أعطيت أدوية مهلوسة لأشخاص مصابين بانفصام وخيم في الشخصية؟".

"ما من أحد يفعل ذلك".

"إنه يفعل ونها، وهذا قانوني. وحدهم البشر يصابون بانفصام الشخصية. لا يحصل ذلك للفئران، أو الأرانب، أو الأبقار. كيف ستُجَرَّب إذاً، العلاجات لهذا المرض؟".

"على البشر".

"أعط ذلك الرجل سيجاراً".

"لكنُّ، سيجار مجرد سيجار، صحيح؟".

قال تيدي: "إذا شئت".

وقف تيدي، ووضع يديه على المقعد الحجري، ونظر إلى العاصفة. "إنحصم يعطون إذاً، المصابين بانفصام في الشخصية، عقاقير، تجعلهم أكثر انفصاماً في الشخصية؟".

"هذه محموعة احتبارية".

"وما المحموعة الأخرى؟".

"الأشــخاص غــير المصابين بانفصام في الشخصية، لرؤية كيف يتفاعل دماغهم".

"هراء".

"إنها مسسألة تسجيل عام، زميلي. احضر يوماً اجتماعاً لأطباء نفسيين. لقد فعلت".

"لكنك قلت إن هذا قانوني".

قال تيدي: "إنه قانوني. وهكذا هي أيضاً أبحاث تحسين النسل". "لكن إذا كان الأمر قانونياً، لا يمكننا فعل أي شيء حياله".

انحيني تيدي على المقعد. "لا جدال. لست هنا لأعتقل أي شخص. تم إرسالي لجمع المعلومات. هذا كل شيء".

"انتظر دقیقة، تم إرسالك؟ یا الله، تیدي، كم نحن متورطان هنا!".

تنهد تيدي ونظر إليه. "بقوة".

"لحظـــة". رفــع تيدي يده. "منذ البداية. كيف تورطت في كل ذلك؟".

قال تيدي: "بدأت القصة مع لايديز. قبل عام. ذهبت إلى شاتاك بحجة أني أريد إجراء مقابلة معه. اخترعت قصة عن شريك له، مطلوب من القضاء الفدرالي، وأعتقد أن لايديز يستطيع إلقاء بعض الضوء على مكان وجوده. لكن، تبين أن لايديز لم يكن هناك. تم نقله إلى آشكليف. اتصلت بالمكان هنا، لكنهم زعموا ألهم لا يملكون سجلاً له".

"و؟".

"جعلني ذلك أشعر بالفضول. أجريت بعض الاتصالات الهاتفية، ببعض المستشفيات النفسية في المنطقة، وكان الجميع مدركين لآشكليف. لكن أحداً لم يرغب في التحدث عن ذلك. تحدثت إلى آمر السحن، في مستشفى رنتون للمجانين المجرمين. كنت قد التقيت به مرتين قبلاً وقلت له بوبي ما القصة؟ إنه مستشفى وسحن، وليس مختلفاً عن المكان الذي أنت فيه، لكنه هز رأسه وقال تيدي، ذلك المكان شيء محتلف تماماً. إنه شيء مصتف. كيس أسود. لا تذهب إلى هناك.

قال تشاك: "لكنك فعلت. وتم تعييني للمجيء معك".

قـــال تيدي: "لم يكن هذا جزءاً من الخطة. قال لي المسؤول إنه يجدر بــــي اصطحاب شريك معي، فأخذت شريكاً".

"كنت تنتظر إذاً، أي عذر للمجيء إلى هنا؟".

قال تيدي: "تقريباً. واللعنة، لم أظن أبداً، أن ذلك سيحصل فعلاً! أقصد أنه حتى لو حدث هروب لسجين، ما كنت لأعرف أنني سأكون في المدينة، حين يحدث ذلك. أو إذا كان سيتم تعيين شخص آخر. أو، أو، أو. يا الله، هناك مليون أو... أنا محظوظ".

"محظوظ! اللعنة!".

"على ماذا؟".

"هذا ليس حظاً سيدي. الحظ لا يعمل بهذه الطريقة. العالم لا يعمل بهذه الطريقة. تظن أنه حصل بالصدفة، أن تم تعيينك لهذه القضية؟".

"طبعاً. يبدو هذا جنوناً، نوعاً ما، ولكن...".

"عندما اتصلت بآشكليف للمرة الأولى بشأن لايديز، هل عرّفت عن نفسك؟".

"طبعاً".

"حسناً إذاً...".

"تشاك، حصل ذلك قبل عام كامل".

"إذاً، ألا تظــن أنهم يحتفظون بالأسرار؟ خصوصاً في حالة مريض يزعمون أنهم لا يملكون سجلاً له".

"مرة جديدة؛ قبل اثني عشر شهراً".

"بالله عليك تيدي". أخفض تيدي صوته، ووضع راحتي يديه على المقعد، وأخذ نفساً طويلاً. "فنلقل: إنحم يقومون ببعض العمل السيئ هنا. ماذا لو كانوا يلاحقونك، حتى قبل أن تطأ قدمك هذه الجزيرة؟ ماذا لو أحضروك هم إلى هنا؟".

"أوه، هذا هراء".

"هراء! أين راشايل سولاندو؟ أين أدبى دليل على وجودها أصلاً؟ رأينا صورة امرأة وملفاً، يمكن لأي كان أن يفبركهما".

"لكن تشاك، حتى لو اختلقوا القصة، حتى لو ركبوا كل المسألة، لا مجال أبداً لأن يعرفوا أنه كان سيتم تعييني أنا لهذه القضية".

"أجريت تحقيقات، تيدي. تحريت عن هذا المكان واستفسرت. وضعوا سوراً مكهرباً، حول مرفق لمعالجة المجانين. وضعوا جناحاً، داخل حصن. وضعوا مئة مريض في مرفق، يمكن أن يتسع لثلاثمئة. هذا المكان مخيف جداً، تيدي. لا يريد أي مستشفى آخر أن يتحدث عنه، ولا يخبرك ذلك أي شيء؟ لديك مسؤول له روابط بمكتب الخدمات الاستراتيجية، وتمويل من صندوق، من لجنة نشاطات الكونغرس الأميركي. كل شيء، في هذا المكان، يصرخ عمليات حكومية سرية. وأنت متفاجئ، أنه بدلاً من أن تبحث أنت عنهم، طوال العام الماضي، كانوا هم يبحثون عنك؟".

"كم مرة علي أن أقول لك تشاك، كيف كانوا ليعرفوا أنه سيتم تعييني لقضية راشايل سولاندو؟".

"هل أنت غبـــي؟".

استقام تيدي، ونظر إلى تشاك.

رفع تشاك يده. "آسف، آسف. أنا متوتر، حسناً؟". "حسناً".

"كل ما أقوله، سيدي، هو أنهم عرفوا أنك ستستفيد من أدنى علم على ما عليهم فعله على المحيء إلى هنا. قاتل زوجتك موجود هنا. كل ما عليهم فعله هو الادعاء أن شخصاً ما هرب. يعرفون بعدها أنك ستهب بسرعة لاجتياز المرفأ والوصول إلى هنا".

انشق الباب من مفصلته الوحيدة، ووقع أرضاً عند المدخل، ورأياه يرتطم بالصخرة، ومن ثم يطير في الهواء، ويحلّق فوق المقبرة، ويختفي في السماء.

حدقا إلى مدخل الباب، ثم قال تشاك: "كلانا رأينا ذلك، صحيح؟". قال تيدي: "إلهم يستخدمون البشر للتجارب. ألا يزعجك ذلك؟". "إنه يرعبني تيدي. لكن كيف تعرف ذلك؟ قلت إنه تم إرسالك لجمع المعلومات. من أرسلك؟".

"في لقائنا الأول مع كاولي، سمعته يسأل عن السيناتور؟". "نعم".

"الــسيناتور هــورلي، ديمقراطي، نيوهامبشاير. يرأس لجنة فرعية للــتمويل العمومــي لمسائل الصحة العقلية. رأى مقدار المال الذي يتم إرساله إلى هذا المكان، ولم يعجبه الأمر. بعدها، صادفت رجلاً اسمه حــورج نويس. أمضى نويس بعض الوقت هنا في الجناح ج. كان قد مـضى على خروجه من الجزيرة أسبوعان، حين دخل إلى مشرب، في أتلــبورو، وبدأ يطعن الناس بالسكين. غرباء، في السحن، بدأ يتحدث عن تنين في الجناح ج. أراد محاميه زعم الجنون. إذا كان هناك شخص معنون فعلاً، يكون هنا. إنه مخبول. لكن نويس طرد محاميه، ووقف أمام القاضــي، وطلــب الإدانة، وتوسله كثيراً ليتم إرساله إلى سحن، أي سحن، ولكن ليس إلى مستشفى. أمضى سنة، تقريباً، في السحن، لكنه راح يستعيد عقله، وفي النهاية، بدأ يخبر قصصاً عن آشكليف، قصصاً تبدو مجنونة، لكن السيناتور يظن أنها ليست مجنونة، بقدر ما يراها الآخرون".

جلـس تشاك على المقعد، وأشعل سيجارة، ودخنها قليلاً، فيما كان يتأمل تيدي. "الكن كيف عثر السيناتور عليك، وكيف نجحتما في العثور على نويس؟".

لبرهة، ظن تيدي أنه رأى أضواء تومض عبر العاصفة في الخارج. "في الواقع، حصلت الأمور بالطريقة المعكوسة. عثر علي نويس وأنا عثرت على السيناتور. اتصل بهي ذات صباح بوبسي فاريس، آمر السحن في رنتون. وسألني إذا كنت لا أزال مهتماً بآشكليف. قلت له طبعاً وأخبرني عن هذا المحكوم في ديدهام، الذي يحدث الكثير من السضجة حول آشكليف. هكذا، ذهبت إلى ديدهام مرات عدة، وتحدث إلى نويس. قال نويس إنه حين كان في الكلية، ذات سنة أصبح يتوتر قرابة موعد الامتحانات. صرخ في وجه أستاذ، وضرب النافذة بيده في مبني نوم الطلاب. انتهى بالتحدث إلى أحدهم، في قسم الطب النفسي. الشيء التالي الذي تعرفه هو، أنه وافق على أن يكون جوزءاً من اختبار، بحيث يستطيع الحصول على بعض المال لجيبه. بعد سنة، ترك الكلية، وأصبح مصاباً بانفصام كامل في الشخصية، يهذي

"هذه قصة رجل بدأ عادياً...".

في زوايا الشوارع، يرى أشياء، ويهلوس".

رأى تــيدي الضوء بحدداً عبر العاصفة، واقترب أكثر من الباب، وحدّق إلى الخارج. برق! افترض أن هذا منطقي، بالرغم من أنه لم ير أي شيء من ذلك قبلاً.

"عادي مثل، أي شخص. ربما كانت لديه - ماذا يسمونها هنا؟ مسائل السيطرة على الغضب. لكن، في الإجمال، كان إنساناً عاقلاً تماماً. بعد سنة، فقد عقله. صادف هذا الرجل في بارك سكواير شخصاً ما ذات يوم، وظن أنه البروفسور، الذي أوصاه للمرة الأولى برؤية أحد في القسسم النفسي. إنما باختصار قصة طويلة، وأشبعه نويس ضرباً. تم

إرساله إلى آشكليف. الجناح أ. لكنه لم يبق هناك لوقت طويل. أصبح السرجل عنسيفاً حداً في ذلك الوقت، وأرسلوه إلى الجناح ج. أعطوه الأدوية المهلوسة، وتراجعوا إلى الخلف، وراحوا يراقبون الوحوش، وهي تأكله، وهسو يجنّ جنونه. كان مجنوناً أكثر قليلاً، مما أرادوا، حسبما أظن، لأنه في النهاية، أجروا له جراحة لمجرد تمدئته".

قال تشاك: "جراحة!".

أوماً تيدي برأسه. "جراحة فصية في الدماغ. هذا مضحك، تــشاك. يعرّضونك لصدمة كهربائية ثم يدخلون في عينك عوداً جلسيدياً. لا أمرزح. مرن دون تخدير. يدخلون العود هنا وهناك ويستخرجون بعض الألياف العصبية من دماغك، ثم تنتهي العملية. كذه البساطة".

قال تشاك: "لكن قانون نورمبرغ يمنع...".

"... إجراء التجارب على البشر، لمجرد حدمة العلم. نعم. ظننت أن لدينا قضية مرتكزة على نورمبرغ أيضاً. وكذلك فعل السيناتور. لكننا أخطأنا. فالتجارب مسموح بها، إذا تم استخدامها لمعالجة مرض الشخص مباشرة. هكذا، طالما يقول الطبيب: "هاي، نحن نحاول فقط مساعدة هذا المسكين اللعين، ونعرف ما إذا كانت هذه العقاقير قادرة على تحفيز انفصام الشخصية، فيما تستطيع تلك الأدوية وقفها؛ تكون المسألة قانونية تماماً".

قال تاشاك: "انتظر ثانية. انتظر ثانية. تقول إن نويس خضع لجراحة...".

"نعم، جراحة فصية في الدماغ".

"لكـــن إذا كان الهدف من ذلك تمدئة شخص ما، كيف وصل ذلك الشخص إلى بارك سكواير؟".

"يبدو حلياً، أن الأمر لم ينجح".

"هل هذا شائع؟".

شـــاهد تيدي الأضواء بمحدداً، وكان واثقاً تماماً هذه المرة، أنه سمع صوت محرك وراء كل هذا الضحيج.

"أيها المارشالان!". كان الصوت ضعيفاً في الريح، لكنهما سمعاه.

أنـزل تشاك ساقيه عن المقعد الحجري، وقفز، وانضم إلى تيدي عند مدخل الغرفة، واستطاعا رؤية الأضواء الأمامية لسيارة، في الطرف البعيد من المقبرة، وسمعا صوت مكبّر للصوت يقول:

"أيها المارشالان! إذا كنتما هنا، أرسلا لنا إشارة من فضلكما. أنا نائب آمر السحن ماكفرسون. أيها المارشلان!".

قال تيدي: "ما رأيك في ذلك؟ عثروا علينا".

"إنها جزيرة سيدي. سيعثرون دوماً علينا".

نظر تيدي في عيني تشاك، وأومأ له برأسه. للمرة الأولى منذ أن التقيا، لاحظ الخوف في عيني تشاك، فيما حاول فكّه الانكماش لكبت الخوف.

"ستجري الأمور على ما يرام، شريكي".

"أيها المارشالان! هل أنتما هنا؟".

قال تشاك: "لا أعرف".

"أنا أعرف". قال تيدي ذلك بالرغم من أنه لا يعرف. "ابقَ معي. سنخرج من هذا المكان اللعين، تشاك. لا ريب أبداً في ذلك".

ثم حرجا من المدخل والمقبرة. ارتطمت الريح بجسميهما بقوة كبيرة لكنهما بقيا واقفين على قدميهما، يشبكان ذراعيهما، ويتشبثان بكتفي بعضهما، فيما توجها متمايلين نحو الضوء.

"هل أصبتما بالجنون؟".

قال ماكفرسون، وهو يصرخ في الريح، فيما اندفعت سيارة الجيب بسرعة، بمحاذاة الحافة الغربية للمقبرة.

كان جالساً في مقعد الركاب، ينظر إليهما بعينين حمراوين، وقد اختفت في العاصفة كل ملامح الجاذبية لابن تكساس الريفي. لم يستم تعريفهما إلى السائق. كان شاباً، صاحب وجه نحيل مع ذقن ناتئة إلى الأمام. هذا كل ما استطاع تيدي رؤيته، تحت قلنسوة المعطف الواقي من المطر. إلا أنه قاد سيارة الجيب، مثل محترف، وتجاوز السنجيرات ومُخلَّفات العاصفة، كما لو أها لم تكن موجودة.

"تمـــت، للــتو، ترقية العاصفة. من عاصفة استوائية إلى إعصار. ستــصل سرعة الرياح إلى مئة ميل في الساعة الآن. وفي منتصف الليل، يتوقع أن تصل السرعة إلى مئة وخمسين ميلاً. وأنتما تتحولان في خضم هذه العاصفة؟!".

قال تيدي: "كيف عرفت، أنه تم الإعلان عن ترقية قوة العاصفة؟".

قال تيدي: "طبعاً".

"يجدر بنا تفقد المجمّع في الوقت الحاضر، لكننا نبحث عنكما بدلاً من ذلك". ضرب متن مقعده، ثم استدار إلى الأمام، بعد أن انتهى من الحديث معهما.

قفزت سيارة الجيب فوق مطب، ولفترة وجيزة لم ير تيدي إلا السسماء، ولم يستعر بسشيء تحت العجلات، ثم ارتطمت العجلات بالسوحل، والستفت عبر منعطف قاس، انحدر بقوة كبيرة مع الطريق، واستطاع تيدي رؤية المحيط إلى يسارهم، فيما المياه تتحرك باهتياج، بحيث أفرزت رغوات بيضاء وكبيرة، شبيهة بالغيوم الفطرية.

تجاوزت سيارة الجيب مجموعة من الهضاب الصغيرة، ثم عبرت محموعة من الهضاب الصغيرة، ثم عبرت محموعة من المشجار، وكان تيدي وتشاك يتشبثان بالمقاعد، فيما ارتطما ببعضهما بعضاً في المقعد الخلفي، ثم أصبحت الأشجار خلفهما، ووجدا نفسسيهما أمام الجهة الخلفية لقصر كاولي، ثم خفف السائق سرعة السيارة، وتوجه نحو الباب الرئيس.

قـــال ماكفرسون، وهو ينظر إليهما: "سنأخذكما لرؤية الدكتور كاولي، يتحرق شوقاً للتحدث إليكما أيها الرجلان".

قال تشاك: "أكاد أظن أن أمي عادت إلى سياتل".

استحما في الطابق الأرضي من المبنى المخصص لنوم الموظفين، وتم مسنحهما ملابس من مجموعة ملابس الممرضين. تم إرسال ملابسهما الخاصة إلى مصبغة المستشفى. في الحمام، مشط تشاك شعره إلى الخلف، ونظر إلى قميصه الأبيض وسرواله الأبيض وقال: "هل ترغب في رؤية لائحة الطعام؟ طبقنا الخاص لليلة هو عجل ويلنغتون. إنه لذيذ جداً".

أقــبل تراي واشنطن إلى الحمام. بدا وكأنه يكبح ابتسامة، فيما تأمل ملابسهما الجديدة، ثم قال: "أنا هنا لإيصالكما إلى الدكتور كاولي".

"هل نحن في ورطة كبيرة؟". "نعم، حسبما أتوقع".

قال كاولي، فيما دخلا الغرفة: "سررت برؤيتكما أيها الرجلان". بدا في مزاج جيد، فيما أشرقت عيناه، وترك تيدي وتشاك تراي عـند الـباب، فـيما دخـلا إلى غرفة كبيرة، في الطابق العلوي من المستشفى.

كانت الغرفة مليئة بالأطباء، الذين ارتدى بعضهم الأردية البيضاء، فيما ارتدى بعضهم الآخر بذلات رسمية، وحلسوا جميعاً حول طاولة طويلة من خشب التك، مع مصابيح خضراء أمام كراسيهم، ومنافض قاتمة امتلأت بالسحائر أو السيحار، فيما الغليون الوحيد، كان لنايهرينغ الذي جلس عند رأس الطاولة.

"أيها الأطباء، هذان هما المارشالان الفدراليان اللذان تحدثنا عنهما. المارشالان دانيالز وأول".

سأل أحد الرجال: "أين ملابسكما؟".

"سؤال جيد". قال كاولي وهو يستمتع بالسؤال، برأي تيدي. قال تيدي: "كنا خارجاً، في العاصفة".

اسار الطبيب إلى النوافذ الطويلة قائلاً: "خارجاً في هذا الطقس!". تم تثبية بشريط لاصق كبير وبدت أنها تتنفس قليلاً، وتزفر الهواء في الغرفة. طقطقت ألواح الزجاج، بفعل قطرات المطر، ورزح المبنى كله، تحت ضغط الرياح.

قال تشاك: "أخشى ذلك".

قال نايهرينغ: "من فضلكما، اجلسا. نكاد ننتهى".

عثرا على كرسيين في نماية الطاولة.

قال نايهرينغ لكاولي: "جون، نحتاج إلى إجماع حول هذا". "تعرف موقفي".

"وأظن أننا نحترم جميعاً ذلك، لكن، إذا كان باستطاعة الأدوية المهدئة للأعصاب توفير الانخفاض الضروري في الخلل الحاصل في توازن السيروتونين، لا أشعر أننا نملك خياراً كبيراً. علينا متابعة البحث. وأول مريضة اختبارية، أوه، دوريس والش، تتطابق مع كل المعايير. لا أرى مشكلة هنا".

"أنا قلق بشأن الكلفة".

"إلها أقل بكثير من كلفة الجراحة، وأنت تعرف ذلك".

"أنا أتحدث عن مخاطر التلف في الكتلة العصبية الأساسية والقشرة المخية. أنا أتحدث عن دراسات أولية في أوروبا كشفت عن مخاطر للتحلف الأعصاب، مماثلة للمخاطر التي تنجم عن التهاب الدماغ، والسكتات الدماغية".

تحاهـل نايهرينغ الاعتراض برفع يده. "كل الذين يؤيدون طلب الدكتور بروتيغان فليرفعوا أيديهم".

شاهد تیدي کل ید ترتفع في الهواء باستثناء ید کاولي وید رجل آخر.

قــال نايهــرينغ: "أقول إن هذا إجماع. سنطلب إذاً، من مجلس الإدارة تمويل بحث الدكتور بروتيغان".

أوماً رجل شاب، يفترض أنه الدكتور بروتيغان، برأسه علامة شكر لكل شخص حالس حول الطاولة. كشف عن حدين طويلتين، وبدا أميركياً صرفاً. رأى تيدي أنه من نوع الرجل الذي يحتاج إلى المراقبة، ويشعر بثقة كبيرة في تحقيقه لأحلام أهله الكبيرة.

قال نايهرينغ: "حسناً، إذاً". وأغلق الملف الذي أمامه، فيما نظر عبر الطاولة إلى تيدي وتشاك، "كيف هي الأمور أيها المارشلان؟".

لهض كاولي عن كرسيه، وسكب فنجان قهوة لنفسه على طاولة محاورة. "يقال إنه تم العثور عليكما في مقبرة".

صدرت بضع قهقهات ناعمة من الطاولة، ورفع الأطباء أيديهم لوضعها فوق أفواههم.

قال تشاك: "وهل تعرف مكاناً أفضل للاختباء من إعصار؟". قال كاولى: "هنا. ومن الأفضل في الطابق الأرضى".

"سمعنا أن سرعة الإعصار قد تصل إلى مئة وخمسين ميلاً في الساعة".

أومــــأ كــــاولي برأسه وهو يدير ظهره إلى الغرفة. "هذا الصباح، نيوبورت، رود آيلند، خسرت ثلاثين بالمئة من منازلها".

قال تشاك: "آمل ألا يكونوا الفاندربيلت".

جلس كاولي على كرسيه. "وصل الإعصار إلى بروفنستاون وترورو بعد الظهر. لا يعرف أحد فداحة الأضرار التي حصلت، لأن الطرقات قطعت، وكذلك الاتصال اللاسلكي. لكن يبدو أن الإعصار يتوجه مباشرة إلينا".

قال أحد الأطباء: "إنه أسوأ إعصار يضرب الساحل الشرقي، منذ ثلاثين عاماً".

قال كاولي: "يحوّل الهواء إلى كهرباء ساكنة صرف. لهذا السبب تعطـل مركـز الاتصالات الليلة الفائتة. لهذا السبب لم يكن الاتصال اللاسـلكي في أحسن أحواله. وإذا أصابنا الإعصار مباشرة، فلا أعرف ما الذي سيبقى على حاله".

قــال نايهرينغ: "لهذا السبب، أكرر إصراري على أن يوضع كل مرضى المنطقة الزرقاء في قيود يدوية".

قال تيدي: "المنطقة الزرقاء؟!".

قال كاولي: "الجناح ج. المرضى الذين يشكلون خطراً على أنفسهم، وعلى هذه المؤسسة، وعلى الناس عموماً". استدار نحو نايهرينغ. "لا يمكننا فعل ذلك. إذا فاض هذا المرفق، فسيغرقون. أنت تعرف ذلك".

"سيمر وقت طويل قبل حصول فيضان".

"نحسن في المحسيط. على وشك التعرض لرياح إعصار بسرعة مئة وخمسين ميلاً في الساعة. لذا، فإن الفيضان يبدو محتملاً. نضاعف عدد الحسراس. نسراقب كل مرضى المنطقة الزرقاء باستمرار. من دون استثناءات. لكننا لا نستطيع تثبيتهم بأسرّةم. إلهم محبوسون أصلاً في زنراناةم. يكون ذلك إجراماً بحقهم".

"إنها مغامرة غير مضمونة النتائج جون". قال بهدوء، رجل بني الشعر، حالس في وسط الطاولة. إضافة إلى كاولي، كان الرجل الوحيد السذي امتنع عن التصويت على المسألة التي كانت تناقش، حين دخل تسيدي وتسشاك. كان ينقر على قلم حبر بشكل متكرر، وحدّق إلى الطاولة، لكن تيدي عرف من نبرة صوته أنه صديق لكاولي. "إنها مغامرة حقيقية. ماذا لو تعطلت الكهرباء".

"ثمة مولد احتياطي".

"وإذا تعطل؟ ستفتح الزنـــزانات".

قسال كاولي: "إلها جزيرة. إلى أين سيذهب أي كان؟ يستبعد أن يسركب أحد في مركب، ويتوجه إلى بوسطن، ويسبب الفوضى. إذا كانوا مقيدين بأغلال يدوية، وفاض هذا المرفق، أيها السادة، سيموتون جميعاً. هسناك أربعة وعشرون شخصاً. ماذا لو حصل أي شيء في المحمّع؟ أعسني للاثنين وأربعين شخصاً الآخرين؟ يا الله! هل يمكنكم تحمل هذا؟! أنا لا أستطيع التحمل".

نظر كاولي إلى الطاولة، من طرفها إلى طرفها، وأحسّ تيدي فجأة بقــدرة على الشفقة، لم يشعر ألها موجودة لديه من قبل. لا يملك أديى فكــرة عن سبب سماح كاولي لهما بالدخول إلى هذا الاجتماع، لكنه بدأ يفكر، في أن هذا الرجل لا يملك الكثير من الأصدقاء في الغرفة.

قال تيدي: "حضرة الطبيب، لا أقصد التدخل".

"على الإطلاق، أيها المارشال. أحضرناكما إلى هنا".

كاد تيدي يقول: "بلا مزاح؟".

"عندما تحدثنا هذا الصباح، عن رموز راشايل سولاندو...". "يعرف الجميع عما يتحدث عنه المارشال".

"قانون الأربعة". قال بروتيغان، مع ابتسامة أراد تيدي الإمساك ها بكمّاشة. "أحب ذلك".

قال تيدي: "عندما تحدثنا هذا الصباح، قلت: إنك لا تملك أي فكرة بشأن التلميح الأخير".

قال نايهرينغ: "من هو السابع والستون؟ نعم؟".

أومأ تيدي برأسه، وتراجع إلى الخلف على كرسيه، منتظرًا.

وجد الجميع ينظرون إليه بذهول.

قال تيدي: "هل صحيح أنكم لا تفهمونه؟".

قـــال صديق كاولي "نفهم ماذا، أيها المارشال؟". ونظر تيدي إلى ثوبه الأبيض، ولاحظ أن اسمه ميلر.

"لديكم ستة وستون مريضاً هنا".

حدّقــوا جميعاً إليه، مثل الأولاد في ذكرى الميلاد، الذين ينتظرون مفاجأة المهرّج التالية.

"اثــنان وأربعون مريضاً، في الجناحين أ وب. أربعة وعشرون في الجناح ج. يعني ذلك ستة وستين مريضاً".

لاحظ تيدي ملامح الفهم على بعض الوجوه، لكن الأغلبية بقوا مصعوقين.

قال تيدي: "ستة وستون مريضاً. يوحي ذلك أن الجواب على من هو السابع والستون؟ هو وجود مريض سابع وستين هنا".

صمت. نظر عدد من الأطباء إلى بعضهم بعضاً، عبر الطاولة. في النهاية، قال نايهرينغ: "لا أفهم".

"لماذا؟ أوحت راشايل سولاندو بوجود مريض سابع وستين".

قال كاولي، وهو يمدّ يديه أمامه على الطاولة: "لكن هذا المريض لا وجود له، إنما فكرة رائعة أيها المارشال، وكانت حتماً لتفك الرمز، لو كانت صحيحة. ولكن إذا أضفنا اثنين إلى اثنين فهما لا يساويان، أبداً، خمسة، حتى لو أردت ذلك. إذا كان هناك ستة وستون مريضاً فقط في الجزيرة، فإن السؤال المتعلق بمريض سابع وستين هو غير واقعى. هل فهمت ما أقصده؟".

قال تيدي، وقد أبقى صوته هادئاً: "لا، لا أوافقك الرأي في هذه المسألة".

بدا كاولي أنه اختار كلماته بعناية قبل التحدث، كما لو أنه انتقى الأكثر بساطة. "لو افترضنا أن هذا الإعصار، لم يصل إلينا، لكنا استقبلنا مريضين جديدين هذا الصباح. ولكان وصل المجموع إلى ثمانية وستين. ولو مات مريض، لا سمح الله، في نومه الليلة الماضية، لوصل عدد المرضى إلى خمسة وستين. يمكن أن يتغير العدد كل يوم، أو كل أسبوع، حسب عدد من العوامل المتغيرة".

قال تيدي: "لكن، في الليلة التي كتبت فيها سولاندو رمزها...".
"كان هناك ستة وستون مريضاً، بمن فيهم هي. أضمن لك ذلك أيها المارشال. لا يزال هناك واحد ناقص لبلوغ سبعة وستين، أليس كذلك؟ أنت تحاول وضع دائرة داخل مربع".

"لكن هذا هو رأيها".

"أفهم ذلك، نعم. لكن رأيها غير صحيح، إنه وهم. لا يوجد مريض سابع وستون هنا".

"هل تسمح لي أنا، وشريكي بالاطلاع على ملفات الموظفين؟".

أفضى هذا السسؤال إلى عبوس العديد من الوجوه، وظهور النظرات المنزعجة، من حول الطاولة.

قال نايهرينغ: "طبعاً لا".

"لا يمكننا فعل ذلك أيها المارشال. أنا آسف".

أخفض تيدي رأسه لدقيقة، ونظر إلى قميصه الأبيض السخيف وسرواله الأبيض. بدا مثل أحمق حقيقي. ربما بدا جازماً. ربما يجدر به توزيع أكواب البوظة في الغرفة، لمعرفة ما إذا كان يستطيع استمالتهم هذه الطريقة.

"لا نــستطيع الــنفاذ إلى ملفات الموظفين. لا نستطيع النفاذ إلى ملفات المرضى. كيف يفترض بنا أن نعثر على المريضة المفقودة أيها السادة؟".

تراجع نايهرينغ إلى الخلف على كرسيه، وأمال رأسه.

تحمّـــدت ذراع كـــاولي، وبقيت السيجارة نصف مرفوعة أمام شفتيه.

همس عدد من الأطباء لبعضهم بعضاً.

نظر تيدي إلى تشاك.

همس تشاك: "لا تنظر إليّ. أنا مذهول".

قال كاولي: "ألم يخبرك آمر السحن؟".

"لم نتحدث أبداً، إلى آمر السجن. استقبلنا السيد ماكفرسون". قال كاولى "أوه، يا الله!".

"ماذا؟".

نظر كاولى إلى الأطباء الآخرين، واتسعت عيناه.

كرر تيدي: "ماذا؟".

أطلق كاولي دفة ً من الهواء خارج فمه، ونظر إلى الطاولة.

"لقد و جدناها".

"ماذا؟".

أومـــأ كاولي برأسه ومجّ سيجارته. "راشايل سولاندو. وجدناها بعد ظهر اليوم. إنها هنا أيها السادة. مباشرة خارج هذا الباب، في آخر الممر".

نظر تيدي وتشاك فوق كتفيهما إلى الباب.

"يمكنكما الاسترخاء الآن، أيها المارشلان. لقد انتهى بحثكما".

رافقهما كاولي ونايهرينغ في رواق مبلّط بالأسود والأبيض، وعبر محموعة من الأبواب المزدوجة، وصولاً إلى جناح المستشفى الرئيس. مرّوا أمام مكتب الممرضات إلى اليسار، واستداروا إلى اليمين نحو غرفة كسيرة، فيها مصابيح فلورية طويلة، وقضبان ستائر على شكل لل، متدلية من علاقات في السقف، وها هي، حالسة على سرير، في ثوب أخضر شاحب يصل مباشرة إلى فوق ركبتيها، فيما شعرها الداكن مغسول حديثاً، وممشط إلى الخلف، بعيداً عن جبينها.

قـــال كـــاولي: "راشـــايل. جاءنـــا بعض الأصدقاء. أتمنى ألا تمانعي".

ســوّت حاشية ثوبها، تحت فخذيها، ونظرت إلى تيدي وتشاك، مثل الولد الذي يتوقع شيئاً ما.

لا توجد علامة عليها.

بــشرتها بلــون الحجــر الرملي. لا خدوش أبداً، على وجهها وذراعــيها، وســاقيها. قــدماها حافيتان. وكانت بشرقهما خالية من الخدوش، غير محتكة بالأغصان، أو الأشواك، أو الصخور.

سألت تيدي: "كيف أستطيع مساعدتكما؟".

"سولاندو، نحن هنا لـ...".

"لبيع شيء ما؟".

"سيدي!".

"أتمــــنى ألا تكونا هنا، لبيع شيء ما. لا أريد أن أكون فظة، لكن زوجي هو الذي يتخذ كل هذه القرارات".

"لا سيدتي. لسنا هنا لبيع أي شيء".

"حسناً، هذا جيد إذاً. ما الذي أستطيع فعله لكما؟".

"هل يمكنك أن تقولي لنا أين كنت البارحة؟".

"كنت هنا. كنت في المنــزل". نظرت إلى كاولي. "من هما هذان الر جلان؟".

قال كاولى: "إلهما ضابطان في الشرطة، راشايل".

"هل حدث أي شيء لجيم؟".

قال كاولي: "لا. لا، جيم بخير".

"ولا للأولاد". نظرت حولها. "إلهم يلعبون في الحديقة. لم يرتبكوا أي حماقة، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "آنسة سولاندو، لا. أولادك ليسوا في ورطة وزوجك بخــير". نظــر إلى كاولي وأوماً كاولي برأسه دليل الموافقة. "لقد سمعنا للتو، أوه، أن مخرّباً معروفاً جاء إلى المنطقة البارحة. شوهد في شارعكم يوزع مناشير حول الشيوعية".

"أوه، يا الله، لا. للأولاد؟!".

"ليس حسب علمنا".

"لكن، في هذه المنطقة؟! في هذا الشارع؟!".

قال تيدي: "أخشى ذلك، سيدتي. أتمنى أن تخبرينا، أين كانت السبارحة، بحيث نعرف إذا صادفت الرجل الذي نتحدث عنه؟".

"هــل تــتهمانني أنسني شيوعية؟". ابتعد ظهرها عن الوسادات، وأمسكت الشرشف بقبضتي يديها. وجّه كاولي نظرة إلى تيدي تقول: لقد حفرت الحفرة. اعثر على طريقك للخروج منها.

"شــيوعية، سيدتي، أنت! أي رجل عاقل يمكن أن يفكر هكذا؟ أنت أميركية بقدر بيتي غرابل. وحده الرجل الأعمى، لا يدرك ذلك".

أفلـــتت الشرشف من قبضة إحدى يديها، وفركت بها ركبتها. "لكنين لا أبدو مثل بيتي غرابل".

"فقط في وطنيتك الواضحة. لا، أقول إنك تشبهين أكثر تيريزا رايت، سيدتي. ما كان اسم الفيلم الذي تشاركت بطولته مع جوزف كاتون قبل عشرة أعوام، أو اثني عشر عاماً؟".

قالت "ظلال الشك. لقد سمعت به". وكانت ابتسامتها جذابة ومغرية في الوقت نفسه. "حارب جيم في تلك الحرب. عاد إلى المنزل، وقال إن العالم حرّ الآن، لأن الأميركيين حاربوا لأجله، ورأى العالم بكامله، أن الطريقة الأميركية هي السبيل الوحيد".

قال تيدي: "آمين. أنا أيضاً شاركت في تلك الحرب".

"هل تعرفت إلى جيم؟".

"أخشى أنني لم أتعرف إليه، سيدتي. أنا واثق من أنه رجل رائع. كان في الجيش؟".

فركت أنفها، عند سماع ذلك وقالت: "في المارينــز".

قال تيدي: "رائع. سولاندو، من المهم أن نعرف كل خطوة قام هما ذلك المحرّب البارحة. يحتمل أنك لم ترينه. إنه محتال. لذا، نريد أن نعرف ماذا فعلت، بالتحديد، لكي نتمكن من مطابقة ذلك مع ما نعرفه عن مكان وجوده، بحيث نرى إذا صادفتما بعضكما".

"مثل السفن في الليل".

"بالضبط. فهمت إذاً؟".

"أوه، طبعاً". جلست على السرير، ووضعت ساقيها تحتها، وأحسّ تيدي بحركاتما في معدته وبين...

قال لها: "أخبريني إذاً، عن يومك".

"حــسناً، فلنرَ. حضّرت الفطور لجيم والأولاد، ثم وضّبت غداء حــيم قبل أن يغادر، وبعدها أرسلت الأولاد إلى المدرسة، ثم قررت أن أسبح طويلاً في البحيرة".

"هل تفعلين ذلك غالباً؟".

"لا". قالت وهي تنحني إلى الأمام وتضحك، كما لو أنه غازلها: "لا أعرف، لكنني شعرت بالقليل من الكآبة. تعرف كيف تكون الحال أحياناً. تشعر فقط بالقليل من الكآبة".

"طبعاً".

"حسناً هكذا شعرت. لذا، خلعت ملابسي، وسبحت في البحيرة إلى أن تخشبت ذراعاي وساقاي. كانت ثقيلة جداً، فخرجت من الماء، وجففت جسمي، وارتديت ملابسي على الفور، وقمت بنزهة على السفاطئ. والتقطت بعض الحجارة، وشيدت بعض القصور الرملية الصغيرة. صغيرة".

سأل تيدي "هل تذكرين عددها؟". وشعر أن كاولي يحدّق إليه. فكّرت في الأمر، ووجهت عيناها صوب السقف قائلة: "نعم". "كم عددها؟".

"ثلاثة عشر".

"هذا عدد قليل".

قالت: "بعضها كان صغيراً جداً. بحجم فنجان الشاي". "وماذا فعلت بعدها؟".

قالت له: "فكّرت فيك".

رأى تيدي نايهرينغ ينظر إلى كاولي، من الجهة الأخرى للسرير. نظــر تيدي إلى نايهرينغ، ورفع نايهرينغ يديه، كما لو أنه متفاجئ مثل الجميع.

قال تيدي: "لماذا أنا؟".

كشفت ابتسامتها عن أسنان بيضاء، مرصوفة قرب بعضها بعضاً، باستثناء طرف أحمر صغير للسان مقحوم بينها. "لأنك جيم، أيها السخيف. أنت جنديّي". فحضت على ركبتيها، وتمددت، وأمسكت يد تيدي بيدها، وداعبتها. "خشنة جداً. أحب خشونتها عند احتكاكها ببشرتي. اشتقت إليك، جيم. لا تأتي أبداً إلى المنزل".

قال تيدي: "أنا أعمل كثيراً".

"اجلس". أمسكت بذراعه.

أوماً له كاولي بالتقدم نحوها، فسمح تيدي لنفسه بالجلوس على السرير. حلس قرها. لقد اختفى السبب الذي أثار الذهول في عينيها، في الصورة الفوتوغرافية، على الأقل مؤقتاً، ويستحيل، عند الجلوس قرها إلى هذه الدرجة، عدم ملاحظة كم هي جميلة! كان الانطباع الإجمالي الذي تولّده عذباً. عينان داكنتان تسطعان، مع نظرة صافية مثل الماء، حركات بطيئة في حسمها، جعلت أطرافها تبدو وكألها تسبح في الهواء، ووجه ممتلئ بنعومة في الشفتين والذقن.

قالت: "أنت تعمل كثيراً". ومررت أصابعها فوق المساحة الممتدة مباشرة، تحت حنجرته، كما لو ألها تسوّي طيّة، في عقدة ربطة عنقه.

قال تيدي: "توجب عليّ إحضار اللحم إلى المنزل".

قالـــت "أوه، نحــن بخير". وأحسّ بتنفسها على عنقه. "لدينا ما يكفى".

قال تيدي: "للوقت الحاضر. أفكر في المستقبل".

قالت راشايل: "لم أره أبداً. هل تذكر ما كان والدي يقوله؟". "لقد نسيت".

مشطت الشعر عند صدغه بأصابعها. "المستقبل هو شيء تدّخره، كان يقول. أنا أدفع نقداً". وجهت إليه ضحكة صغيرة، وانحنت بالقرب منه، إلى درجة استطاع الإحساس بنهديها على متن كتفيه. "لا صغيري، علينا العيش لليوم. للآن". هذا ما كانت تقوله دولوريس. كما أن الشفتين والشعر لهما الشكل نفسه، لدرجة، أنه لو اقترب وجه راشايل أكثر، لتمت مسامحته على الظن أنه يتحدث إلى دولوريس. حيى إلهما تملكان الجاذبية المرتعشة نفسها، والتي لا يعرف تيدي بالرغم من كل سنواقما معاً - ما إذا كانت زوجته مدركة حيى لتأثيرها.

حاول تذكر ما يفترض به سؤالها. عرف أنه يفترض به إعادتها إلى السسكة. وجعلها تخبره عن يومها البارحة، كيف كان، وماذا حصل بعدما مشت على الشاطئ وشيدت القصور.

قال لها: "ماذا فعلت بعدما سرت قرب البحيرة؟".

"تعرف ماذا فعلت".

."Y"

"أوه، تريد سماعه مني وأنا أقوله؟ أليس كذلك؟".

انحنت إلى الأمام بحيث بات وجهها قليلاً، تحت وجهه، وحدّقت تلك العينان الداكنتان إلى الأعلى، فيما الهواء الخارج من فمها دخل إلى فمه.

"ألا تذكر؟".

"لا أذكر".

"كاذب".

"أنا جاد".

"لست كذلك. إذا نسيت ذلك، جايمس سولاندو، فإنك تبحث عن مشكلة".

همس تيدي: "إذاً، أخبريني".

"تريد فقط سماع ذلك".

"أريد فقط سماع ذلك".

مررت راحة يدها فوق عظم وجنته، وعلى ذقنه، وأصبح صوتما أكثر خشونة حين تحدثت:

"عدت مبللة من البحيرة، ولعقتني حتى حففتني".

وضع تيدي يديه على وجهها، قبل أن تغلق المسافة الفاصلة بينهما. انزلقت أصابعها على صدغيه، وأحس برطوبة شعرها على إهاميه فنظر إلى عينيها.

همسس لها: "أخبريني أيضاً، ماذا فعلت البارحة؟". ورأى شيئاً يكافح الصفاء في عينيها. الخوف، إنه واثق تماماً. ثم ظهر الخوف على شختها العلوية، والبشرة التي بين حاجبيها. أحس بالارتعاشات في لحمها.

فتــشت في وجهه، واتسعت عيناها، وتحركتا من جهة إلى أخرى في محجريهما.

قالت: "لقد دفنتك".

"لا، أنا هنا".

"دفنـــتك. في تابـــوت فارغ، لأن جسمك تطاير فوق كل شمال الأطلسي. دفنت صفائحك المعدنية لأنها كل ما استطاعوا العثور عليه. حسمك، حسمك الجميل، احترق، وأكلته أسماك القرش".

قال كاولي: "راشايل".

قالت: "مثل اللحم".

قال تيدي: "لا".

"مثل اللحم الأسود، المحترق جداً".

"لا، لم يكن هذا أنا".

"لقد قتلوا جيم. جيم خاصتي مات. فمن أنت، إذاً؟".

أفلتت من قبضته، وتراجعت على السرير نحو الجدار، واستدارت للنظ إليه.

"من هذا بربكم؟". أشارت إلى تيدي وبصقت عليه.

لم يــستطع تيدي التحرك. حدّق إليها، في الغضب الذي اجتاح عينيها، مثل الموجة.

"كنت ستقيم علاقة حميمة معي، أيها البحار! أليس كذلك؟ فيما أولادي يلعبون في الفناء الخارجي. هل كانت هذه خطتك؟ اخرج من هنا أيها اللعين! هل تسمعنى؟ اخرج من هنا...".

اقتربت منه بسرعة، مع يد فوق رأسها، فقفز تيدي عن السرير، ومرّ بسرعة أمامه حارسان يضعان أحزمة جلدية، سميكة على كتفيهما، وأمسكا براشايل من تحت ذراعيها، وألقيا بها على السرير.

أحسّ تيدي بالارتعاشات في حسمه، بالعرق المتصبب من مسامه، وانفحر صوت راشايل عبر الجناح:

"أيها المغتصب! أيها الوحش المغتصب! سيأتي زوجي ويقتلع حنجرتك! هل تسمعني؟ سيقطع رأسك اللعين وسنشرب دمك! سنستحمّ به، أيها الحقير اللعين!".

انقض حارس فوق صدرها، فيما أمسك الحارس الآخر بكاحليها بقبضة قسوية وثبتا الأحزمة في مشابك حديدية في قضبان السرير، ثم شبكا الأحزمة فوق صدر راشايل وكاحليها، وأدخلاها في المشابك

الموضوعة في الجهة الأخرى من السرير، وشدًا الأحزمة بإحكام وتبتاها، وأصدرت المشابك صدوتاً قوياً عند إقفالها، وتراجع الحارسان إلى الخلف.

قال كاولي: "راشايل". وكان صوته رقيقاً وأبوياً.

"أنـــتم جميعاً مغتصبون لعينون. أين هم أطفالي؟ أين هم أطفالي؟ أعيدوا إليّ أطفالي، يا أولاد العاهرات! أعطوني أطفالي!".

أطلقت صرخة عالية، اخترقت العمود الفقري لتيدي، مثل الرصاص، وثارت في قيودها بقوة كبيرة، لدرجة اهتزّت قضبان السرير، وقال كاولي: "سنعود لنراك لاحقاً، راشايل".

بصقت عليه، وسمع تيدي صوت سقوط البصقة على الأرض، ثم صرحت محدداً، وكان هناك دم على شفتها، في المكان الذي يفترض ألها قضمته، وأوماً لهما كاولي، وبدأ بالمشي فانطلقا وراءه، ونظر تيدي إلى الخلف، فوق كتفه، فرأى راشايل تراقبه، تنظر إليه مباشرة إلى العينين، وقوست كتفيها بعيداً عن الفرشاة، وانتفخت السشرايين في عنقها، وامتلأت شفتاها بالدم واللعاب، فيما صرخت فيما، صرحت، كما لو ألها رأت رأس ميت يتسلق نافذها ويتوجه نحو سريرها.

ثمـــة مشرب في مكتب كاولي، توجّهوا إليه. ما إن دخلوا، حتى اســـتدار كاولي إلى اليمين، فأضاعه تيدي، لفترة وجيزة. اختفى وراء غشاء من الضباب الأبيض، وقال تيدي لنفسه:

لا، ليس الآن. ليس الآن بالله عليكم.

قال تيدي: "أين عثرتم عليها؟".

"على الشاطئ، قرب المنارة. ترمي الحجارة في المحيط".

عاد كاولي للظهور مجدداً، لأن تيدي أدار رأسه إلى اليسار، فيما تابع كاولي طريقه، إلى اليمين. حين برم تيدي رأسه، غطى الضباب مكتبة في الجدار، ومن ثم النافذة. فرك عينه اليمين، محاولاً دحض كل الأدلة، لكن الأمر لم يجد نفعاً، ثم شعر به، في الجهة اليسرى من رأسه – واد ضيق مليء بالحمم المتدفقة عبر الجمجمة، مباشرة تحت شعره – ظن أنه سمع صراخ راشايل هنا، الضجيج الغاضب، لكن الأمر تعدى ذلك، وانفجر الألم، مثل عشرات السيوف التي انغرزت ببطء في محمته، فجفل ورفع أصابعه إلى صدغيه.

"أيها المارشال؟!". نظر إلى الأعلى ليرى كاولي، في الجهة الأخرى من مكتبه، مع ضباب إلى يساره.

نحح تيدي في القول: "نعم؟".

"تبدو شاحباً جداً".

"هل أنت بخير سيدي؟". أصبح تشاك قربه فجأة.

قال تيدي: "بخير". ووضع كاولي كأس الشراب الاسكتلندي على المكتب، فكان الصوت أشبه بصوت طلقة المسدس.

قال كاولى: "اجلس".

قال تيدي: "أنا بخير". لكن الكلمات شقت طريقها من دماغه إلى لسانه، عبر سلم ملىء بالأشواك.

طقطقت عظام كاولي مثل الخشب المحترق، فيما انحني على المكتب أمام تيدي. "صداع الشقيقة؟".

نظر تيدي إلى شكله الضبابي. أراد الإيماء برأسه، لكن التحربة السسابقة علّمته ألا يومئ أبداً خلال هذه النوبات. "نعم". نجح في القول.

"عرفت ذلك، من طريقة فركك لصدغيك".

"أوه".

"هل تعاني منها غالباً؟".

"نصف دزينة...". أصبح فم تيدي حافاً، واحتاج إلى بضع ثوان لإعادة بعض الرطوبة إلى لسانه. "... في السنة".

قال كاولي: "أنت محظوظ في جانب واحد، على كل حال". "وكيف ذلك؟".

سأل تيدي: "ماذا تعاني؟ فقداناً حزئيًّا للرؤية، حفافاً في الفم، ناراً في الرأس؟".

"برافو".

"درسنا الدماغ، طوال قرون عدة، ولم يعرف أحد من أين تأي. هـل تصدق ذلك؟ نعرف ألها تماجم الفص الجداري عادة. نعرف ألها تسبب تخثراً للدم. إلها أمور متناهية الصغر، لكنها تحصل في شـيء دقيق، وصغير، هو الدماغ. ويعاني المرء من انفحارات. لكن، طوال هذا الوقت، ومع كل هذه الدراسات، لا يعرف أحد السبب، أو التأثيرات طويلة الأمد للتصرفات التي نعتمدها لوقف الزكام الشائع".

أعطاه كاولي كوباً من الماء، ووضع حبتين صفراوتين في يده. "يفترض بماتين أن تجديا نفعاً. قد تنام لساعة أو ساعتين، لكن حين تستيقظ، يفترض أن تكون بخير. عقلك صاف تماماً".

نظسر تـــيدي إلى الحبتين الصفراوتين، وإلى كوب الماء العالق في قبضة محفوفة بالمخاطر.

نظــر إلى كاولي، وحاول التركيز بعينه الجيدة، لأن الرجل بات مغطى بضوء أبيض جداً وقاسٍ كثيراً، بحيث غطى كتفيه وذراعيه.

مهما فعلت، بدأ صوت يقول في رأس تيدي...

انغرزت مسامير في الجهة اليسرى من جمحمته، وسُكب دفقٌ من المسامير الصغيرة هناك، وصفّر تيدي فيما استنشق الهواء.

"يا الله، سيدي!".

"سيكون بخير أيها المارشال".

جرّب الصوت مجدداً: مهما فعلت، تيدي...

أدخل أحدهم قضيباً فولاذياً في كومة المسامير الصغيرة، وضغط تيدي بمتن يده على عينه الجيدة فيما الهمرت الدموع منها، وتمايلت معدته.

... لا تأخذ هذه الحبوب.

تــوجهت معدته جنوباً، وانــزلقت عبر وركه الأيمن، فيما لعق اللهب جوانب الشقوق في رأسه، وإذا ساءت الأمور أكثر، كان واثقاً، من أنه سيعض لسانه.

لا تأخـــذ تلــك الحبوب اللعينة، صرخ الصوت، وركض حيئة وذهاباً في الوادي المحترق، ملوّحاً بعلم، راكضاً أمام الحشود.

أخفض تيدي رأسه، وتقيأ على الأرض.

"سيدي، سيدي. هل أنت بخير؟".

قال كاولي: "أوه، أوه. تعاني من نوبة سيئة".

رفع تيدي رأسه.

لا...

أصبحت و جنتاه مبللتين بدموعه.

... تأخذ...

غرز أحدهم شفرة بالطول في الوادي.

... تلك...

بدأت الشفرة تتحرك جيئة وذهاباً.

... الحبوب.

صك تيدي أسنانه، وأحسّ بمعدته تثور مجدداً. حاول التركيز على الكــوب في يده، ولاحظ شيئاً غريباً على إبهامه، وقال إنه، بلا شك، صداع الشقيقة الذي يؤثر في إدراكه.

لا تأخذ هذه الحبوب.

تمرير جديد لأسنان المنشار عبر طيات دماغه، وتوجب على تيدي كبت صرحة، وسمع صراخ راشايل هناك، مع النار، ورآها تنظر في عينيه، وأحس بنفسها على شفتيه، وأحس بوجهها بين يديه فيما داعب إلهاماه صدغيها، وعاد ذلك المنشار اللعين للتحرك جيئة وذهاباً عبر رأسه؛ لا تأخذ هذه الحبوب.

ووضع راحة يده على فمه، وأحسّ بالحبتين تدخلان إلى هناك، فيما تدفق الماء خلفهما وابتلعهما، وأحس بهما تنزلقان عبر المريء، وشرب من كوب الماء حتى فرغ.

قال كاولي: "ستشكرني".

كان تشاك بقربه محدداً، وأعطى تيدي منديلاً، فمسح تيدي حبينه به، ثم مسح فمه، وأفلته على الأرض.

قال كاولى: "ساعدى على حمله أيها المارشال".

رفعا تيدي عن الكرسي، وبرماه بحيث استطاع رؤية باب أسود أمامه.

قال كاولي: "لا تخبر أحداً، لكن، ثمة غرفة هناك، آخذ فيها قال كارشال، على أحياناً. أوه، حسناً، مرة يومياً. سنضعك هناك أيها المارشال، وستنام. بعد ساعتين من الآن، ستكون بأفضل حالاتك".

رأى تيدي يديه تنزلقان عن كتفيهما. بدواً مضحكين؛ وتدلّت يداه فوق عظم صدره. والإهامان، كشفا عن ذلك التمويه البصري. ما هذا؟ تمنى لو أنه يستطيع حك البشرة، لكن كاولي بات يفتح الباب الآن، ونظر تيدي مرة أخرى إلى البقع على الإهامين.

بقع سوداء! ملمّع أحذية، قال لنفسه، فيما أدخلاه إلى الغرفة الداكنة. كيف وصل ملمع الأحذية إلى إهماميّ؟ كانت من أسوأ الكوابيس التي عرفها.

بدأت مع تيدي يمشي عبر شوارع هال، شوارع اجتازها مرات الامتناهية، من الطفولة إلى الرجولة. مرّ أمام مدرسته القديمة. مرّ أمام المتجر الصغير، الذي كان يشتري منه العلكة، والصودا القشدية. مرّ أمام منزل ديكرسون، ومنزل باكاسكي، وموراي، وبويد، وفينون، وكونستانتين. لكن، ما من أحد في منزله. لم يعد أي أحد موجوداً. أصبحت فارغة، البلدة بأكملها. وهادئة جداً. لم يستطع حتى سماع المحيط، بالرغم من أنه يمكنك دوماً سماع المحيط في هال.

هذا مريع؛ بلدته، ورحيل الجميع. حلس على السور البحري على طول حادة المحيط؛ وفتش في الشاطئ الفارغ، وحلس، وانتظر، ولكن لم يأت أحد. أدرك ألهم ماتوا جميعاً، قبل زمن طويل وبعيد. كان شبحاً، عاد عبر القرون إلى بلدته الشبح. لم تعد موجودة أصلاً. لم يعد موجوداً أصلاً. لا يوجد أحد هنا.

وحدد نفسه بعد ذلك في قاعة رخامية كبيرة، مليئة بالأشخاص والحمّالات وأكياس المصل الحمراء فشعر فوراً بالتحسن. أينما كان هدذا، ليس لوحده. ثلاثة أولاد - صبيان وفتاة - مرّوا أمامه. ارتدوا أثواب مستشفى، وكانت الفتاة خائفة. أمسكت بيدي أخويها. قالت: "إنها هنا. ستجدنا".

انحنى آندرو لايديز وأشعل سيجارة تيدي. "هاي، لا مشاعر سيئة، صحيح يا صديقى؟".

كان لايديز عينة مقيتة من البشرية - جسم مشوّه، رأس متدل مع ذقن ناتئة، أطول مرتين مما كانت، أسنان مشوهة، بقع من السَّعر الأشقر على جمحمة وردية - لكن تيدي سُر برؤيته. كان الوحيد الذي يعرفه في الغرفة.

قال لايديز: "أحضروا لي قنينة، إذا، أردت الشرب لاحقاً". غمز تيدي، وأدار ظهره، واستدار نحو تشاك، وبدا ذلك طبيعياً جداً.

قال تشاك: "علينا النهاب. بدأت الساعة تتكتك هنا يا صديقى".

قال تيدي: "بلدق فارغة. ما من أحد فيها".

وبدأوا بالركض لأنها أصبحت هنا، راشايل سولاندو، تصرخ فيما تركض عبر الغرفة الكبيرة مع ساطور كبير. وقبل أن يتمكن تيدي مدن الوصول إليها، أمسكت بالأولاد الثلاثة، وراح الساطور يتحرك صعوداً ونرولاً، وتجمّد تيدي، مذهولاً فعلياً، مدركاً أنه لا يستطيع فعل أي شيء في هذه المرحلة، لأن هؤلاء الأولاد ماتوا.

نظرت راشايل إليه. كان وجهها وعنقها ملطخين بالدماء. قالت: "ساعدن".

قال تيدي: "ماذا؟ سأقع في مشكلة".

قالـــت: "ساعدين وسأكون دولوريس. سأكون زوجتك. ستعود لك".

قــال لها: "موافق" وساعدها. رفعا الأولاد الثلاثة دفعة واحدة، نوعاً ما، ونقلاهم عبر الباب الخلفي إلى الأسفل نحو البحيرة، ووضعاهم في الماء. من دون رميهم. كانا لطيفين. وضعا الأولاد على الماء وغرق الأولاد. عاد أحد الصبيين للارتفاع مجدداً، مع يد معقوفة، وقالت راشايل: "لا بأس. لا يستطيع السباحة".

وقف على الشاطئ، وشاهدا الصب يغرق، ووضعت ذراعها حول خصر تيدي وقالت: "ستكون جيم خاصتي وسأكون دولوريس خاصتك. سننجب، أطفالاً جدداً".

بدا هذا حلاً مثاليًا تمامًا، وتساءل تيدي لماذا لم يفكر فيه أبداً من قبل.

لحق بها إلى آشكليف، والتقيا بتشاك ومشوا، هم الثلاثة في رواق طويل، امتد لمسافة ميل كامل. قال تيدي لتشاك: "إنها تأخذي إلى دولوريس. سأذهب إلى منزلي يا صديقي".

قال تشاك: "هذا رائع. أنا مسرور. لن أغادر أبداً هذه الجزيرة". "لا؟".

"لا، لكن لا بأس سيدي. فعلاً. أنا أنتمي إلى هنا. هنا موطني". قال تيدي: "موطني راشايل".

"تقصد دولوريس".

"صحيح، صحيح. ماذا قلت؟".

"قلت راشايل".

"أوه، آسف بشأن ذلك. هل تظن فعلاً أنك تنتمي إلى هنا؟". أوماً تشاك برأسه. "لم أغادر أبداً. لن أغادر أبداً. أقصد، أنظر إلى يديّ، سيدي".

نظر تيدي إليهما. رآهما ناعمتين تماماً. قال له ذلك.

هزّ تيدي رأسه. "لا تنطبقان. تتحول الأصابع أحياناً إلى فتران". "حسناً، أنا مسرور إذاً، لأنك في موطنك".

"شكراً سيدي". أدار ظهره، ونظر إلى كاولي وراشايل اللذين أصبحا بعيدين عنهما، نوعاً ما، وبدأ تيدي يمشى بسرعة مضاعفة.

قال كاولي: "لا يمكنك أن تحب امرأة قتلت أو لادها".

قال تيدي وهو يمشي أسرع: "بلي أستطيع. لكنك لا تفهم".

"ماذا؟". لم يكن كاولي يحرّك ساقيه، لكنه بقي بمحاذاة تيدي تماماً. "ما الذي لا أفهمه؟".

"لا أستطيع أن أكون لوحدي. لا أستطيع مواجهة ذلك. ليس في هذا العالم اللعين. أحتاج إليها. إنها دولوريس خاصتي".

"إنها راشايل".

"أعــرف ذلك. لكننا عقدنا اتفاقاً. ستكون دولوريس خاصتي. وسأكون جيم خاصتها. إنها صفقة جيدة".

قال كاولي: "أوه، أوه".

عــاد الأولاد الــثلاثة وهـــم يركضون في الرواق نحوهم. كانوا مبللين، وكانوا يصرخون، فيما رؤوسهم منــزوعة.

قال كاولى: "أي أم تفعل ذلك؟!".

شاهد تسيدي الأولاد يركضون في مكانهم. مرّوا أمامه وأمام كاولي، ثم تغير الهواء، أو شيء ما لأنهم ركضوا، وركضوا، ولكنهم، لم يتحركوا أبداً إلى الأمام.

قال كاولى: "تقتل أولادها!".

قال تيدي: "لم تقصد ذلك. إنما فقط حائفة".

قال كاولي: "مثلي؟". لكنه لم يعد كاولي. أصبح بيتر برين. "إنها خائفة، ولذلك تقتل أولادها فتصبح الأمور جيدة؟".

"لا. أقصد نعم. لا أحبك بيتر".

"ماذا ستفعل حيال ذلك؟".

وضع تيدي مسدس الخدمة على صدغ بيتر.

قــال تــيدي: "هــل تعرف عدد الأشخاص الذين أعدمتهم؟". وكانت الدموع تنهمر على وجهه.

قال بيتر: "حسناً، لا تفعل. أرجوك".

ضغط تيدي على الزناد، ورأى الرصاصة تخرج من الجهة الأخرى للسرأس برين، وشاهد الأولاد الثلاثة كل شيء، وبدأوا يصرخون الآن مسئل الجانين فقال بيتر: "اللعنة!". اتكأ على الجدار، وأمسك بيده على حرح الدخول. "أمام الأولاد؟!".

وسمعوها، سمعوا صراحاً خرج من الظلمة أمامهم، صراحها هي، إلها آتية. إلها هناك في مكان ما في الظلمة، كانت تركض نحوهم بكل سرعتها، وقالت الفتاة الصغيرة: "ساعدنا".

"لست والدكم. ليس هذا مكاني".

"سأناديك بابا".

قال تيدي: "جيد". مع تنهيدة، وأخذ يدها.

مشيا في الأجراف المطلة على شاطئ الجزيرة، ثم تجولا في المقابر، ووجد تيدي رغيف حبز وبعض زبدة الفول السوداني والهلام، فحضر سندوي شات في المقبرة، وكانت الفتاة الصغيرة سعيدة جداً، حالسة في حضنه، تأكل سندويشها، وأخذها تيدي معه إلى فناء المقبرة، وأشار إلى مدفن والده ومدفن والدته ومدفنه:

إدوارد دانيالز بحار سيئ 1957–1920

سألت الفتاة: "لماذا أنت بحار سيئ؟". 191

- "لا أحب الماء".
- "وأنا أيضاً لا أحب الماء. يجعلنا ذلك صديقين".
 - "أظن ذلك".
 - "أنت ميت. حصلت على لا أعرف ماذا".
 - "مدفن".
 - "نعم".
- "إذًا، أظن أنني ميت. لا يوجد أحد في بلدتي".
 - "أنا ميتة أيضاً".
 - "أعرف. آسف بشأن ذلك".
 - "لم تمنعها".
- "وما الذي كنت أستطيع فعله؟ حين وصلت إليها، كانت قد، تع فين...".
 - "أوه، يا الله!".
 - "ماذا؟".
 - "لقد عادت مجدداً".

ثم ظهرت راشايل تمشي في فناء المقبرة قرب المدفن. لقد تاه تيدي في العاصفة. أخذت وقتها. كانت جميلة جداً، فيما شعرها مبلل نتيجة المطر، واستبدلت الساطور بفأس له مقبض طويل وجرّته قربها وقالت: "هيا تيدي. إنهم لى".

- "أعرف. لكنني لا أستطيع إعطاءك إياهم".
 - "سأكون مختلفة هذه المرة".
 - "كيف؟".
- "أنا بخير الآن. أعرف مسؤولياتي. أصبح رأسي حيداً". بكي تيدي قائلاً: "أحبك كثيراً".

"وأنا أحبك أيضاً صغيري. فعلاً". جاءت وقبّلته، قبّلته فعلاً، ووضعت يديها على وجهه، وانزلق لسالها فوق لسانه، وصدر تأوه خفيف مسن حنجرتها، ودخل إلى فمه، فيما قبّلته بقوة أكبر وأكبر وأحبها كثيراً.

قالت: "والآن أعطيني الفتاة".

أعطاها الفتاة، فأمسكت الفتاة بذراع واحدة، ورفعت الفأس باليد الأخرى وقالت: "سأعود فوراً، اتفقنا؟".

قال تيدي: "طبعاً".

لو دلك. عليك اتخاذ قرارات صعبة حين تكون راشداً، قرارات ربما عرف ذلك. عليك اتخاذ قرارات صعبة حين تكون راشداً، قرارات ربما لا يستطيع الأولاد فهمها. لكنها تتخذها نيابة عن الأولاد. واستمر تسيدي في التلويح، بالرغم من أن الفتاة لم تلوّح، فيما أخذها أمها نحو المقسرة، ونظرت الفتاة الصغيرة إلى تيدي، وتوسلت الإنقاذ في عينيها، مستسلمة لهذا العالم، لهذه التضحية، فيما لا يزال فمها مليئاً بزبدة الفول السوداني والهلام.

"أوه يا الله!". حلس تيدي. كان يبكي. شعر أنه أجبر نفسه على الاستيقاظ، مزق دماغه إلى الوعي لمجرد النهوض من هذا الحلم. أحس فيه، هاك، في دماغه، ينتظر، فيما الأبواب مشرعة. كل ما عليه هو إغماض عينيه، وإرجاع رأسه إلى الخلف نحو الوسادة للعودة مباشرة إلى ذلك الحلم. "كيف حالك أيها المارشال؟".

غمز بعينيه مرات عدة في الظلمة. "من يوجد هنا؟".

أشــعل كاولي مصباحاً صغيراً. وقف قرب كرسيه في زاوية من الغرفة. "آسف. لم أقصد إخافتك".

جلس تيدي على السرير. "كم مضى على وجودي هنا؟". وجّــه إليه كاولي ابتسامة اعتذار. "كانت الحبوب أقوى قليلاً مما ظننت. نمت لأربع ساعات".

"اللعنة!". فرك تيدي عينيه بكعبي يديه.

"كنت تعانى من الكوابيس أيها المارشال. كوابيس حقيقية".

قال تيدي: "أنا في مصح عقلي على حزيرة وسط إعصار".

قال كاولي: "تأثرت. أمضيت شهراً كاملاً هنا قبل أن أنعم بنوم هانئ في الليل. من دولوريس؟".

قال تيدي: "ماذا؟". وأنزل ساقيه عن طرف السرير.

"بقيت تلفظ اسمها".

"فمي جاف".

أومـــأ كاولي برأسه، وبرم جسمه على الكرسي، ورفع كوباً من الماء عن الطاولة قربه. أعطى الكوب إلى تيدي. "أخشى أن يكون هذا تأثيراً حانبياً. خذ".

أخذ تيدي الكوب، وشربه على دفعات.

"كيف حال رأسك؟".

تذكر تيدي سبب وجوده في هذه الغرفة أساساً، واحتاج إلى بيضع ثوان للاستيعاب. رؤية واضحة. لا ألم في الرأس. القليل من الغشيان، ولكن الأمر ليس سيئاً جداً. ألم خفيف في الجهة اليمني من الرأس، مثل رضة تعود لثلاثة أيام، تماماً.

قال: "أنا بخير. كانت تلك حبوب".

"نسعى للإرضاء. من دولوريس؟".

قال تيدي: "زوجتي. إنها ميتة. ونعم، حضرة الطبيب، لا أزال لا أستوعب الأمر. هل هذا طبيعي؟". "طبيعي جداً حضرة المارشال. وأنا آسف لخسارتك. هل ماتت فجأة؟".

نظر تيدي إليه وضحك.

"ماذا؟".

"لست فعلاً في مزاج لأخضع لتحليل نفسى، حضرة الطبيب".

شبك كاولي ساقيه عند الكاحلين، وأشعل سيجارة. "وأنا لا أحاول إزعاجك أيها المارشال. صدّق أو لا تصدق. لكن شيئاً ما حصل في تلك الغرفة الليلة مع راشايل. لم تكن فقط هي. أكون مهملاً في واجباتي، بصفيتي معالجها، إذا لم أتساءل عن نوع الشياطين التي تحملها".

قال تيدي: "ماذا حصل في تلك الغرفة؟ كنت أؤدي الدور الذي أرادته مني".

قهقــه كــاولي قــائلاً: "أنت تعرف نفسك أيها المارشال. من فضلك. لو تركناكما لوحدكما، هل تقول لي إننا كنا سنعود لرؤيتكما وأنتما ترتديان كل ثيابكما؟".

قال تيدي: "أنا أؤدي وظيفتي حضرة الطبيب. مهما ظننت أنك رأيت هناك، ليس هذا صحيحاً".

رفع كاولي يده قائلاً: "جيد. مثلما تريد".

قال تيدي: "مثلما أريد".

جلس، ودخّن، وتأمل تيدي، ودخّن المزيد، واستطاع تيدي سماع العاصفة خارجاً، واستطاع الإحساس بضغطها على الجدران، وشعر أنها تدخل عبر الفجوات تحت السقف، وبقي كاولي صامتاً ومتأملاً، وقال تيدي أخيراً:

"ماتـــت في حريق. أشتاق إليها مثلما... لو كنت تحت الماء، لما اشتقت إلى الأوكسيجين هكذا". رفع حاجبيه إلى كاولي. "راضٍ؟".

انحسنى كساولي إلى الأمام، وأعطى تيدي سيجارة، وأشعلها له. "أحببت امرأة ذات مرة في فرنسا. لا تخبر زوجتي، اتفقنا؟". "طبعاً".

"أحببت هذه المرأة مثلما تحب... حسناً، لا شيء". قال وظهرت نسبرة مفاجعة في صوته. "لا يمكنك مقارنة هذا النوع من الحب بأي شيء، هل يمكنك؟".

هزّ تيدي رأسه.

"إنــه هديــة فــريدة". لحقت عينا كاولي الدخان المنبعث من سيجارته، وقد خرج أثره من الغرفة، فوق المحيط.

"ماذا كنت تفعل في فرنسا؟".

ابتسم، وهزّ إصبعه أمام تيدي.

قال تيدى: "آه".

"على كل حال، كانت هذه المرأة آتية للقائي ذات ليلة. كانت مستعجلة، حسبما أظن. كانت ليلة ممطرة في باريس. تعثرَت. هذا هو". "ماذا؟".

"تعثرَت".

"و؟". حدّق تيدي إليه.

"ولا شيء. تعثرت. وقعت إلى الأمام. ضربت رأسها. ماتت. هل تصدق ذلك؟ كنّا في حرب كل الطرائق ممكنة ليموت فيها شخص. تعثرت".

استطاع تيدي ملاحظة الألم في وجهه، حتى بعد كل هذه السنوات، وعدم التصديق أنها ليست مزحة بشعة.

قال كاولي بهدوء: "أحياناً، أمضي ثلاث ساعات كاملة من دون التفكير فيها. أحياناً، أمضي أسابيع كاملة من دون تذكر رائحتها، تلك

النظرة التي كانت توجهها إلي حين تعرف أننا وجدنا الوقت لنكون، وحدنا ذات ليلة، شعرها، الطريقة التي كانت تلعب به حين تقرأ. أحياناً...". أطفأ كاولي سيجارته. "أينما كانت روحها، إذا كانت هيناك بوابة، لنقل، تحت جسمها، وانفتحت حين ماتت، وذهبت إلى هيناك، لعدت إلى باريس غداً، لو كنت أعرف أن تلك البوابة ستفتح مجدداً وسأستطيع اللحاق هما".

قال تيدي: "ما كان اسمها؟".

قال كاولي: "ماري". واحتاج إلى جهد لمجرد قول ذلك. مجّ تيدي سيجارته، وأخرج الدخان بكسل من فمه.

قال: "دولوريس، كانت تتقلب في نومها كثيراً، وكانت يدها، في سبعين بالمئة من الحالات، لا أمزح، ترتطم بوجهي. فوق فمي وأنفي. ضربة مدوية وها هي. كنت أبعدها، هل تعرف؟ بصعوبة كبيرة أحياناً. كنت نائماً بشكل رائع، ثم بوم، ها قد استيقظت. شكراً حبيبتي. لكن أحياناً كنت أتركها هناك. أقبّلها، أشمّها، أستنشقها. لو أستطيع فقط إعادة يدها فوق وجهي، أيها الطبيب؟ أبيع العالم من أجل ذلك".

قعقعت الجدران، وارتعد الليل بالريح.

راقب كاولي تيدي مثلما تراقب الأولاد في زاوية شارع مزدحم. "أنا جيد تماماً في ما أفعله، حضرة المارشال. أعترف أنني أناني. معدل ذكائي مسرتفع جداً، ومنذ أن كنت ولداً صغيراً، أستطيع قراءة الأشخاص أفضل من أي كان. أقول ما أريد قوله من دون أن أقصد الإهانة، لكن، هل فكّرت يوماً في الانتحار؟".

قال تيدي: "حسناً، أنا مسرور لأنك لا تقصد إهانتي". "لكن هل فكّرت فيه؟". قال تيدي: "نعم. لهذا السبب، لم أعد أشرب الكحول أيها الطبيب".

"لأنك تعرف أن...".

"... أها كانت قتلتني قبلاً لو ينفع ذلك".

أومأ كاولي برأسه قائلاً: "على الأقل لا تضلل نفسك".

قال تيدي: "نعم. على الأقل استوعبت ذلك".

قــال كــاولي: "حين تغادر هذا المكان، أستطيع إعطاءك بعض الأسماء، أسماء أطباء حيدين يستطيعون مساعدتك".

هـــز تيدي رأسه. "المارشالات الأميركيون لا يذهبون إلى أطباء للرأس. عذراً، فإذا تسرب الخبر، سيتم طردي من الخدمة".

"حسناً، حسناً. منطقي كفاية. لكن حضرة المارشال؟".

نظر تيدي إليه.

"إذا استمريت في مسارك الحالي، ليست مسألة إذا. إنها مسألة ميت".

"لا تع ف ذلك".

"بلي، بلى، أعرف. أنا متخصص في صدمات الحزن والشعور بالله ننب لدى الناجين. أعاني من الشيء نفسه، ولذلك تخصصت في الشيء نفسه. رأيتك تنظر في عيني راشايل سولاندو قبل بضع ساعات، ورأيت رجالًا يريد الموت. مديرك، المسؤول عن المكتب الميداني؟ أخبرني أنك أفضل رجل لديه. قال إنك عدت من الحرب مع كمية من الميداليات كافية لملء صدر بأكمله. صحيح؟".

هز ّ تيدي كتفه.

"قـــال إنــك كنت في الأردين، وكنت جزءاً من قوة التحرير في داتشاو".

هزّ كتفه مرة أخرى.

"وحينها قُتِلت زوجتك؟ كم هو برأيك أيها المارشال مقدار الضغط الذي يستطيع الرجل تحمله قبل أن ينكسر؟".

قال تيدي: "لا أعرف أيها الطبيب. أنا أيضاً أتساءل عن الشيء نفسه".

نظر تيدي إلى اليد الموضوعة على ركبته. ثم نظر إلى كاولي. قال بهدوء: "وأنا أيضاً". التقيى بتيشاك في الطابق الأرضي من مبنى نوم الرحال، حيث جمعوا أسرة للجميع للخروج سالمين من العاصفة. للوصول إلى هنا، تسوجب على تيدي عبور سلسلة من المرات تحت الأرضية التي تربط كل المباني في المجمّع ببعضها بعضاً. رافقه حارس اسمه بين، وهو عبارة عن كتلة ضخمة من اللحم الأبيض، واجتاز أربع بوابات مقفلة وثلاث نقاط تفتيش محروسة برحال، وهنا، في الأسفل، لا يمكنك معرفة أن هيناك عاصفة تحبّ في الخارج. كانت المرات طويلة ورمادية ومضاءة بطريقة خافتة، لم يحب تيدي كثيراً مقدار الشبه بينها وبين المرات التي رآها في حلمه. صحيح ألها ليست طويلة بهذا القدر، وليست مليئة ببقع مفاجئة من الظلمة، ولكنها رمادية وباردة بالطريقة نفسها.

شـــعر بالإحراج عند رؤية تشاك. لم يعان أبداً من نوبة صداع الشقيقة همذه القوة أمام الآخرين من قبل، وشعر بالخجل حين تذكر كيف تقيأ على الأرض. كان عاجزاً جداً، مثل الطفل، واحتاج إلى من يرفعه عن الكرسي.

لكسن حسين نادى تشاك: "هاي سيدي". من الجهة الأخرى في الغسرفة، تفاجاً لإحساسه بالكثير من الارتياح للقاء به محدداً. طلب إحساء هذا التحقيق بمفرده، وتم رفض طلبه. في ذلك الوقت، أزعجه الأمر، لكن الآن، بعد يومين في هذا المكان، بعد المقبرة ونَفَس راشايل في فمه، وتلك الأحلام اللعينة، عليه الاعتراف أنه مسرور لأنه ليس وحده في هذه القضية.

تــصافحا، وتذكر ما قاله له تشاك في الحلم: "لن أغادر أبداً هذه الحزيرة". وشـعر تيدي بشبح عصفور أسود يمر أمام صدره ويصفق بجناحيه.

"كيف حالك سيدى؟". ربّت تشاك على كتفه.

وجّــه إلــيه تيدي ابتسامة خجولة. "أنا أفضل. مضطرب قليلاً، ولكنني جيد بشكل عام".

"اللعنة!". قال تشاك وهو يخفض صوته، ويبتعد قليلاً عن حارسين يدخنان السجائر قرب عمود دعم. "لقد أخفتني سيدي. ظننت أنك تعرضت لنوبة قلبية، أو سكتة دماغية، أو ما شابه".

"محرد صداع الشقيقة".

قال تاك الجدار المحرد". أخفض صوته أكثر، وتوجها إلى الجدار الإسماني البيج، في الجهة الجنوبية من الغرفة، بعيداً عن بقية الرحال. "تعرف، ظننتُ أنك تتظاهر بالأمر في البداية، كما لو أن لديك خطة للوصول إلى الملفات أو ما شابه".

"ليتني كنت بهذا الذكاء".

نظر في عيني تيدي، وقد تلألأت عيناه. "لكن، خطرت لي فكرة". "لا".

"بلی".

"ماذا فعلت؟".

"أخــبرت كــاولي أنني سأبقى معك. وفعلت. وبعد برهة، تلقى اتصالاً وغادر المكتب".

"هل فتشت في ملفاته؟".

أومأ تشاك برأسه.

"ماذا وجدت؟".

انخفض وجه تشاك. "حسناً، في الواقع ليس الكثير. لم أستطع الوصول إلى خزانات الملفات. لديه بعض الأقفال التي لم أشاهدها أبداً من قبيل. واخترت الكثير من الأقفال. كان في وسعي اختيار تلك الأقفال، لكنين كنت سأترك بصمات. تفهمني؟".

أومأ تيدي برأسه. "فعلت الشيء الصحيح".

"نعم، حسناً...". أوماً تشاك برأسه لحارس مرّ أمامهما، وأحسّ تيدي كما لو أنه تم نقلهما إلى فيلم قديم لكاغني، فيما الأشرار في الفناء الخلفي يخططون لهروبهم. "لكنين وصلت إلى مكتبه".

"ماذا؟".

قال تشاك: "هذا جنون، أليس كذلك؟ يمكنك ليّ معصمي لاحقاً". "ليّ معصمك؟ إنك تستحق ميدالية!".

"لا ميدالية. لم أعثر على الكثير سيدي. فقط على روزنامته. لكن إلــيك ما وحدته؛ البارحة، اليوم، غدًا، وبعد غد كلها مشطوبة، هل تعرف؟ شطبها بالأسود".

قال تيدي: "الإعصار. سمع أنه آت".

هـز تـشاك رأسه. "كتب فوق الخانات الأربع. هل تعرف ما أقصده. مثلما تكتب عطلة في الكاب كود. هل تفهمني؟".

قال تيدي: "طبعاً".

حــاء تــراي واشنطن إليهما، مع بحة في صوته، وقد غطى المطر رأسه وملابسه وقال: "أنتما تختبئان هنا، أيها المارشلان؟".

قال تشاك: "حزرت".

سأله تيدي: "هل كنت في الخارج؟".

"أوه نعم. العاصفة قوية الآن أيها المارشلان. كنا نطوق المجمع بأكمله بأكياس الرمل، ونثبت كل النوافذ. اللعنة. كل الأشياء تتساقط

فوق بعضها في الخارج". أعاد تراي إشعال سيجارة بواسطة قدّاحة زيبو، واستدار نحو تيدي. "هل أنت بخير أيها المارشال؟ سرت شائعة في المكان أنك تعرضت لنوبة ما".

"أي نوع من النوبات؟".

"أوه، الآن، وقد مضى على وجودك كل الليل، تحاول تصور سيناريوهات عدة للقصة".

ابتسم تيدي: "أعاني من صداع الشقيقة. من نوبات سيئة".

"لـــديّ عمة كانت تعاني من نوبات مربعة. كانت تحبس نفسها في غرفة نوم، وتطفئ الضوء، وتغلق الستائر، ولم يكن أحد يراها طوال أربع وعشرين ساعة".

"أتعاطف معها".

نفخ تراي دخان سيجارته. "حسناً، لقد ماتت قبل زمن بعيد، لكن، حين أصعد إلى الأعلى سأذكرها في صلواتي الليلة. كانت امرأة حقيرة، على كل حال، سواء أعانت من الصداع أم لا. كانت تضربني وأخي بواسطة قضيب كبير. أحياناً من دون سبب. كنت أقول لها: عميق ماذا فعلت؟ فتحيبني: لا أعرف، لكنك تفكر في القيام بشيء فظيع. ماذا تفعل مع امرأة كهذه؟".

بدا وكأنه ينتظر جواباً فعلاً، ولذلك قال تشاك: "الهروب بسرعة".

أطلق تيدي قهقهة خفيفة حول سيجاره. "أليست هذه الحقيقة؟ نعم، سيدي". تنهد. "سأذهب لأجفف نفسي. أراكما لاحقاً". "نه اك".

كانــت الغرفة مليئة بالرجال الآتين من العاصفة، الذين يحاولون نــزع الرطوبة عن أثوابهم السوداء، وقبعاتهم الكبيرة السوداء، وكانوا يسعلون، ويدخنون، ويمررون لبعضهم قناني الشراب بشكل علني.

اتكأ تيدي وتشاك على الجدار البيج، وتحدثًا بنبرة منخفضة وهما ينظران إلى الغرفة.

"إذاً، ما كانت الكلمات على الروزنامة...؟".

"نعم".

" لم تكن عطلة في الكاب كود".

"צ".

"ماذا كانت؟".

"كانت المريض السابع والستين".

"فقط؟".

"فقط".

"لكن هذا يكفي، أليس كذلك؟".

"أوه، نعم حسبما أظن".

لم يستطع النوم. أصعفى إلى الرحال يشخرون، ويشهقون، ويزفرون صفيراً خفيفاً، وسمع بعضهم يتحدثون في نومهم، وسمع أحدهم يقول: "عليك إخباري. هذا كل شيء. فقط قل الكلمات...". وسمع رجلاً آخر يقول: "هناك بوشار في حنجرتي". ركل بعضهم الشراشف، وبرم بعضهم الآخر مراراً وتكراراً، ولهض بعضهم لضرب الوسادات قبل الاستلقاء مجدداً على الفراش. بعد برهة، بلغ الضجيج نوعاً من الإيقاع المريح، الذي ذكر تيدي بنشيد مكبوت.

كان الصوت مكبوتاً أيضاً في الخارج، لكن تيدي استطاع سماع العاصفة تضرب بالأرض وتعصف بالأسس، وتمنى لو أنه توجد نوافذ هنا، ليتمكن فقط من رؤية وميض العاصفة، والبرق المرسوم في السماء. فكر في ما قاله له كاولى.

ليست مسألة إذا. إنها مسألة متى. هل يفكّر في الانتحار؟

افترض ذلك. لا يذكر يوماً منذ موت دولوريس لم يفكّر فيه في الانصمام إليها، ووصل الأمر أحياناً إلى أبعد من ذلك. شعر أحياناً وكان الاستمرار في العيش هو عمل حبان. فما الجدوى من شراء الحاحيات، أو ملء خزان وقود سيارة الكرايزلر، أو الحلاقة، أو انتعال الجوارب، أو الوقوف في صف آخر، أو اختيار ربطة عنق، أو كيّ قميص، أو غسسل الوجه، أو تمشيط الشعر، أو دفع شيك، أو تجديد الرخصة، أو قراءة الجريدة، أو التبول، أو الأكل – بمفرده، دوماً بمفرده – أو الذهاب إلى السينما، أو شراء أسطوانة، أو دفع الفواتير، أو الحلاقة بحدداً، والغسيل مجدداً، والنوم مجدداً، والاستيقاظ مجدداً...

... إذا كان كل هذا لا يجعله أقرب إليها؟

عــرف أنه يفترض به المضي قدماً، التعافي، وضع المسألة وراءه. لقد قال له ذلك أصدقاؤه القليلون وأقاربه القليلون، وعرف أنه لو كان في الخـــارج ينظر إلى الداخل، لقال لذلك التيدي أن يستوعب الأمر، ويتحلى بالشجاعة، ويمضي قدماً في بقية حياته.

لكن، لفعل ذلك، عليه العثور على طريقة لوضع دولوريس على رف، والــسماح لها بالامتلاء بالغبار على أمل أن يتراكم غبار كاف عليها لتمويه ذكراه لها، تمويه صورتها. إلى أن تصبح، يوماً ما، أقل من شخص عاش وأكثر من حلم امرأة.

يقول ولكن التغلب عليها، عليك التغلب عليها، ولكن التغلب على ماذا؟ على هذه الحياة اللعينة! كيف يفترض بي إخراجك من عقلي. لم يستجع الأمر لغاية الآن، فكيف يفترض بي فعل ذلك؟ كيف يفترض بين فعل الإمساك بك يفترض بين التخلي عنك، هذا كل ما أسأله، أريد الإمساك بك

تمين لو أنه لم يتناول أبداً تلك الحبتين. استيقظ تماماً عند الثالثة. كيان ميستيقظاً تماماً يسمع صوتها، مع لكنة بوسطن الخفيفة التي لا تكيشف نفيسها في حرفي "أيه" و"آر" بقدر حرفي "إي" و"أر" بحيث أحبته دولوريس في كلمات مهموسة. ابتسم في الظلمة، وهو يسمعها، يرى أسناها، أهداها، الشهوة الكسولة في نظراتها صباح يوم الأحد.

تلك الليلة التقيى هما في الكوكونات غروف. كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً قوياً، وأصبح الهواء فضياً بفعل الدخان، وكان الجميع يرتدون أجمل الثياب؛ البحارة والجنود في أجمل بذلاتهم البيضاء، والزرقاء، والرمادية، فيما وضع المدنيون ربطات عنق متفجرة بالأزهار، وبيذلات مزدوجة الصدر مع مناديل مثلثة مقحمة بترتيب في الجيوب، والنساء، كانت النساء في كل مكان. رقصن حتى خلال توجههن إلى غرفة التبرج. رقصن وهن يتحركن من طاولة إلى طاولة، ودرن على رؤوس أصابعهن، فيما أشعلن السحائر وفتحن علب التجميل الصغيرة، وانزلقن إلى المشرب وأرجعن رؤوسهن إلى الخلف للضحك، وكان شعرهن لامعاً مثل الساتين يلتقط الضوء كلما تحركن.

كان تا من إنتل، وبعض الرجال الآخرين، الذين سيغادرون جميعاً خلال أسبوع، لكنه وبعض الرجال الآخرين، الذين سيغادرون جميعاً خلال أسبوع، لكنه تخلى عن فرانكي لحظة رآها، فتركه وسط الكلام، وتوجّه إلى حلبة السرقص، أضاعها لبرهة بين الناس الذين يفصلون بينهما، بحيث كان الجميع يتدافعون إلى الجانبين لإفساح المجال لبحار وامرأة شقراء ترتدي ثوباً أبيض، فيما برمها البحار على ظهره، ثم رفعها فوق رأسه، وبرمها وعاد لالتقاطها وهي قبط، فأنزلها نحو الأرض، فيما صفق له

الجمهور، ثم لمح تيدي وميض فستانها البنفسجي مجدداً.

كان فستاناً جميلاً وكان اللون أول شيء لفت انتباهه. لكن هناك الكستير مسن الفسساتين الجميلة تلك الليلة، الكثير منها، وبالتالي ليس الفسستان الذي لفت انتباهه، وإنما الطريقة التي ارتدته بها، بعصبية، بوعسي، لمسته بتفهم، سوّته، وأعادت تسويته. ضغطت براحتي يديها على حشوتي الكتفين.

كان مستعاراً، أو مستأجراً. لم ترتد أبداً مثل هذا الفستان من قبل. أرعبها. لدرجة لم تعرف ما إذا كان الرجال والنساء ينظرون إليها بسبب الشهوة، أو الحسد، أو الشفقة.

لاحظت تيدي وهو يراقبها، فيما كانت تسحب إبحامها عن رباط حمالة الثديين. أخفضت عينيها، وتدفق اللون إلى الأعلى من حنجرتها، ثم نظرت إلى الأعلى نحو تيدي، ونظر تيدي إلى عينيها وابتسم وقال لنفسه، أشعر بالغباء في هذا اللباس أنا الآخر. لو أن هذه الفكرة تنتقل عبر الأرض. ويبدو ألها فعلت، لألها ابتسمت، ابتسامة غزل وامتنان في الوقت نفسه، وترك تيدي فرانكي غوردون هناك، فيما كان فرانكي يتحدث عن متاجر الغذاء في أيوا أو ما شابه، وفي الوقت الذي مر فيه أمام سياج الراقصين، أدرك أنه لا يملك شيئاً ليقوله لها. ماذا سيقول؟ هل سيقول فستاناً جميلاً؟ هل أطلب لك مشروباً؟ أم تملكين عينين جميلتين؟

قالت: "تائه؟".

دوره في المدوران. وجد نفسه ينظر إلى الأسفل، إليها. كانت المرأة قصيرة لا يتعدى طولها خمس أقدام وأربعة إنشات في الكعب العالي. جميلة حداً. ليس بطريقة جامحة مثل العديد من النساء الأخريات الموجودات هناك، مع أنوف وشعر وشفاه مثالية. ثمة شيء مهمل في وجهها، عيناها بعيدتان ربما قليلاً عن بعضهما، وشفتاها عريضتان حداً

بحيث بدتا غير متناسقتين مع وجهها الصغير، وذقن غير واثق من نفسه. قال: "قليلاً".

"حسناً، عَمّ تبحث؟".

قالها قبل أن يفكّر في منع نفسه: "عنك".

اتسعت عيناها، ولاحظ بقعة صغيرة برونزية في بؤبؤها الأيسر، وشعر بالرعب يجتاح حسمه، فيما أدرك أنه فحر الموضوع، فتصرف مثل روميو الواثق جداً من نفسه.

عنك.

من أين جاء بهذه الكلمة بالله عليكم؟ ماذا كان...؟.

"حسناً". قالت...

أراد الركض. لم يتحمل النظر إليها ثانية أحرى.

"... على الأقل لم تضطر للمشى بعيداً".

شعر بابتسامة صغيرة تجتاح وجهه، وشعر أنه منعكس في عينيها. أبله. أحمق. سعيد جداً للتنفس.

"لا آنستى، لا أظن ذلك".

قالت "يا الله!". وتراجعت إلى الخلف للنظر إليه، وضغطت بكأس شراب العنب على أعلى صدرها.

"ماذا؟".

"أنت خارج المكان هنا تماماً مثلي، أليس كذلك أيها الجندي؟".

اتكأت على نافذة سيارة الأجرة، فيما جلست في المقعد الخلفي مسع صديقتها ليندا كوكس، وكانت ليندا منحنية إلى الأمام لإعطاء العنوان للسائق، وقال تيدي: "دولوريس".

"إدوارد".

ضحك.

"ماذا؟".

رفع يده. "لا شيء".

"لا. ماذا؟".

"لا أحد يناديني إدوارد باستثناء أمي".

"إذاً، تيدي".

أحب سماعها تلفظ الكلمة.

"نعم".

قالت محدداً: "تيدي". وهي تحرّب الكلمة.

قال: "هاي ما اسم عائلتك؟".

"شانال".

رفع تيدي حاجبه عند سماع ذلك.

قالـــت: "أعرف. لا يتماشى الاسم مع بقيتي على الإطلاق. يبدو متعجر فا جداً".

"هل أستطيع الاتصال بك؟".

"هل تملك ذاكرة حيدة للأرقام؟".

ابتسم تيدي. "في الواقع...".

قالت: "وينتر هيل، ستة، أربعة، ثلاثة، أربعة، ستة".

وقف على الرصيف، فيما انطلقت سيارة الأجرة، وذكرى وجهها البعيد مسافة إنش واحد عن وجهه - عبر نافذة سيارة الأجرة، وعلى حلية السرقص - عطلت دماغه تقريباً، وكادت تخرج اسمها ورقمها من هناك.

قال لنفسه: هذا هو الحب إذاً. لا منطق فيه، فهو بالكاد يعرفها. لكنها القصة نفسها. لقد التقى للتو بالمرأة التي عرفها، نوعاً ما، قبل أن يولد. مقياس كل حلم لم يجرؤ أبداً على حلمه.

دولوريس. كانت تفكر فيه الآن في المقعد الخلفي المظلم، وتحسّ به مثلما يحسّ بها.

دولوريس.

كل ما احتاج إليه يوماً، وقد بات له اسمٌ الآن.

استدار تيدي في سريره، وتمدد للوصول إلى الأرض، وبحث حوله إلى أن عثر على دفتره وعلبة أعواد ثقاب. أشعل أول عود وحمله فوق الصفحة التي حربش عليها في العاصفة. أشعل أربعة أعواد ثقاب قبل أن يطابق الأحرف الصحيحة بالأرقام

18-1-4-9-5-4-19-1-12-4-23-14-5

R-A-D-I-E-D-S-A-L-D-W-N-E

لكن بعد الانتهاء من ذلك، لم يحتج إلى وقت طويل لفك الرمز. عــودا ثقاب إضافيّان، وراح تيدي يحدّق إلى الاسم، فيما شقت اللهبة طريقها عبر الخشب وصولاً إلى أصابعه.

آندرو لايديز.

حين أصبحت أعواد الثقاب أكثر سخونة، نظر إلى تشاك، الذي يسنام بعد سريرين، وتمنى ألا تتأثر مهنته. لا يفترض ذلك. سيتحمل تيدي كل اللوم. يفترض أن يكون تشاك بخير. يملك تلك الهالة عموماً، مهما حصل، يخرج تشاك غير مخدوش.

نظر مجدداً إلى الصفحة، وألقى عليها نظرة سريعة، أحيرة قبل أن ينطفئ عود الثقاب.

ســـأجدك الـــيوم، آندرو. وإذا كنت لا أدين لدولوريس بحياتي، فإنني أدين لها بهذا على الأقل.

سأجدك.

سأقتلك.

اليوم الثالث

الهريض السابع والستون

المنسزلان خارج الجدار – منزل آمر السحن ومنزل كاولي، وطار كاولي – أصيبا بأضرار مباشرة. اختفى نصف سقف كاولي، وطار القرميد فوق كل المستشفى، مثل درس في التواضع. دخلت شجرة عبر نافذة غرفة الجلوس في منزل آمر السحن، واخترقت الخشب الرقائقي المثبت هناك للحماية، وباتت الجذور، وكل شيء وسط المنزل.

كان المجمع مليئاً بالأصداف وأغصان الأشجار مع إنش ونصف الإنش من الماء. سقف كاولي، بعض الجرذان الميتة، كومات من التفاح، وكل ذلك مغطى بالرمل. بدت قاعدة المستشفى وكأن أحداً فتتها بآلة تقلب الصخور، وخسر الجناح أربع نوافذ، وعدة أقسام من الصفائح المعدنية كانت ملتفة إلى الخلف على السقف. تحول اثنان من أكواخ المسوظفين إلى قضبان، فيما سقطت أكواخ أخرى على جانبها. خسر مبنيا نوم الممرضات والحراس، العديد من النوافذ، وعانت من بعض أضرار الماء بينها. بقي الجناح ب بمنأى عن الأضرار، من دون أي أثر فيه. وفي كل الجزيرة، استطاع تيدي رؤية أشجار مقتلعة الرؤوس، فيما برز خشبها العاري مثل الرماح.

كان الهواء ساكناً مجدداً، وكثيفاً، وملبداً. هطل المطر على نحو مطّرد. غطت الأسماك الميتة الشاطئ. عندما خرجوا للمرة الأولى في الصباح، كانت هناك سمكة مفلطحة تتقلب في النسيم، مع عين حزينة ومتورمة تنظر إلى الخلف، نحو البحر.

راقب تيدي وتشاك، ماكفرسون وحارساً يقلبان سيارة جيب عن جانبها. حين شغّلا المحرك، اشتغل في المرة الخامسة، أرجعا السيارة إلى الخلف عسبر البوابات، ورآهما تيدي بعد دقيقة، يسرعان في الطريق خلف المستشفى باتجاه الجناح ج.

دخــل كـاولي إلى المجمـع، وتوقــف لالتقاط قطعة من سقفه والــتحديق إليها قبل رميها مجدداً على الأرض المليئة بالماء. مرّت عيناه أمــام تــيدي وتــشاك مرتين قبل أن يتعرف إليهما في ثياهما البيضاء الخاصــة بالحــراس والمعاطف السوداء والقبعات السوداء. وحّه إليهما ابتــسامة ساخرة، وبدا أنه على وشك الاقتراب منهما، حين خرج من المستشفى طبيب يضع مسماعاً حول عنقه وركض إليه.

"اختفـــــى الــــرقم اثنان. لا يمكننا إعادته. علينا العثور على هذين الاثنين. سيموتان، جون".

"أين هاري؟".

"هـــاري يعمل على الأمر، لكنه لا يستطيع الحصول على شحنة. ما نفع الاحتياط إذا كان لا يوفر احتياطاً لأي شيء؟".

"حسناً. فلندخل إلى هناك".

قال تشاك: "يبدو أن مثل هذه الأمور تحدث في إعصار".

"هل ترى أي أضواء؟".

نظر تشاك حوله إلى النوافذ. "لا".

"هل تظن أن النظام الكهربائي كله تعطل؟".

قال تشاك: "احتمال كبير".

"يعني ذلك أسواراً".

الـــتقط تشاك تفاحة طافت عند قدمه. قذفها في الهواء، ثم ركلها بـــساقه نحو الجدار. "الضربة الأولى!". استدار نحو تيدي. "يعني ذلك أسواراً، نعم".

"كل الجهاز الأمني الإلكتروني. بوابات. أبواب".

قال تشاك: "أوه، يا الله، ساعدنا!". التقط تفاحة أخرى، وقذفها فوق رأسه ليلتقطها وراء ظهره. "تريد الدخول إلى ذلك الحصن، أليس كذلك؟". أحين تيدى وجهه تحت المطر الخفيف. "يوم مثالي لذلك".

ظهر آمر السجن، وقد دخل في سيارة إلى المجمّع مع ثلاثة حرّاس، يما تطاير الماء من الدواليب. لاحظ آمر السجن تشاك وتيدي يقفان

فيما تطاير الماء من الدواليب. لاحظ آمر السجن تشاك وتيدي يقفان في الفسناء الخارجي، وبدا أن الأمر أزعجه. أدرك تيدي أنه اعتقد ألهما حارسان، تماماً مثلما فعل كاولي، وانزعج لألهما لا يحملان رفشين، أو مضحتي ماء في أيديهما. إلا أنه مر أمامهما ورأسه مندفع إلى الأمام، للتركيز على أشياء أكثر أهمية. أدرك تيدي أنه عليه سماع صوت الرجل، وتساءل إذا كان أسود بقدر شعره، أو شاحباً بقدر بشرته.

قال تشاك: "يجدر بنا الذهاب إذاً. لن يستمر الوضع هكذا إلى الأبد".

بدأ تيدي المشي نحو البوابة.

لحق به تشاك. "أود الصفير، لكن فمي حاف حداً".

قال تيدي بصوت خافت: "خائف؟".

"أعـــتقد أن الكلمة الصحيحة هي مذعور سيدي". ألقى التفاحة إلى قسم آخر من الجدار.

اقتربا من البوابة، وكشف الحارس هناك عن وجه صبي صغير وعينين قاسيتين. قال: "يجدر بكل الحراس التوجه إلى السيد ويليس في المكتب الإداري. أنتما مسؤولان عن التنظيفات".

نظر تشاك وتيدي إلى قميصي وسروالي بعضهما البيضاء. قال تشاك: "عجة بالبيض".

أومأ تيدي برأسه. "شكراً. كنت أتساءل. للغداء؟". "شرائح لحم رفيعة".

استدار تيدي نحو الحارس، وأظهر له بطاقته. "لا تزال ملابسنا في المصبغة".

ألقى الحارس نظرة على بطاقة تيدي، ثم نظر إلى تشاك وانتظر. تنهد تشاك، وأخرج محفظته، وفتحها تحت أنف الحارس.

قال الحارس: "ماذا تفعلان خارج الجدار؟ تم العثور على المريضة المفقودة".

قرر تيدي أن أي شرح سيجعلهما يبدوان ضعيفين ويضع ميزان القــوة في يــد ذلك الحقير. عرف تيدي العشرات من هؤلاء الرحال خــلال الحرب. لم يعد معظمهم إلى منازلهم، وتساءل تيدي غالباً، إذا اكترث أحد فعلاً لأمرهم. لا يمكنك التعامل مع مثل هذا الأحمق، ولا يمكنك تعليمه أي شيء. لكنك تستطيع دعمه، إذا، فهمت أن الشيء الوحيد الذي يحترمه هو القوة.

تقـــدم تـــيدي نحو الرجل، وفتش في وجهه، وارتسمت ابتسامة صغيرة على زاوية شفتيه، وانتظر حتى نظر الرجل إلى عينيه.

قال تيدي: "نحن نقوم بجولة".

"لا تملكان تفويضاً".

"بلى نملك". اقترب تيدي منه أكثر بحيث توجب على الصبي رفع عينيه إلى الأعلى. استطاع شمّ نَفُسه. "نحن مارشلان فدراليان في مرفق فدرالي. هذا تفويض من... نفسه. لا نجيب عن أسئلتك، لا نسشر ح لك. يمكننا توجيه الرصاص إلى قضيبك، أيها الصغير، وما من

محكمة في البلاد سترفع ضدنا قضية". اقترب تيدي مسافة نصف إنش إضافي. "لذا، افتح لنا البوابة اللعينة".

حاول الصبي التحديق إلى عيني تيدي. ابتلع لعابه. حاول جعل عينيه قاسيتين.

قال تيدي: "أكرر: افتح تلك...".

"حسناً".

قال تيدي: "لم أسمعك".

"حاضر سيدي".

استمر تيدي في النظر بقساوة إلى وجه الولد لثانية إضافية، وزفر الهواء بصوت عال عبر منحريه.

"حيد كفاية أيها الصغير. هوو - آه".

قــال الولد بطريقة عفوية: "هوو – آه". وانتفخت تفاحة آدم في عنقه.

برم مفتاحه في القفل، وفتح البوابة، ودخل تيدي عبرها من دون النظر إلى الخلف.

استدارا إلى اليمين، ومشيا بمحاذاة الجهة الخارجية للجدار لبعض الوقت وقال تشاك: "لمسة رائعة مع الهوو – آه".

نظر تيدي إليه. "أحببت ذلك أنا أيضاً".

"كنت ضابطاً مخيفاً، أليس كذلك؟".

"كنت آمر كتيبة مع مجموعة من الأولاد تحت أمري. مات نصفهم في ريعان الشباب. لا يمكنك التعاطي معهم بلطافة لكسب الاحترام، وإنما عليك إخافتهم".

· "نعــم حضرة الضابط. مفهوم تماماً". ضرب له تشاك التحية. "حتى مع وجود القوة، تذكر أن هذا حصن نحاول التسلل إليه، أليس كذلك؟".

"لم يغب الأمر عن بالي". "هل لديك أي فكرة؟". ""."

"هـــل تظـــن أنهـــم يملكون خندقاً مائياً؟ لا بد من وجود شيء كهذا".

"بعض أنابيب الغاز الساخن ربما في الجدران ذات الفتحات". قال تشاك: "القناطر. إذا كانت هناك قناطر، تيدي...". "ونحن من دون السلاسل".

تجاوزا شجرة أسقطتها العاصفة، وكانت الأرض موحلة وزلقة بالأوراق المبللة. عبر النباتات المتناثرة أمامهما، استطاعا رؤية الحصن، وجدرانه الرمادية الكبيرة، ورؤية المسارات من خلال علامات إطارات السيارات رباعية الدفع التي كانت تتحرك جيئة وذهاباً طوال الصباح. قال تشاك: "يملك ذلك الحارس وجهة نظر".

عن مسطر يونك مدل مورس را مهم عد "وكيف ذلك؟".

"الآن بعــد العــثور على راشايل، لم يعد تفويضنا بالوجود هنا ســاري المفعول. إذا تم كشفنا، سيدي، لا مجال أبداً للتوصل إلى تبرير منطقى".

أحسس تيدي بشغب الخضار المفتت والمتناثر في عمق عينيه. شعر بالإرهاق، والقليل من الدوار. فلم يحصل الليلة الماضية إلا على أربع ساعات من النوم الناجم عن تناول العقاقير والمليء بالكوابيس. تساقط رذاذ المطر على أعلى قبعته، واجتمع حول الحافة. طنّ دماغه، بطريقة خفيفة، وإنما مستمرة. إذا وصل المركب اليوم - وهو يشك في ذلك - ثمة جزء فيه يريد القفز على المركب والذهاب بعيداً. الابتعاد عن هذه الصخرة اللعينة. ولكن من دون نتيجة واضحة لهذه الرحلة، سواء أتمثل

فتح دفتره الصغير. "كومات الصخور تلك التي تركتها لنا راشايل البارحة. هذا هو الرمز المكسور". أعطى الدفتر إلى تشاك.

طوق تشاك الدفتر بيده، وأبقاه قريباً من صدره. "إنه موجود هنا إذاً".

"إنه هنا".

"إن المريض السابع والستين هنا برأيك؟".

"هذا ما أظنه".

توقف تيدي وسط منحدر موحل. "يمكنك العودة تشاك. لست مجبراً على التورط".

نظر تشاك إليه، وأغلق الدفتر في يده. "نحن مارشلان، تيدي. ماذا يفعل المارشالات دوماً؟".

ابتسم تيدي. "يقتحمون الأبواب".

قال تاك تاولاً، نقتحم الأبواب ثانياً، لا ننتظر حتى يدعمنا بعض رجال شرطة المدينة إذا كان هذا تبديداً للوقت. نقتحم ذلك الباب اللعين".

"نعم، صحيح".

قــال تشاك: "حسناً، إذاً". وأعاد له الدفتر، وتابعا طريقهما نحو الحصن.

عند النظر إليه عن قرُب، لم يعد أي شيء يفصلهما عنه باستثناء صف شجيرات وحقل صغير، وقال تشاك ما كان تيدي يفكر فيه:

"لقد قضى علينا".

جدار السايكلون الذي كان يحيط عادة بالحصن تحطم إلى أجزاء عدة على الأرض، فيما تطايرت أجزاء أخسرى فسوق الأشجار البعيدة، وارتاحت الأجزاء الأخرى في مواقع أخرى متناثرة.

إلا أن الحراس المسلحين بحولوا حول محيط الحصن. قام العديد مسنهم بجولات منتظمة في السيارات رباعية الدفع. قام عدد من العمال بجمع النفايات المكدسة حول الحصن من الجهة الخارجية، فيما قامت محموعة أخرى منهم بإزالة شجرة كبيرة وقعت على جدار. لا يوجد خسندق مائي، لكن هناك باباً واحداً فقط، باباً أحمر صغيراً من الحديد المشبت وسط الجدار. وقف الحراس أمام الباب، وحملوا البنادق على أكستافهم وصدورهم. كانت النوافذ القليلة الصغيرة المفتوحة في الحجر مطوقة بالقصفيان. لا يوجد مرضى مكبلون أو غير مكبلين خارج الباب، سواء أكانوا هناك فقط حراس وعمال بأعداد متساوية.

رأى تسيدي اثنين من الحراس يتنحيان حانباً، فيما وقف عدد من العمال على الشرفات ذات الفرحات، ونادوا أولئك الواقفين على الأرض للابتعاد قليلاً. حملوا نصف شجرة إلى حافة السقف، ثم دفعوها حيئة وذهاباً إلى أن تمايلت هناك. اختفوا بعدها، ووقفوا خلف الشجرة ودفعوها إلى الأمام، فتمايل نصف الشجرة إلى الأمام بضع أقدام، ثم انطلقت الشجرة إلى الأمام وصرخ الرجال، فيما وقعت إلى الأسفل، وتحطمت على الأرض. عاد العمال للوقوف عند حافة السقف، ونظروا إلى الأسفل ثم تصافحوا، وربتوا على أكتاف بعضهم بعضاً.

قال تشاك: "لا بد من وجود قناة من نوع ما، أليس كذلك؟ للتخلص من الماء أو النفايات ورميها في البحر، يمكننا الدخول بهذه الطريقة". هزّ تيدي رأسه. "و لمَ نــزعج أنفسنا؟ سندخل مباشرة".

"أوه، مثلما خرجت راشايل من الجناح ب؟ فهمت. نحصل على بعض تلك البودرة العجيبة التي لديها. فكرة جيدة".

قطب تشاك حاجبيه، ولمس تيدي ياقة معطفه. "نحن لا نرتدي ثياب المارشالات، تشاك. هل فهمت ما أقصده؟".

نظر تسشاك إلى العمال الواقفين حول محيط الحصن، وراقب أحدهم يخرج من الباب الحديدي مع فنجان قهوة في يده، فيما الدخان يتصاعد من الكوب على شكل أفاع ملتوية.

"آمين". قال. "آمين يا أخي".

دخــنا السجائر وتحدثًا عن أمور تافهة لبعضهما بعضاً، فيما مشيا في الطريق المؤدية إلى الحصن.

في منتصف الحقل، التقيا بحارس، يحمل بندقيته بكسل تحت ذراعه ويوجهها نحو الأرض.

قال تيدي: "لقد أرسلونا إلى هنا. ثمة شجرة على السقف".

نظر الحارس إلى الخلف فوق كتفه. "لا. لقد اهتموا بأمرها".

"أوه، رائع". قال تشاك، وبدأ يمشي في طريق العودة.

"أوه، انتظـــرا". قـــال الحارس. "لا يزال هناك الكثير من العمل الواجب إنجازه".

استدارا مجدداً.

قال تيدي: "هناك ثلاثون رجلاً يعملون في ذلك الجدار".

"نعم، لكن توجد في الداخل فوضى رهيبة. لا تستطيع عاصفة تدمير مثل هذا المكان، لكنها استطاعت بالرغم من ذلك الوصول إلى داخله. تعرفان؟".

قال تيدي: "أوه طبعاً".

قال تشاك للحارس المتكئ على الجدار قرب الباب. "أين تفاصيل التنظيف؟".

أشار بإبمامه، وفتح الباب، ودخلا عبره إلى قاعة الاستقبال.

قال تااك: "لا أريد أن أبدو ناكراً للحميل، لكن، هذا كان سهلاً جداً".

قال تيدي: "لا تستخف بالأمر. أحياناً يحالفك الحظ".

أغلق الباب وراءهما.

قال تشاك مع ارتجاج بسيط في صوته: "الحظ، هل نسميه هكذا؟".

"نعم، نسميه هكذا".

أول شيء لفت انتباه تيدي كانت الروائح. رائحة مطهر اصطناعي قوي يعمل بأقصى فاعليته لإخفاء رائحة التقيؤ والبراز والعرق، وخصوصاً، البول.

ثم صدح الصحيح من القسم الخلفي للمبنى، وصوت أقدام تنزل الدرج، من الأسفل ركضاً، أصوات صراخ مدوية عبر الجدران السميكة والهواء الرطب، صرخات قوية ومفاحئة تثقب الأذن، ثم تموت، العويل لعدة أصوات مختلفة تصدر كلها دفعة واحدة.

صرخ أحدهم: "لا يمكنك أيها اللعين! لا يمكنك فعل ذلك! هل تسمعنى؟ لا يمكنك. ابتعد...". ثم تلاشت الكلمات.

في مكان ما فوقهم، عند منبسط الدرج الحجري تقريباً، أنشد رجل ما: "مئة قنينة من شراب الشعير على الجدار". انتهى بالقنينة السابعة والسبعين، وبدأ بالقنينة السادسة والسبعين.

ثمــة آلــتان للقهوة على طاولة جانبية مع كومات من الأكواب الورقية، وبعض أكواب الحليب. حلس حارس على طاولة أخرى قرب قاعدة الدرج، ونظر إليهما وابتسم.

"المرة الأولى، أليس كذلك؟".

نظر تسيدي إليه بطريقة عادية، فيما استُبْدلت الأصوات القديمة بأخرى جديدة، وصدح المكان بأكمله بنوع من الفوضى الصوتية التي تصم الآذان في كل اتجاه.

"نعم، سمعنا قصصاً ولكن...".

قال الحارس: "ستعتادان على ذلك. تعتادان على كل شيء".

"أليست هذه الحقيقة؟".

قــال: "إذا كان الرجال لا يعملون على السقف، يمكنكما تعليق المعطفين والقبعتين في الغرفة التي ورائي".

قال تيدي: "قالوا لنا إن عملنا على السطح".

قال الحارس: "ومن سيرشدكما؟ اتبعا هذه السلالم. لقد كبلنا معظم الجانين بأسرّةم، لكن بعضهم لا يزالون طليقين. إذا رأيتما واحداً، تصرخان، اتفقانا؟ ومهما فعلتما، لا تحاولا أبداً تقييده للوحدكما. ليس هذا الجناح أ. هل تعرفان؟ يستطيع هؤلاء المجانين قتلكما. مفهوم؟".

"مفهوم".

صعدا السلالم، وقال الحارس: "انتظرا دقيقة".

توقفا، ونظرا نحوه إلى الأسفل.

كان يبتسم، وأشار بإصبعه إليهما.

انتظر ۱.

"أعرفكما أيها الرجلان". ثمة لحن ناعم في صوته.

لم يتفوه تيدي بكلمة. لم يتفوه تشاك بكلمة. كرر الحارس: "أعرفكما أيها الرجلان".

نجح تيدي في القول: "حقاً؟".

"نعـــم. أنـــتما الــرجلان اللذان علقا بتنظيف السقف في المطر اللعين". ضحك، ومدد الإصبع، ونقر على الطاولة بيده الأحرى.

قال تشاك: "هذا نحن. هاها".

قال الحارس: "ها، اللعنة، ها!".

أشار تيدي إليه وقال: "لقد نلت منا أيها الصديق". ثم استدار نحو السلالم. "لقد عرفتنا فعلاً".

رافقتهما ضحكة الغبسي على السلالم.

توقفا عند أول منبسط درج. واجها قاعة كبيرة مع سقف مقوس من النحاس المطروق، وأرضية داكنة مصقولة لدرجة تحولت إلى مرآة. عسرف تيدي أنه يستطيع رمي كرة بايسبول أو واحدة من تفاحات تسشاك من حيث هو، وعدم بلوغ الطرف الآخر من الغرفة. كانت الغرفة فارغة والبوابة التي أمامهما مفتوحة جزئياً، وشعر تيدي بحركة فئسران بين ضلوعه، فيما دخل إلى الغرفة لأنحا ذكرته بالغرفة في حلمه، تلك التي قدّم إليه فيها لايديزكأساً وذبحت راشايل أولادها. إنحا الغرفة نفسها تقسرياً، تلك التي في حلمه كانت لها نوافذ عالية، مع ستائر سميكة، وأشعة ضوء، وأرضية حشبية، وثريات ثقيلة، لكنها شبيهة جداً هذه.

ربِّــت تشاك بيد على كتفه، وأحسّ تيدي بنقاط العرق المتصببة على حانب عنقه.

"أكرر". همس تشاك مع ابتسامة ضعيفة: "هذا سهل حداً. أين الحارس عند هذه البوابة؟ ولماذا هي غير مقفلة؟".

اســــتطاع تـــــيدي رؤية راشايل، بشعرها المتطاير وصراخها، فيما ركضت عبر الغرفة مع ساطور. "لا أعرف".

انحـــنى تشاك إلى الأمام، وهمس في أذنه: "هذه مهمة سهلة جداً سيدى".

بــدأ تيدي احتياز الغرفة. آلمه رأسه من قلّة النوم، من المطر، من المسلم السبيان والفتاة السلم المسلك الصبيان والفتاة بأيدي بعضهم بعضاً، ونظروا فوق أكتافهم، مذعورين.

استطاع تيدي سماع المريض يغني مجدداً: "... تنــزل واحدة إلى الأسفل، تمررها، أربع وخمسون قنينة شراب شعير على الجدار".

ومنضت الصورة أمام عينيه. الصبيان وتلك الفتاة، يسبحون في الهنواء الطافي، واستطاع تيدي رؤية تلك الحبوب الصفراء التي وضعها كاولى في يده الليلة الماضية، وشعر بالقليل من الغثيان في معدته.

"أربع وخمسون قنينة شراب شعير على الجدار، أربع وخمسون قنينة...".

"علينا العودة فوراً، تيدي. علينا المغادرة. هذا سيئ. يمكنك الإحساس بذلك. يمكنني الإحساس بذلك".

في الطرف الآخر من القاعة، قفز رجل من الباب.

كان حافي القدمين وعاري الصدر، يرتدي فقط سروال بيجاما أبيض اللون. كان حليق الرأس، لكن استحالت رؤية بقية قسماته في الضوء الخفيف.

قال: "مرحبا".

مشى تيدي بوتيرة أسرع.

قال الرجل: "التقطتك! أنت هو!". وقفز من الباب.

لحق تشاك بتيدي: "سيدي، بالله عليك".

كان هنا، لايديز، في مكان ما. استطاع تيدي الإحساس به.

وصلا إلى نهاية القاعة، ووجدا منبسطاً حجرياً عريضاً وسلماً يستحدر بقوة في الظلمة، وسلماً آخر يرتفع نحو الصراخ والثرثرة، التي باتت عالية جداً الآن، واستطاع تيدي سماع أصوات طقطقة السلاسل والمعادن. سمع أحدهم يقول: "الفواتير! الآن، أيها الرجل! اهدأ! لا يمكنك الهروب. هل تسمعن؟".

سمــع تيدي شخصاً يتنفس قربه. أدار رأسه إلى اليسار، وأصبح حليق الرأس بعيداً عنه مسافة إنش واحد الآن.

قال الرحل: "أنت هو!". ونقر على ذراع تيدي بالسبابة.

نظر تيدي إلى وجه الرجل.

قال تيدي: "أنا هو".

قــال الرجل: "طبعاً. أنا قريب جداً. يمكنك فقط برم معصمك، وأكون أنا هو مجدداً، ونستطيع الاستمرار هكذا لساعات، أو حتى طوال النهار، ويمكننا التناوب على التحول إلى هو، مراراً وتكراراً، من دون حتى استراحة للغداء، أو حتى استراحة للعشاء، ويمكننا المضى قدماً وقدماً".

قال تيدى: "وأى متعة في ذلك؟".

"هــل تعرف من يوجد هناك؟". أشار الرجل برأسه إلى السلالم. "في البحر؟".

قال تيدي: "السمك؟".

أوماً الرجل برأسه. "السمك. جيد جداً. السمك، نعم. الكثير من السمك. ولكن أسمك. ولكن أيضاً؛ غواصات. نعم. هذا صحيح. غواصات سوفياتية. على

مسافة مئيّ ميل أو ثلاثمئة ميل من شواطئنا. نسمع ذلك، صحيح؟ أخبرونا. طبعاً. واعتدنا على الفكرة. ننسى، طبعاً. أقصد حسناً، هناك غواصات. شكراً على المعلومات. تصبح جزءاً من وجودنا اليومي. نعرف أنها هناك، لكننا نتوقف عن التفكير في ذلك. صحيح؟ لكنها موجودة هناك، وهي مسلّحة بالصواريخ. وهي توجه صواريخها نحو نيويورك، وواشنطن، وبوسطن. وهي هناك. قابعة. هل يزعجك ذلك؟".

استطاع تيدي سماع تشاك قربه يتنفس ببطء، وينتظر تلميحاً منه. قال تيدي: "مثلما قلت، أفضل عدم التفكير في الأمر كثيراً".

"مم". أومأ الرجل برأسه. مشط الشعيرات في ذقنه. "نسمع أشياء هـنا. لا تظنان ذلك، صحيح؟ لكننا نسمع. يأتي رجل جديد، يخبرنا بأشـياء. يـتحدث الحراس، أنت، العمال تتحدثون. نحن نعرف، نحن نعرف. عن العالم الخارجي. عن اختبارات القنبلة الهيدروجينية، والجزر المرجانية. هل تعرف كيف تعمل القنبلة الهيدروجينية؟".

قال تيدي: "بالهيدروجين؟".

"جيد جداً. ذكي جداً. نعم، نعم". أوما الرجل برأسه مرات عدة. "بالهيدروجين، نعم، ولكن أيضاً، أيضاً، ليس مثل القنابل الأخرى. تسقط قنبلة، حتى القنبلة الذرية، وتنفجر. صحيح؟ تماماً حيث أنت. لكن القنبلة الهيدروجينية تنفجر داخلياً. تقع على نفسها وتشهد سلسلة من التفككات الداخلية، والانهيارات والانهيارات. لكن، كل هذا الانهيار يولد كتلة وكثافة. هل تفهم؟ إن غضب التدمير الذاتي يولد وحشاً جديداً بالكامل. فهمت ذلك؟ صحيح؟ كلما كان التفكك أكبر، وأصبح أكثر قوة. وبعدها، حسناً، حسناً: الانفجار اللعين! فقط... بانغ، بوم، ووش. في غياب ذاتما،

تنتـــشر. تولد انفجاراً خارجياً وانفجاراً ضمنياً يكون مدمراً مئة مرة، السف مــرة، مليون مرة أكثر من أي قنبلة أخرى في التاريخ. هذا هو إرثــنا. ولا تــنس ذلك". ربّت على ذراع تيدي مرات عدة، تربيتات خفــيفة، كما لو أنه ينقر على الطبلة بأصابعه. "أنت هو! إلى الدرجة العاشرة. هييي!".

قفز على السلالم المظلمة، وسمعاه يصرخ بلامو في أثناء نــزوله.

"... تــسعة وأربعــون قنيــنة شــراب شعير! تأخذ واحدة إلى الأسفا...".

نظر تيدي إلى تشاك. كان وجهه رطباً، وزفر الهواء بعناية عبر فمه. قال تيدي: "أنت محق. فلنحرج من هنا".

"الآن اعترفت".

جاء الصوت من أعلى السلالم:

"فليساعدني أحد هنا! بالله عليكم!".

نظر تيدي وتشاك إلى الأعلى، ورأيا رجلين ينرلان السلالم بسرعة كبيرة. ارتدى أحد الرجلين ملابس الحرّاس الزرقاء، فيما ارتدى الرجل الآخر ملابس المرضى البيضاء، وتوقفا عند منحنى السلالم، عند أعرض درجة.

رفع المريض يده، وأقحمها في وجه الحارس مباشرة تحت عينه اليـــسرى، وانتزع قطعة من اللحم، فصرخ الحارس، وأرجع رأسه إلى الخلف.

ركسض تيدي وتشاك على السلالم. رفع المريض يده محدداً، لكن تشاك أمسكها عند المعصم.

مــسح الحـــارس عيـــنه، ولطّخ ذقنه بالدم. استطاع تيدي سماع تنفسهم هم الأربعة، وسمع أغنية شراب الشعير البعيدة، علماً أن المريض

أصبح في القنينة الثانية والأربعين الآن، وبدأ ينتقل إلى القنينة الواحدة والأربعين، ثم رأى السرحل تحته وقد فتح فمه كثيراً، وقال: "تشاك، انتبه". وضرب بكعب يده حبين المريض قبل أن يتمكن هذا الأخير من قضم معصم تشاك.

قال للحارس: "عليك الابتعاد عنه، هيا، ابتعد عنه".

أفلت الحارس نفسه من ساقي المريض وتراجع درجتين إلى الخلف. جاء تيدي فوق المريض وضربه بقوة على كتفيه، وثبته على الحجر، ونظر إلى الخلف فوق كتفه إلى تشاك، وطارت العصا بينهما، فحلقت في الهواء مع صوت صفير، وانكسرت على أنف المريض.

أحسّ تيدي أن الجسم الذي تحته ينهار وقال: "يا الله!".

تمايـــل الحـــارس مجدداً، واستدار تيدي نحو حسم المريض، وثبّت الذراع بمرفقه.

نظر إلى وجهه الملطخ بالدم. "هاي! هاي! إنه بارد. هاي!". إلا أن الحارس استطاع شمّ رائحه دمه. رفع العصا إلى الأعلى. قال تشاك: "انظر إلى! انظر إلى!".

نظر الحارس بعينيه إلى وجه تشاك.

"اصمد. هل تسمعني؟ اصمد. تمت السيطرة على المريض". أفلت تساك معصم المريض، ووضع ذراعه على صدره. اتكأ تشاك على الجدار، وبقى يحدّق إلى الحارس. قال بهدوء: "هل تسمعني؟".

أخفض الحارس عينيه، وأنزل العصا. لمس الجرح في جبينه بقميصه، ثم نظر إلى الدم المتناثر على القماش. "لقد مزّق وجهي".

انحنى تيدي إلى الأمام، ونظر إلى الجرح. لقد رأى أسوأ منه بكثير. لن يموت الرجل منه أو من أي شيء. لكنه حرح بشع. لن يستطيع أي طبيب تقطيبه حيداً. قال: "ستكون بخير. مجرد قطبتين".

استطاع أن يسمع تحطم عدد من الأجسام وبعض المفروشات فوقهم.

قال تشاك: "أنتم تواجهون حالة شغب؟".

أخرج تيدي منديلاً من جيبه، وأعطاه للرجل.

استنــشق الحارس الهواء، وأخرجه عبر فمه إلى أن عاد اللون إلى وجهه. "تقريباً".

سأل تشاك بمرح: "هل يحاول المجانين الاستيلاء على المصحّ؟". نظر الرجل إلى تيدي بعناية، ومن ثم إلى تشاك. "ليس بعد".

أومأ الرجل برأسه، علامة شكر، وضغط بالمنديل على وجهه.

رفع تشاك معصم المريض مجدداً، وراقبه تيدي وهو يتحسس نبضه. أخفض المعصم، وأنزل أحد جفني الرجل. نظر إلى تيدي. "سيعيش".

قال تيدي: "فلنساعده على النهوض".

وضعا ذراعي المريض حول كتفيهما، ولحقا بخطى الحارس. لا يزن كثيراً، لكن السلالم طويلة، واستمرت أعلى قدميه بالارتطام بقوائم السدر جات. حين وصلوا إلى الأعلى، استدار الحارس، وبدا أكبر سناً، وربما أكثر ذكاء.

قال: "أنتما المار شلان".

"ماذا؟".

أومـــأ برأسه. "أنتما المارشلان. رأيتكما حين وصلتما". وجّه إلى تشاك ابتسامة صغيرة. "تلك الندبة على وجهك، تعرف؟".

تنهد تشاك.

قال الرجل: "ماذا تفعلان هنا؟".

قال تيدي: "ننقذ وجهك".

رفع الرجل المنديل عن جرحه، ونظر إليه، ثم ضغط به على وجهه محدداً.

قــال: "الــرجل الــذي أمسكتما به؟ بول فنجيس. من ويست فيرجينــيا. قــتل زوجة أخيه وابنتين، فيما كان أخوه يخدم في كوريا. وضعهن في الطابق الأرضى، ممتعاً نفسه، فيما كانت الجثث تتعفن".

قـــاوم تيدي رغبته في إفلات ذراع فنجيس، وتركه يسقط على السلالم.

"الحقيقة هي". قال الرجل ونحنح حنجرته: "الحقيقة هي أنه سيطر عليّ". نظر إلى عيونهما وكانت عيناه حمراوين.

"ما اسمك؟".

"بایکر. فرید بایکر".

صافحه تيدي. "اسمع، فريد؟ هاي، نحن مسروران لأننا استطعنا المساعدة".

نظر الرجل إلى حذائه، ورأى بقع الدم هناك. "مجدداً، ماذا تفعلان هنا؟".

قال تيدي: "نقوم بجولة. لدقيقتين ثم نذهب".

أخد الرجل بعض الوقت للتفكير في ذلك، واستطاع تيدي الإحساس بالسنتين الماضيتين من حياته؛ خسارة دولوريس، البحث عن لايديز، اكتشاف هذا المكان، مصادفة جورج نويس وقصصه عن المخدرات وتجارب جراحة الدماغ، والاتصال بالسيناتور هورلي، وانتظار الوقت الصحيح لعبور المرفأ تماماً مثلما تم الانتظار، لعبور القناة الإنكليزية إلى النورماندي؛ تذكر كل ذلك، فيما انتظره الرجل.

قسال الرجل: "تعرفان. عملت في عدد من الأماكن الأخرى، في سحون، حسبس انفرادي، مكان آخر كان مستشفى للمجانين

الجرمين...". نظر إلى الباب، واتسعت عيناه، كما لو أنه يتثاءب لكن فمه لم يفتح. "نعم. عملت في بعض الأماكن. لكن، هذا المكان؟". وجّه إلى كل منهما نظرة طويلة. "يكتبون قصصهم الخاصة هنا".

"لدقيقتين؟". أومأ الرجل لنفسه. "حسناً. لن يلاحظ أحد في هذه الفوضى اللعينة. خذا دقيقتين ثم اخرجا من هنا. اتفقنا؟".

قال تشاك: "طبعاً".

"وهاي". وحه إليه الرجل ابتسامة صغيرة، فيما وصل إلى الباب. "حاولا ألا تموتا خلال هاتين الدقيقتين. اتفقنا؟ سأقدّر ذلك". دخــ لا عــ بر الــ باب، ووصلا إلى غرفة لها جدران من الغرانيت الأســ ود وأرضــية من الغرانيت امتدت على طول الحصن تحت قناطر عرضــها عــ شر أقدام وطولها أربع عشرة قدماً. النوافذ الطويلة على جانبــــي الأرضية، وفّرت الضوء الوحيد، وتساقط الماء من السقف، وكانــت الأرضــيات مليئة ببقع الماء. امتدت الزنــزانات على اليمين واليسار، وكانت مدفونة في الظلمة.

قال بايكر: "انفجر مولد الكهرباء الأساسي قرابة الساعة الرابعة السيوم. يستم التحكم بأقفال الزنزانات بطريقة إلكترونية. هذا أحد أحدث ابتكاراتنا". فكرة رائعة، أليس كذلك؟ هكذا، فُتحت كل الزنزانات عند الساعة الرابعة. لحسن الحظ أننا لا نزال نستطيع الستحكم هذه الأقفال يدوياً، ولذلك أعدنا معظم المرضى إلى الداخل وحبسناهم في الزنزانات، لكن، ثمة شخص يملك مفتاحاً. ينجح في التسلل والوصول إلى زنزانة واحدة، على الأقل، قبل أن يهرب عدداً".

قال تيدي: "ربما رجل أصلع؟".

نظر بایكر إلیه. "رجل أصلع؟ نعم. إنه واحد لا نستطیع الاعتماد علیه. تصوّرت أنه قد یكون هو. اسمه لیتشفیلد".

"إنه يلعب في ذلك الدرج الذي صعدنا منه. في النصف السفلي". أخذهما بايكر إلى الزنزانة الثالثة على اليمين وفتحها. "ارمياه هنا".

احتاجا إلى بضع ثوان للعثور على السرير في الظلمة، ثم نقر بايكر على ضوء ومضي، ووجه الضوء إلى الداخل، فيما وضعا فنجيس على السرير وتأوه ألماً وتدفق الدم من منخريه.

قــال بايكر: "عليّ إحضار بعض الدعم والبحث عن ليتشفيلد. الطابــق الأرضي هو حيث نضع الرجال الذين لا نطعمهم إلا في حال وجود ستة حرّاس في الغرفة. إذا أفلتوا، تحصِل ثورة حقيقية هنا".

قال تشاك: "أحضر مساعدة طبية أولاً".

عثر بايكر على قطعة غير ملطخة بالدم في منديله، وضغط بها على الجرح. "لا أملك الوقت".

قال تشاك: "لا".

نظر بايكر إلى الداخل عبر القضبان. "نعم. حسناً. سأعثر على طبيب. وأنتما الاثنان؟ تدخلان وتخرجان في وقت قياسي. اتفقنا؟".

قال تشاك فيما غادرا الزنزانة: "اتفقنا. أحضر طبيباً للرجل". أقفل بايكر باب الزنزانة. "سأفعل ذلك".

ركسض في رواق الزنـــزانات، ومــر أمام ثلاثة حرّاس يجرّون عملاقاً، له لحية، إلى زنــزانته، وتابع الركض.

قال تيدي: "ما رأيك؟". استطاع عبر القناطر رؤية رجل عند النافذة البعيدة، يتشبث بقضبان، فيما يحاول بعض الحرّاس جرّ خرطوم مياه. بدأت عيناه تتكيفان مع الضوء الخافت في الرواق الأساسي، لكن الزنزانات بقيت معتمة تماماً.

قال تشاك: "لا بد من وجود مجموعة من الملفات، في مكان ما، ها. حتى ولو لأغراض طبية أساسية بحتة. أنت ابحث عن لايديز وأنا سأبحث عن الملفات؟".

"وأين هذه الملفات برأيك؟".

نظر تشاك إلى الباب. "حسبما تبدو الأمور، تصبح المسألة أقل خطورة كلما ارتفعنا أكثر هنا. أتصور أن الإدارة موجودة في الطابق العلوي".

"حسناً. أين ومتى نلتقى؟".

"بعد خمس عشرة دقيقة؟".

أحــضر الحرّاس خرطوم الماء، وأطلقوا منه الماء على الرجل فوقع عن القضبان، واندفع على الأرض.

صفق بعض الرحال بأيديهم في الزنزانات، فيما تأوه رحال آخرون، وكان الأنين عميقاً جداً كما لو أنه آت من أرض معركة.

"خمــس عشرة دقيقة تبدو جيدة. هل نلتقي مجدداً في تلك القاعة الكيرة؟".

"طبعاً".

تصافحا وكانت يد تشاك مبللة وشفته العلوية دبقة.

"انتبه إلى نفسك تيدي".

ثمة مريض خرج من الباب خلفهما، وركض أمامهما في القاعة. كان حافي القدمين، وركض، كما لو أنه يتدرب على مباراة ملاكمة محترفة، بحيث كانت خطوات القدمين تعمل بالتناسق مع الذراعين.

ابتسم تيدي إلى تشاك وقال: "سأرى ما أستطيع فعله".

"إذاً، اتفقنا".

"اتفقنا".

تــوجه تــشاك إلى الباب. توقف للنظر إلى الخلف. أومأ تيدي برأسه.

فتح تشاك الباب، فيما نـزل حارسان على السلالم، وقال أحد الحارسين لتيدي: "هل رأيت الأمل الأبيض الكبير يمرّ من هنا؟".

نظر تيدي إلى الخلف، عبر ممر القناطر، ورأى المريض يرقص في مكانه على كعبي قدميه، ويضرب الهواء بمعصميه. أشار تيدي إليه، وانطلق الرجال الثلاثة نحوه.

قال تيدي: "هل كان ملاكماً؟".

قال الرجل الموجود إلى يساره، وكان رجلاً أسود طويلاً ومتقدماً في العمر: "أوه، لقد أتيتما من الشاطئ، هوه؟ من أجنحة الإجازة. أوه. نعم. حسناً، ويلي، الذي هناك، يظن أنه يتدرب لإجراء مباراة ملاكمة مع جو لويس. والمشكلة هي أنه ليس سيئاً جداً".

باتوا قريبين من الرجل، وراقب تيدي معصمي المريض يضربان في الهواء.

"سيتطلب الأمر أكثر منا نحن الثلاثة".

قهقه الحارس، الكبير في السن. "لن يحتاج إلا إلى شخص واحد. أنـــا المسؤول عنه، ألا تعرف؟". نادى بصوت عال: "هاي ويلي. لديّ رسالة لك أيها الرجل. لم يبقَ إلا ساعة واحدة لموعد المباراة".

"لا أريد أي رسالة". بدأ ويلي ينقر الهواء بلكمات سريعة.

قـــال الحارس: "لا أستطيع إحضار بطاقة وجبة طعامي معي. هل تسمعنى؟".

"أحضرتها فقط في المرة التي تباريت فيها مع حيرسيه جو". "وانظر كيف كانت النتيجة".

نزلت ذراعا ويلي على جانبيه. "لديك وجهة نظر".

"غرفة التدريب، مباشرة هنا". لوّح الحارس بذراعه إلى اليسار مع ابتسامة.

"لا تلمسني. لا أريد أن يلمسني أحد قبل المباراة. تعرف ذلك". "أوه، أعرف، أيها القاتل". فتح باب الزنزانة. "تعال الآن".

مشى ويلي نحو الزنزانة. "يمكنك فعلاً سماعهم، أليس كذلك؟ الجماهير؟".

"طبعاً، طبعاً".

صافحه تيدي. "أنا تيدي يا آل. سررت بلقائك".

"لماذا توجهتم جميعاً إلى الخارج، تيدي؟".

نظر تديدي إلى معطفه الواقي من المطر. "يوجد شيء ما على السطح. إلا أننا صادفنا مريضاً على السلالم وطاردناه حتى هنا. تصورنا أنكم قد تستفيدون من مساعدة إضافية".

وقعت كتلة من البراز على الأرض قرب قدم تيدي، وثرثر أحدهم من ظلمة زنزانة، وأبقى تيدي عينيه أمامه ولم يتوقف أبداً.

قال آل: "عليك البقاء قريباً من الوسط قدر الإمكان. وبالرغم من ذلك، قد تتعرض لضربة من نوع ما، مرة على الأقل كل أسبوع. هل رأيت رحلك؟".

هز تيدي رأسه. "لا، أنا...".

قال آل: "أوه، اللعنة!".

"ماذا؟".

"أرى رجلي".

كان متوجهاً نحوهما، وهو مبلل تماماً، ولاحظ تيدي الحراس يفلستون خرطوم الماء ويبدأون المطاردة. ثمة رجل قصير القامة مع شعر أحمر، وله وجه مثل قفير النحل، مغطى بالبثور السوداء، مع عينين حمراوين تتطابقان مع لون شعره. غيّر اتجاهه فحأة في اللحظة الأخيرة،

وارتطــم بفجــوة رآها، فيما التفت ذراعا آل فوق رأسه، وانــزلق الرجل الصغير على ركبتيه، وبرم، ثم انطلق يركض.

ركـف آل خلفه، ثم أسرع الحراس يركضون أمام تيدي، وهم يحملـون العـصيّ فـوق رؤوسهم، وكانوا مبللين مثل الرجل الذي يطاردونه.

انطلق تيدي في عملية المطاردة، بدافع الفطرة على الأقل، حين سمع: "لايديز".

وقف وسط الغرفة، منتظراً سماع الكلمة محدداً. الأنين الجماعي، السندي توقف للحظة بفعل مطاردة صاحب الرأس الأحمر، بدأ يرتفع محدداً، وانطلق بمثابة أزيز بين حشخشة الأسرة.

فكّر تيدي في تلك الحبوب الصفراء بمحدداً. إذا كان كاولي يشك، فعلًا يشك، أنه هو وتشاك...".

"لايد.ديز".

استدار، ورأى ثلاث زنزانات إلى يمينه. كانت كلها مظلمة. انتظر تيدي، وهو يعرف أن المتحدث يستطيع رؤيته، متسائلاً إذا كان الشخص هو لايديز نفسه.

"كان يفترض بك إنقاذي".

جـاء الـصوت من الزنـزانة التي في الوسط، أو تلك التي إلى يسارها. ليس صوت لايديز. حتماً لا. لكن الصوت بدا مألوفاً أيضاً.

اقترب تيدي من قضبان الزنزانة التي في الوسط. فتش في حيوبه. عثر على علبة أعواد الثقاب وأخرجها. مرر عود ثقاب فوق حانب العلبة، وأشعله، ورأى منخفضاً صغيراً ورجلاً مع ضلوع ناتئة جالساً على السرير، يكتب على الجدار. نظر إلى الخلف فوق كتفه إلى تيدي. ليس لايديز. ليس رجلاً يعرفه.

"هل تمانع؟ أفضل العمل في الظلام. أوه شكراً كثيراً لك".

تراجع تيدي إلى الخلف بعيداً عن القضبان، واستدار إلى يساره، ولاحظ أن كل الجدار الأيسر في زنزانة الرجل مغطى بالخربشات، من دون أي إنش فارغ، مع آلاف الخطوط المكتنزة عليه، وكانت الكلمات صغيرة جداً بحيث لا يمكن قراءها، إلا إذا ألصقت عينيك بالجدار.

انـــتقل إلى الزنـــزانة التالية، وانطفأ عود الثقاب، وقال الصوت، القريب حداً الآن: "لقد خذلتني".

ارتحفت يد تيدي، وأشعل عود الثقاب التالي لكن العود انكسر في أثناء الإشعال.

"قلت لي إنني سأتحرر من هذا المكان. وعدتني".

أخذ تيدي عود ثقاب آخر، لكنه طار، ووقع داخل الزنــزانة من دون أن يشتعل.

"كذبت".

أشعل عود ثقاب ثالث، وحلّق اللهب عالياً فوق إصبعه فجعله قسرب القضبان، وحدّق إلى داخل الزنزانة. كان الرجل جالساً على السرير في الزاوية اليسرى وقد أخفض رأسه، وأقحم وجهه بين ركبتيه، ولف ذراعيه حول ربلتيّ ساقيه. كان أصلع الرأس في الوسط، مع شعر أشيب على الجانبين. كان عارياً باستثناء سروال أبيض قصير. ارتعدت عظامه داخل لحمه.

لعــق تــيدي شفتيه وسقف فمه. حدّق فوق عود الثقاب وقال: "مرحباً؟".

"لقد أرجعوني. يقولون إنني لهم".

"لا أستطيع رؤية وجهك".

"يقولون إنني الآن في مكاني الصحيح".

"هلا , فعت , أسك؟".

"يقولون إن هذا مكاني. لن أغادره أبداً".

"دعني أرى وجهك".

"لاذا؟".

"دعني أرى وجهك".

"ألم تتعرف إلى صوتي؟ كل المحادثات التي أجريناها؟".

"ارفع رأسك".

"ظننت أن الأمر بيننا لم يعد مهنياً بحتاً. ظننت أننا أصبحنا صديقين، نوعاً ما. بالمناسبة، سينطفئ عود الثقاب هذا قريباً".

حدّق تيدي إلى البشرة الصلعاء والأطراف المرتحفة.

"أقول لك يا صديقي...".

"تقــول لي ماذا؟ تقول لي ماذا؟ ما الذي تستطيع قوله لي؟ المزيد من الأكاذيب، هذا كل شيء".

"أنا لا...".

"أنت كاذب".

"لا. لست كذلك. ارفع...".

أحرق اللهب طرف السبابة وجانب الإبمام، فأفلت عود الثقاب.

اخـــتفت الزنـــــزانة في الظـــلام. استطاع سماع نوابض السرير

تتحرك، مع حربشة قاسية للقماش على الحجر، وطقطقة للعظام.

سمع تيدي الاسم محدداً.

"لايديز".

جاء الصوت من الجهة اليمني للزنزانة هذه المرة.

"لم تكن هذه الحقيقة أبداً".

أخرج عودي ثقاب من العلبة وأشعلهما مع بعضهما.

"أبداً".

رفع عود الثقاب. كان السرير فارغاً. حرّك يده إلى اليمين، ورأى الرجل واقفاً في الزاوية وهو يدير ظهره له.

"أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

"الحقيقة".

"نعم".

."צ"

"هذه هي الحقيقة. كشف...".

استدار الرجل. مشى نحوه. كان وجهه مسحوقاً. كتلة منتفخة بالأرجواني والأسود والأحمر الكرزي. الأنف مكسور، ومغطى بشريط أبيض متشابك.

قال تيدي: "الله!".

"أحست ذلك؟".

"من فعل هذا؟".

"أنت فعلت هذا".

"بالله عليك كيف يمكنني...؟!".

اقترب جورج نويس من القضبان، وكانت شفتاه سميكتين، مثل إطارات الدراجة الهوائية ومليئتين بالقطب. "كل كلامك. كل كلامك الأحمق، وأنا عدت إلى هنا. بسببك".

تذكر تيدي آخر مرة رآه فيها في غرفة الزيارات في السحن. بالرغم من ضوء الزنزانة، بدا بصحة جيدة، وحيوياً، وخالياً من

معظــم همــومه. أخبر نكتة، عن شيء له علاقة بإيطالي وألماني دخلا مشرباً في أل باسو.

قـــال جورج نويس: "انظر إليّ. لا تنظر بعيداً. لم تشأ أبداً فضع هذا المكان".

"حورج". قال تيدي وقد أبقى صوته منخفضاً وهادئاً: "ليس هذا صحيحاً".

"بلي".

"لا. بــرأيك، كنت أخطط لماذا خلال السنة الأخيرة من حياتي؟ هذا. الآن. هنا".

"اللعنة علىك!".

أحس تيدي بالصرخة ترتطم بوجهه.

"اللعنة عليك!". صرخ جورج مجدداً: "أمضيت السنة الأخيرة من حياتك وأنت تخطط؟ تخطط للقتل. هذا كل شيء. القتل. لايديز. هذه لعبتك اللعينة. وانظر إلى أين وصلت أنا. إلى هنا. عدت إلى هنا. لا أستطيع تحمل منزل الرعب اللعين هذا. هل تسمعني؟ ليس مجدداً، ليس مجدداً، ليس مجدداً".

"اسمع، حورج. ماذا فعلوا للوصول إليك؟ لا بد من وجود أوامر نقل. لا بد من وجود استشارات نفسية. ملفات، جورج، أوراق".

ضـــحك جـــورج. ضغط بوجهه على القضبان، وحرك حاجبيه صعوداً ونـــزولاً. "هل تريد سماع سر؟".

اقترب تيدي منه أكثر.

قال جورج: "هذا جيد...".

قال تيدي: "أحبرني".

بصق جورج على وجهه.

تراجع تيدي إلى الخلف، وأفلت عود الثقاب، ومسح البصقة عن جبينه بواسطة كمّه.

في الظلام، قال جورج: "هل تعرف ما اختصاص العزيز الدكتور كاولى؟".

مــرر تــيدي راحة يده فوق جبينه وجسر أنفه، ووجده جافاً. "ذنب الناجين، صدمة الألم".

"لا، لا، لا، لا". انتهت الكلمة في فم جورج بقهقهة حافة. "العنف. عند الرجال تحديداً. إنه يجري دراسة".

"لا، هذا نايهرينغ".

"كاولي". قال حورج. "كل شيء كاولي. يحضر المرضى والمجرمين الأكثر عنفاً من كل أنحاء البلاد. لماذا قاعدة المرضى صغيرة جداً هنا برأيك؟ وهل تظن، هل تظن فعلاً أن أحداً سينظر عن كثب إلى أوراق النقل الخاصة بشخص له تاريخ عنف، وتاريخ مشاكل نفسية؟ هل تظن فعلاً ذلك أيها الحقير؟!".

أشعل تيدي عودي ثقاب إضافيين.

قال نويس: "لن أخرج أبداً الآن. لقد هربت مرة. ولكن ليس مرتين. ليس مرتين".

قال تيدي: "اهدأ. اهدأ. كيف وصلوا إليك؟".

"لقد عرفوا. ألا تفهم؟ كل ما كنت تصمم له. كل خطتك. إلها لعبة. مسرحية مكتوبة بعناية. كل هذا" - لوّح بذراعه في الهواء فوقه - "لك".

ابتسم تيدي وقال: "افتعلوا إعصاراً فقط لي، هوه؟ حيلة ذكية". بقى نويس صامتاً.

قال تيدي: "اشرح ذلك".

"لا أستطيع".

"لا أظن ذلك. فلنرتح من الخوف. اتفقنا؟".

قال نويس، وهو يحدّق إليه عبر القضبان: "هل أمضيت الكثير من الوقت بمفردك؟".

"ماذا؟".

"بمفردك. هل كنت لوحدك مرة واحدة منذ أن بدأ كل ذلك؟". قال تيدي: "طوال الوقت".

رفع جورج حاجبه. "بمفردك تمامًا؟ ".

"حسناً، مع شريكي".

"ومن شريكك؟".

رفع تيدي إبهامه إلى الخلف حارج الزنــزانة. "اسمه تشاك. إنه...".

قال نويس: "دعيني أحزر. لم تعمل معه أبداً من قبل، أليس كذلك؟".

أحسس تسيدي أن الزنرانة تطوّقه. أصبحت العظام في ذراعيه بساردة. عجز للحظة عن الكلام، كما لو أن دماغه نسي كيف يتصل بلسانه.

ثم قال: "إنه مارشال أميركي من سياتل...".

"لم تعمل معه أبدًا من قبل، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "هذا غير مهم. أعرف الرجال. أعرف هذا الرجل. أنا أثق به".

"استناداً إلى ماذا؟".

لا يسوحد حسواب بسيط على ذلك. كيف يعرف أي كان أين ينشأ الاعتقاد القوي؟ في لحظة، لا يكون الاعتقاد القوي موجوداً، وفي اللحظة التالسية يسصبح موجوداً. لقد عرف تيدي رجالاً في الحرب

ائتمــنهم على حياته في أرض المعركة لكنه لم يأتمنهم أبداً على أمواله. وعــرف رجــالاً ائتمنهم على أمواله وزوجته، لكنه لم يسمح لهم أبداً بمراقبته في أرض المعركة، أو الدخول معه عبر باب.

كان باستطاعة تشاك رفض مرافقته، وكان باستطاعته البقاء السوحده في مبنى نوم الرجال، والاستراحة حتى تهدأ العاصفة، وانتظار وصول المركب. لقد انتهت مهمتهما، تم العثور على راشايل سولاندو. لا يملك تشاك سبباً، ولا أي اهتمام، لمحاراة تيدي في بحثم عن لايديز، في سعيه لإثبات أن آشكليف هي سخرية لقسم أبقراط. لكنه موجود هنا، بالرغم من كل شيء.

كــرر تيدي: "أنا أثق به، هذه هي الطريقة الوحيدة التي أستطيع فيها التعبير عن رأيي".

نظر إليه نويس بحزن عبر القضبان الحديدية. "لقد ربحوا".

هــزّ تــيدي أعواد الثقاب، وأفلتها على الأرض. فتح علبة أعواد السثقاب مجدداً، وعثر فيها على عود أخير. سمع نويس، الذي لا يزال واقفاً عند القضبان، يشمّ الهواء.

"أرجوك". همس له، وعرف تيدي أنه يبكي. "أرجوك".

"ماذا؟".

"لا تتركني أموت هنا".

"لن تموت هنا".

"سيأحذونني إلى المنارة. أنت تعرف ذلك".

"المنارة؟".

"سيقطعون دماغي".

أشعل تيدي عود الثقاب، ورأى في اللهب المفاجئ أن نويس أمسك بالقضبان، والهمرت الدموع من عينيه المنتفختين على وجهه المنتفخ.

"لن..."

"اذهب إلى هناك. حاول رؤية ذلك المكان. وإذا عدت حياً، أخبرني ماذا يفعلون هناك. اذهب لترى بنفسك".

"سأذهب، جورج. سأفعل ذلك. سأخرجك من هنا".

أخفض نويس رأسه، وضغط برأسه الأصلع على القضبان، وبكى بصمت، وتذكر تيدي أنه في آخر مرة التقيا خلالها في غرفة الزوار، قال حورج: "إذا أجبرت يوماً على العودة إلى ذلك المكان، فسأقتل نفسي"، وقال تيدي: "لن يحصل ذلك".

إلها كذبة على ما يبدو.

لأن نويس موجود هنا. مضروب، محطم، مليء بالخوف.

"جورج، انظر إليّ".

رفع نويس رأسه.

"سأخرجك من هنا. اصمد. لا تفعل أي شيء لا يمكنك العودة منه. هل تسمعنى؟ اصمد. سأعود إليك".

ابتسم حسورج نويس عبر دموعه، وهز رأسه ببطء شديد. "لا يمكنك قتل لايديز وكشف الحقيقة في الوقت نفسه. عليك الاختيار. أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟".

"أين هو؟".

"قل لى إنك تفهم".

"أفهم ذلك. أين هو؟".

"عليك الاختيار".

"لن أقتل أحداً جورج! لن أفعل".

عند النظر عبر القضبان إلى جورج، شعر أن هذه هي الحقيقة. إذا كان هذا هو المطلوب لإنقاذ هذا الرجل المسكين، هذه الضحية المرعبة،

سيدفن تيدي ثأره. من دون تنفيذه. سيؤجله لوقت آخر. وتمنى أن تفهم دولوريس.

كرر: "لن أقتل أحداً".

"كاذب".

"צ".

"إنما ميتة. انسَ أمرها".

كبت ابتسامته، ومسح وجهه بين القضبان، ونظر إلى تيدي بعيمه الناعمتين المتورمتين.

شعر تيدي هما في داخله، وضغط على قاعدة حنجرته. استطاع رؤيتها تجلس في ضباب يوليو الباكر، في ذلك الضوء البرتقالي الداكن السذي يخسيم فوق المدينة في ليالي الصيف، مباشرة بعد غروب الشمس، ناظراً إلى الأعلى، فيما اقترب من الحافة، وعاد الأولاد إلى لعبة الكرة في وسط الشارع، وتطاير الغسيل فوقهم، وراقبته يقترب، فيما ذقنها متكئ على متن يدها والسيجارة مرفوعة قرب أذلها، وقد أحضر لها الأزهار ذات مرة، وكانت هي، ببساطة، حبه، امرأته، تراقبه يقترب كما لو ألها تتذكره مسع تلك المشية، وتلك الأزهار، وتلك اللحظة، وأراد سؤالها عما يعنيه تحطم قلب من السعادة، أو الإحساس بالرضى الكامل لمحرد رؤية شخص ما، بطريقة يعجز عنها الطعام أو الدم أو الهواء، أو الإحساس كأنك ولدت للحظة واحدة فقط، وهذه هي حاله، مهما كان السبب.

قال له نويس: "انسَ أمرها".

قـال تيدي: "لا أستطيع". وخرجت الكلمات من فمه بصوت عال واستطاع الإحساس بالصراخ يدور وسط صدره.

تــراجع نويس إلى الخلف قدر المستطاع، وأبقى قبضة يده على القضبان، وأمال رأسه بحيث اتكأت أذنه على كتفه.

"إذاً، لن تغادر أبداً هذه الجزيرة".

لم يقل تيدي أي شيء.

تنهد نويس، كما لو أن ما قاله جعله يشعر بالضجر لدرجة النوم على قدميه. "تم نقله من الجناح ج. إذا لم يكن في الجناح أ، ثمة مكان واحد فقط يمكن أن يوجد فيه".

انتظر حتى استوعب تيدي الأمر.

قال تيدي: "المنارة!".

أومأ نويس برأسه، وانطفأ عود الثقاب الأحير.

لدقيقة كاملة، وقف تيدي هناك، محدقاً إلى الظلمة، ثم سمع صوت نوابض السرير مجدداً فيما استلقى نويس على السرير.

استدار للذهاب.

"هاي".

توقف، وهو يدير ظهره للقضبان، وانتظر.

"فليساعدك الله".

استدار ليمشي في رواق الزنزانات، فوجد آل في انتظاره. كان يقف وسط رواق الغرانيت، وينظر إلى تيدي بكسل وقال تيدي: "هر وجدت رجلك؟".

جاء آل للوقوف قربه. "طبعاً. إنه حقير هارب، لكن هنا، لا يمكنك الهروب كثيراً بعد الخروج من غرفتك".

مشيا في طابق الزنــزانات، وبقيا وسط الرواق، واستطاع تيدي سماع نويس يسأل إذا كان سيبقى هنا لوحده. تساءل لكم من الوقت كــان آل يراقبه. فكّر مجدداً في الأيام الثلاثة التي أمضاها هنا، وحاول العــثور على لحظة واحدة كان فيها لوحده تماماً. حتى خلال استعمال الحمــام، كــان يستخدم حمامات الموظفين، مع رحل في المامم الذي قربه، أو مع رحل واقف مباشرة أمام الباب.

لكن، لا، لقد خرج وتشاك مرات عدة في الجزيرة لوحدهما. هو وتشاك.

ماذا يعرف بالضبط عن تشاك؟ تصوّر وجهه للحظة، واستطاع رؤيته في المركب وهو ينظر إلى المحيط...

رجل رائع، يتم استلطافه فوراً، ويتصرف بارتياح مع الأشخاص. إنه من نوع الرجال الذين ترغب في الوجود معهم. من سياتل. تم نقله حديثاً. لاعب بوكر ممتاز. يكره والده وهو الشيء الوحيد الذي يبدو غير متطابق معه. ثمة شيء آخر أيضاً، شيء مدفون في دماغ تيدي، شيء... ما هو؟

غريب. هذه هي الكلمة. لكن، لا، لا يوجد شيء غريب في تسشاك. إنه إنسان لطيف. لطيف جداً مثل الإوزة، مثلما كان يقول والد تيدي. لا، ما من شيء غريب أبداً في الرجل. لكن ألا يوجد أي شيء؟ ألم تمر لخظة واحدة كان فيها تشاك غريباً في تصرفاته؟ نعم، تيدي واثق من حصول هذه اللحظة. لكنه لا يستطيع تذكر التفاصيل. ليس الآن. ليس هنا.

على كل حال، كانت الفكرة كلها سخيفة. إنه يثق بتشاك. في النهاية، فتش تشاك في مكتب كاولى.

هل رأيته يفعل ذلك؟

تشاك، في الوقت الحاضر، يخاطر بمهنته للوصول إلى ملف لايديز. كيف تعرف؟

وصلا إلى السباب وقال آل: "اذهب إلى السلالم، واتبع هذه الدرجات إلى الأعلى. ستجد السقف بسهولة".

"شكراً".

انتظـر تيدي، من دون أن يفتح الباب، إذ أراد أن يرى لِكم من الوقت سيبقى آل يراقبه.

إلا أن آل أوماً برأسه، وعاد إلى طابق الزانزات وشعر تيدي بالتبرئة. طبعاً، لا يراقبونه. حسب علم آل، تيدي مجرد حارس آخر. نويس مصاب فقط بالرهاب. لكن الرهاب مبرر. ومن لا يكون هكذا مكان نويس؟

استمر آل في المشي، وبرم تيدي مقبض الباب، وفتحه، ولم يكن هناك أي حراس ينتظرون عند منبسط الدرج. إنه لوحده. لوحده تماماً. من دون مراقبة. وترك الباب يغلق وراءه، ثم استدار لنزول السلالم، ورأى تـشاك يقف عند المنعطف، حيث صادفا بايكر وفنجيس. أشعل

سيجارته، ومجّها بقوة، ونظر إلى تيدي وهو ينزل الدرج، ثم استدار، وبدأ يتحرك بسرعة.

"ظننتُ أننا سنلتقى في القاعة".

قال تشاك، فيما وصل إليه تيدي: "إلهما هنا". واستدارا نحو القاعة الكبيرة.

"من؟".

"آمر السحن وكاولي. تابع سيرك. علينا الهروب".

"هل رأياك؟".

"لا أعرف. كنت أخرج من غرفة السجلات فوق طابقين. رأيتهما في الطرف الآخر من القاعة. استدار رأس كاولي، ودخلت فوراً عبر باب المخرج في السلالم".

"إذاً، لم ينتبها إليك على الأرجح".

كان تا الواقي من المطر، ويا المعطف الواقي من المطر، ويا في قالما المطر، ويا في الطابق المطرب ويا أوه، أنا واثق أننا بخير".

طقطقت الأضواء فوقهما في سلسلة متتالية، بدت أشبه بأصوات العظام المتكسرة تحت الماء. هدرت الشحنات الكهربائية في الهواء، وتبعها انفجار مدو من الصراخ والنحيب. بدا وكأن المبنى كله ينفجر حولهما للحظات، ثم عاد للسكون مجدداً. قرعت أجراس الإنذار عبر الجدران والأرضيات الحجرية.

قال تشاك واستدار نحو السلالم: "لقد عادت الكهرباء. كم هذا جميل".

نـــزلا الــسلالم، فيما كان أربعة حراس يصعدون، ووقفا على حانب الدرج للسماح لهما بالمرور.

كان الحارس الجالس أمام الطاولة الجانبية لا يزال موجوداً، يتحدث عبر الهاتف، وينظر إلى الأعلى بعينين شاردتين قليلاً، ثم صفت عيانه وقال: "انتظر لحظة". ثم استدار نحوهما، فيما وصلا إلى الدرجة الأخيرة وقال: "هاي أنتما الاثنان انتظرا دقيقة".

ثمة مجموعة من الحشود في القاعة الكبيرة - حراس وعمال واثنان من المرضي المكبّلين، مليئان بالوحل - ومرّ تيدي وتشاك أمامهم، ثم مرّا أمام رجل يقف قرب طاولة القهوة ويلوّح بكوبه بكسل، باتجاه صدر تشاك.

وقال الحارس: "هاي! أنتما الاثنان! هاي!".

لم يتوقفا أبداً، ورأى تيدي وجوهاً تنظر حولهما، ولم يعد يسمع إلا صوت الحارس، متسائلاً من يكون ليناديهما.

ثانية أخرى أو ثانيتان، ثم تتجه كل الأنظار إليهما هو وتشاك. "قلت لكما توقفا".

ضرب تيدي الباب بيده.

لم يفتح.

"هاي!".

لاحـــظ المقبض النحاسي، وهو على شكل ثمرة أناناس، كما في منـــزل كاولي، وأمسك به ووجده مليئاً برذاذ المطر.

"أريد التحدث معكما!".

برم تيدي المقبض، وفتح الباب، وشاهد حارسين يصعدان على السدرج. استدار تيدي في مكانه، وترك الباب مفتوحاً، فيما مرّ تشاك عسبر السباب، وأومساً له الحارس الذي على يساره إيماءة الشكر. مرّ وشريكه عبر الباب، وأفلت تيدي الباب، ونرلا الدرج.

شاهدا إلى يــسارهما، مجموعة من الرجال الذين يرتدون الثياب نفــسها، يقفــون ويدخنون السجائر ويشربون القهوة، وكان بعضهم

متكئين على الجدار، يمزحون مع بعضهم، وينفخون الدخان بقوة في الهواء. عبر تيدي وتشاك المسافة الفاصلة بينهم، من دون أن ينظرا أبدًا إلى الخلف، وانتظرا سماع صوت الباب يفتح وراءهما مع سلسلة من النداءات المتتالية.

قال تشاك: "هل عثرت على لايديز؟".

"لا. لكنني عثرت على نويس".

"ماذا؟".

"لقد سمعتنى".

أوما برأسيهما للمجموعة حين وصلا أمامهما. ابتسامات وتلويجات وتوقف تيدي للحظة أمام أحد الرجال، ثم تابعا المشي عحاذاة الجدار، وبدا كأن الجدار امتد لمسافة ربع ميل تقريباً، وتابعا المشي، فيما صدح الصراخ في الهواء، وتابعا المشي وهما يريان البنادق الناتئة من فجوات الجدران، على مسافة خمسين قدماً فوقهما.

وصلا إلى نهاية الجدار، واستدارا إلى اليسار، ووصلا إلى حقل أخصر سبخ، ولاحظا أنه تم استبدال أجزاء من السور هنا، وكانت محموعات من الرجال يملأون الفجوات الفارغة بإسمنت سائل، ولاحظا أن الرجال منتشرون في كل مكان، وعرفا أنه لا مجال أبداً للهروب من هنا.

استدارا، وعادا للمشي قرب الجدار، ودخلا عبر الفجوة، وقد أدرك تيدي أن السبيل الوحيد للهروب هو المضي قدماً. ستنتبه إليهم العديد من العيون إذا سارا في أي اتجاه آخر، بعيداً عن الحراس.

"سننجح في الهروب، أليس كذلك سيدي؟".

"تقدم مباشرة".

نـزع تيدي قبعته، ولحق به تشاك، ثم خلعا معطفيهما، ومشيا في بقع الماء الناجمة عن المطر. كان الحارس نفسه في انتظارهما، وقال تيدي لتشاك: "لا تبطئ أبداً خطواتك".

"اتفقنا".

حـــاول تيدي قراءة وجه الرجل. كان من دون تعابير وتساءل ما إذا كان ذلك ناجماً عن الضجر أو لأنه يحضّر نفسه للقتال.

لوّح له تيدي، فيما مرّ أمامه، وقال الحارس: "أحضروا الشاحنات الآن".

استمرا في المسشي، واستدار تيدي ومشى إلى الخلف وقال: "شاحنات؟".

"نعـم، لإعادتكمـا أيها الرجلان. عليكما الانتظار، إذ غادرت شاحنة قبل خمس دقائق. يفترض أن تعود في أي لحظة".

"لا. نحن بحاجة إلى ممارسة التمارين".

للحظة، لمع شيء في وجه الحارس. قد يكون الأمر مجرد تخيل من تيدي، أو عرف الحارس ربما وجود مشكلة ما، حين شمها.

"انتبه الآن". أدار تيدي ظهره، ومشى وتشاك نحو الأشجار وأحس أن الحارس يراقبهما، وأحس أن الحصن بكامله يراقبهما. قد يكون كاولي وآمر السجن على الدرجات الأمامية الآن، أو على السقف، يراقبان.

وصلا إلى الأشجار، ولم يصرخ أحد، ولم يطلق أحد طلقة إنذار، ثم تغلغلا أكثر واختفيا في كومة الجذوع السميكة والأوراق المبعثرة. قال تشاك: "الله، الله، الله".

جلس تيدي على صخرة، وأحس بالعرق يملأ جسمه، يبلل قميصه وسرواله الأبيض، وشعر أنه على وشك الاختناق. لا يزال قلبه

يخفق بقوة كبيرة، وأحس بالحكاك في عينيه، وبوخز في كتفيه وعنقه، وعرف أن هذا أعظم شعور في العالم، باستثناء الحب.

لأهما هربا.

نظر إلى تشاك، وثبت عينيه عليه إلى أن انفجرا في الضحك.

قال تشاك: "استدرت حول ذلك المنعطف، ورأيت أن السور لا يزال في مكانه. اللعنة، تيدي، ظننتُ أن الأمر انتهى".

استلقى تيدي على الصخرة، وأحسّ بحرية لم يشعر فيها إلا حين كان ولداً. راقب السماء وقد بدأت تظهر وراء الغيوم الملبدة، وأحسّ بالهواء على بشرته. استطاع شمّ رائحة الأوراق الرطبة والتربة الرطبة واللحاء الرطب وسمع صوتاً آخر، رذاذ المطر. أراد إغماض عينيه والاستيقاظ، وهو في الجهة الأخرى من المرفأ، في بوسطن، في سريره.

كاد يغفو، وذكّره ذلك كم كان متعباً، فانتصب وأخرج سيجارة مسن جيب قميصه، واستعار قدّاحة تشاك. انحنى إلى الأمام على ركبتيه وقال: "علينا الافتراض، من هذه النقطة، ألهم سيكتشفون أننا كنا في الخارج. هذا إذا كانوا لم يكتشفوا ذلك أصلاً".

أومأ تشاك برأسه. "سيخضع بايكر حتماً للاستجواب".

"أظن أن الحارس الذي كان عند السلالم أراد اللحاق بنا".

"أو أنه أراد منا فقط أن نوقع على سجل الخروج".

"في كلتا الحالتين، سيتم تذكرنا".

صدح صوت منارة بوسطن عبر المرفأ، وهو صوت سمعه تيدي كل ليلة في طفولته في هال. إنه الصوت الأكثر وحدة الذي عرفه. يجعلك ترغب في التشبث بشيء ما، بشخص، بوسادة، بنفسك.

قال تشاك: "نويس".

"نعم".

"هل هو فعلاً هنا؟".

"بلحمه و دمه".

قال تشاك: "بالله عليك تيدي، كيف؟".

وأخبره تيدي عن نويس، عن الضرب الذي تعرض له، عن حقده تجاه تيدي، عن حوفه، وأطرافه المرتجفة، وبكائه. أخبر تشاك كل شيء باستثناء ما أوحاه له نويس عن تشاك. أصغى تشاك إليه، وأومأ برأسه بسين الحين والآخر، وراقب تيدي، مثلما يراقب الولد مسؤول المخيم حول النار، فيما يروي الأول قصة آخر الليل.

وما الحقيقة، بدأ تيدي يتساءل، إذا لم تكن هذه؟

حين انتهي، قال تشاك: "هل صدقته؟".

"أصدق أنه هنا. لا شك في ذلك".

"إنه ربما يعاني من الهيار عصبي. أقصد أنه مريض نفسي. يملك التاريخ. قد يكون كل ذلك مشروعاً. ينهار في السجن ويقولون: هاي هذا الرجل كان ذات مرة مريضاً في آشكليف. فلنعده إلى هناك".

قــال تــيدي: "ممكن. لكن في آخر مرة رأيته فيها، بدا لي عاقلاً تماماً".

"متى كان ذلك؟".

"قبل شهر".

"يمكن أن يتغير الكثير خلال شهر".

"صحيح".

قال تشاك: "وماذا عن المنارة؟ هل تصدق أنه توجد مجموعة من العلماء المحانين هانك، يزرعون الهوائيات في جمحمة لايديز، فيما نتحدث نحن هنا؟".

"لا أظن ألهم يقومون بعمل سليم".

قال تشاك: "أوافقك الرأي، لكن كل هذا شبيه بالغينيول الكبير، أليس كذلك؟".

قطّب تيدي وجهه. "لا أعرف ما يعنيه ذلك".

قــال تشاك: "مرعب. في القصة الخرافية، بو - غا - بو - غا -بو - غا نوعاً ما".

قال تيدي: "أفهم ذلك. ما كانت الكلمة التي لفظتها؟".

قال تشاك: "الغينيول الكبير. إلها كلمة فرنسية. سامحين".

راقب تيدي تشاك، وهو يحاول الابتسام على طريقته، وربما يفكّر في طريقة لتغيير الموضوع.

قــال تــيدي: "درســت الكثير من الفرنسية خلال وجودك في بورتلاند؟".

"سياتل".

"صحيح". وضع تيدي راحة يده على صدره. "سامحني".

قال تشاك: "أنا أحب المسرح. اتفقنا؟ إلها كلمة مسرحية".

"هل تعلم؟ أعرف رجلاً عمل في مكتب سياتل".

"حقاً؟". فتش تشاك في حيوبه وكان شارد الذهن.

"نعم. ربما أنت تعرفه أيضاً".

قال تشاك: "ربما. هل تريد أن ترى على ماذا حصلت من ملف لايديز؟".

"كان اسمه جو... جو...". شبك تيدي أصابعه ونظر إلى تشاك. "هيا ساعدني. الكلمة على رأس لساني. جو، أووم، جو...".

قــال تشاك: "هناك الكثير من الذين اسمهم جو". وهو يفتش في حيبه الخلفي.

"ظننت أنه مكتب صغير".

"ها قد وجدهما". خرجت يد تشاك من جيبه الخلفي وكانت يده فارغة.

استطاع تيدي رؤية الورقة المطوية التي انزلقت من قبضته وبقيت عالقة في الجيب.

"حو فيرفيلد". قال تيدي وضحك على الطريقة التي خرجت فيها يد تشاك من حيبه. بطريقة غريبة. "هل تعرفه؟".

بحث تشاك في جيبه مجدداً. "لا".

"أنا واثق من أنه تم نقله إلى هنا".

هرّ تشاك كتفه. "لا يعني لي هذا الاسم شيئاً".

"أوه، ربما كان في بورتلاند. يختلط عليّ الأمر أحياناً".

"نعم، لاحظت ذلك".

سحب تـشاك الـورقة من حيبه وتذكره تيدي يوم وصلا إلى الجزيرة وكان يسلم المسدس إلى الحارس بحركة بطيئة، وواحه مشكلة في إخراج المسدس من قرابه. ليس هذا أمراً مألوفاً بالنسبة إلى مارشال أميركي. في الواقع، يتم طرده من الوظيفة في حال تم اكتشاف ذلك.

قال تيدي: "غريب. طبعاً".

بقيت يد تشاك ممدودة، وقطعة الورق متدلية من أصابعه.

قال تشاك: "خذها".

قال تيدي: "لا. اتركها معك".

"ألا تريد رؤيتها؟".

قال تيدي: "سأراها لاحقاً".

نظر إلى شريكه. وترك الصمت يسود بينهما.

"ماذا؟". قال تشاك أخيراً. "لا أعرف من ذلك جو اللعين؟ لذلك تنظر إليّ الآن بغرابة؟".

"أنسا لا أنظر إليك بغرابة، تشاك. مثلما قلت لك، يختلط عليّ الأمر أحياناً بين بورتلاند وسياتل".

"صحيح. إذاً...".

قال تيدي: "فلنتابع المشي".

وقف تيدي. بقي تشاك جالساً لبضع ثوان، ينظر إلى قطعة الورق المتدلية من يده. نظر إلى الأشجار حولهما. نظر إلى تيدي. نظر نحو الشاطئ.

صدح صوت المنارة محدداً.

وقف تشاك، وأعاد قطعة الورق إلى حيبه الخلفي.

قال: "حسناً". قال: "في كل الأحوال، قرر أنت الطريق".

بدأ تيدي المشي شرقاً نحو الغابة.

قال تشاك: "إلى أين تذهب؟ آشكليف في الجهة الأخرى".

نظر تيدي إليه. "لست ذاهباً إلى آشكليف".

بدا تشاك منزعجاً، لا بل خائفاً ربما. "إلى أين تذهب إذاً، تيدي؟". ابتسم تيدي.

"إلى المنارة، تشاك".

قال تشاك: "أين نحن؟".

"هنا".

خرجا من الغابات وبدلاً من أن يجدا نفسيهما أمام السور المحيط بالمنارة، أصبحا، نوعاً ما، إلى شمالها. تحولت الغابة إلى نهر صغير بفعل

العاصفة، وأجبرا على اتباع مسار مستقيم حددته مجموعة من الأشجار المتساقطة أو المنحنية. عرف تيدي ألهما انحرفا عن مسارهما قليلاً، لكن، بعد الحكم على حساباته الأخيرة، يبدو ألهما أصبحا بعيدين جداً بقدر المقبرة.

استطاع رؤية المنارة تماماً. برز ثلثها العلوي بوضوح من وراء تلة طـويلة مع سلسلة من الأشجار ومجموعة خضراء وبنية من النباتات. مباشرة وراء الحقل الذي وقفا فيه، كان هناك مستنقع طويل، ووراء ذلك، ثمة مجموعة من الصخور السوداء التي شكّلت حاجزاً طبيعياً للمنحدر، وعرف تيدي أن الطريقة الوحيدة الباقية أمامهما هي العودة عـبر الغابة والعثور على المكان الذي أخذا فيه المنعطف غير الصحيح، من دون الحاجة إلى العودة مجدداً إلى نقطة الانطلاق الأساسية.

قال ذلك لتشاك.

استخدم تشاك عصا لضرب ساقي سرواله بعنف للتخلص من الأشواك. "أو يمكننا الدوران والتوجه من الشرق. هل تذكر ما حصل مع ماكفرسون الليلة الماضية؟ استخدم السائق ما يشبه الطريق. لا بد ألها المقبرة الموجودة فوق الهضبة هناك. هل نجرّب ذلك الطريق؟".

"إنها أفضل من الطريق التي جئنا منه للتو".

"أوه، لم تحب ذلك". مرر تشاك راحة يده فوق الجهة الخلفية لعنقه. "أنا أحب البعوض. في الواقع، أظن أن هناك بقعة أو بقعتين على وجهى لا تريدان الاختفاء".

إنــه أول حديث بينهما منذ أكثر من ساعة، وأحسّ تيدي أنهما يحاولان تجاوز فقاعة التوتر التي نشأت بينهما.

لكسن اللحظسة انتهت حين بقي تيدي صامتاً لوقت طويل جداً وتحسرك تشاك بمحاذاة الحقل، متوجهاً، نوعاً ما، نحو الغرب الشمالي، علماً أن الجزيرة كانت تدفعهما طوال الوقت باتجاه شواطئها.

راقب تيدي ظهر تشاك فيما مشيا، وتسلقا، ومشيا. إنه شريكه. هذا ما قاله لنويس. قال له إنه يثق به. ولكن لماذا؟ لأنه مجبر على ذلك. لأنه لا يمكن التوقع من أي رجل أن ينجز هذه المهمة بمفرده.

إذا اختفى، إذا لم يعد أبداً من هذه الجزيرة، يبقى السيناتور هورلي صديقاً حيداً. لا شك في ذلك. سيتم تدوين الاستعلامات. سيتم سماعها. لكن في المناخ السياسي الحالي، هل سيكون صوت ديمقراطي غير معروف، نسبياً من ولاية نيوإنجلند الصغيرة، قوياً كفاية؟

اهـــتم المارشـــالات بأنفــسهم. سيتم حتماً إرسال رجال. لكن الــسؤال هــو مــــــق. هل سيصلون إلى هناك قبل أن تقوم آشكليف وأطـــباؤها بإيذاء تيدي بطريقة، لا يمكن إصلاحها، وتحويله إلى نويس حديد؟ أو إلى أسوأ، إلى رجل مجنون تماماً؟

أمــل تيدي في ذلك، لأنه كلما وجد نفسه ينظر إلى ظهر تشاك، ازداد يقينه في أنه لوحده في هذه المهمة. لوحده تماماً.

قال تشاك: "المزيد من الصحور".

كانا على قمة جبل ضيقة ناتئة مباشرة فوق البحر الممتد إلى يمينهما مع سهل منبسط إلى يسارهما، فيما الرياح تعصف، وأصبحت السماء حمراء بنية مع مذاق مالح في الهواء.

كانت كومات الصخور متباعدة في السهل المنبسط. تسع كومات منها في ثلاثة صفوف، محمية من كل الجوانب بمنحدرات تطوق السهل مثل وعاء.

قال تيدي: "ماذا؟ هل نتجاهل الموضوع؟".

رفع تشاك يده إلى السماء. "ستغيب الشمس بعد ساعتين تقريباً. لسنا أمام المنارة، في حال لاحظت ذلك. ولسنا

واثقين حيى من أننا نستطيع الوصول إلى هناك من هنا. وأنت تريد نــزول كل هذه المسافة للنظر إلى الصخور!".

"هاي، إذا كان هذا رمزاً...".

"وما الأهمية في هذه المرحلة؟ لدينا إثبات على أن لايديز هنا، رأيت نويس، كل ما علينا فعله هو العودة مع هذه المعلومات وهذا الدليل. ونكون أنجزنا مهمتك".

كان محقاً. عرف تيدي ذلك.

لكنه محق، لو كانا لا يزالان يعملان في الجانب نفسه.

هما لا يعملان، وهذا رمز لا يريد منه تشاك أن يراه...

قال تيدي: "عشر دقائق للنزول إلى الأسفل، وعشر دقائق للصعود مجدداً".

جلس تيدي بتعب كبير على سطح الصخرة الداكنة، وأخرج سيحارة من جبيه. "جيد. لكنني سأعفي نفسي من هذه المهمة".

"مثلما تريد".

طـوق تـشاك يديـه حول السيجارة، فيما أشعلها. "هذه هي الخطة".

راقب تيدي الدخان يتمايل عبر أصابعه الملتوية ويتجه نحو البحر. قال تيدي: "أراك".

كان تشاك يدير له ظهره. "حاول ألا تكسر عنقك".

نـــزل تيدي المنحدر في سبع دقائق، أي أقل بثلاث دقائق من تقديره الأساسي، لأن الأرض كانت رخوة ورملية وانــزلق فيها مرات عدة. تمنى لو أنه شرب المزيد من القهوة هذا الصباح لأن معدته كانت تكركــر من فراغها، فيما أفضت قلة السكر في دمه، مع قلة النوم، إلى توليد أزيز في رأسه، وظهور بقع طافية أمام عينيه.

أحـــصى الـــصخور في كل كومة، ودوّها في دفتره بالترافق مع نظائرها الأبجدية قربها:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I) أغلق الدفتر ووضعه في جيبه الأمامي، وبدأ يتسلق مجدداً المنحدر الرملي، وشق طريقه عبر الجزء الأكثر انحداراً، مقتلعاً كمشات من عسسب البحر معه كلما انزلق. احتاج إلى خمس وعشرين دقيقة للصعود مجدداً وقد أصبحت السماء برونزية داكنة، وعرف أن تشاك كان معقاً، مهما كان رأيه فيه. إلهما يخسران النهار بسرعة، وكانت هذه مضيعة للوقت، أياً كان الرمز.

لن يستطيعا الوصول الآن ربما إلى المنارة، وإذا وصلا، ماذا بعدها؟ إذا كان تشاك يعمل معهم، سيكون ذهاب تيدي معه إلى المنارة أشبه بالعصفور الذي يطير نحو مرآة.

رأى تيدي أعلى الهضبة والقسم الناتئ من القنة والسماء البرونزية المقوسة فوقه، وقال لنفسه، لا بد أن الأمر كذلك، دولوريس. قد يكون هذا أفضل ما أستطيع تقديمه في الوقت الحاضر. سيحيا لايديز. ستستمر آشكليف. لكننا سنرضي أنفسنا بالمعرفة أننا بدأنا عملية، عملية يمكن أن تفضى في النهاية إلى الهيار كل شيء.

عشر على شق في أعلى الهضبة، على فتحة ضيقة تلتقي بالقنة مع تآكل كبير بحيث خطرت لتيدي فكرة الوقوف في الشق، وجعل ظهره على الجـــدار الرملي، ووضع كلتا يديه على الصخرة المسطحة فوقه، ودفع نفسه إلى الأعلى كفاية بحيث يستطيع بسط صدره على القنة، وسحب ساقيه مباشرة خلفه.

استلقى على حانبه، ونظر إلى البحر. كان أزرق جداً في هذا السوقت من اليوم، ونابضاً جداً بحيث تلاشى بعد الظهر حوله. استلقى

هـناك، وأحس بالنسمات على وجهه وبالبحر المنبسط إلى الأبد تحت الـسماء المظلمـة، وشعر أنه صغير جداً، بشري عاجز، لكنه لم يكن شـعوراً موهناً. إنه على العكس شعور فخر. أن يكون جزءاً من هذا. بقعة، نعم. لكن جزءاً منه، واحداً معه، يتنفس.

نظر إلى الحجر الداكن المسطح، وضغط بوجنته عليه، وانتبه حينها إلى أن تشاك ليس معه.

استلقت جثة تشاك في أسفل المنحدر، وغمرتما المياه.

انـــزلق تيدي فوق حافة القنّة، وفتش في الصخور السوداء بكعب حذائه إلى أن أصبح واثقاً تماماً من ألها تستطيع تحمل وزنه. أحرج نفساً لم يكـن يعلـم حتى أنه يحبسه في صدره، وجعل مرفقيه تنــزلقان عن حافة القـنة، وأحـس بقدمـيه تغوصان في الصخور، وتحسس تغيراً في شكل الـصخور وانحنى كاحله اليمين إلى اليسار، وانــزلق على وجه المنحدر، وألقى بثقل أعلى حسمه عليه، وأصبحت الصخور تحت قدميه.

برم جسمه، وأخفض نفسه إلى أن أصبح مسحوقاً مثل السلطعون على الصخور، وبدأ النزول. ما من طريقة لفعل ذلك بسرعة. بعض الصخور ناتئة بقوة في المنحدر، وثابتة جداً مثل المسامير في خوذة المعركة. ثمة صخور أخرى غير مثبتة بأي شيء باستثناء الصخور التي تحتها، ولا يمكنك معرفتها إلا بعد وضع وزنك على إحداها.

بعد عشر دقائق تقريباً، رأى واحدة من سجائر لاكي الخاصة بتشاك، نصف مدخنة، وقد أصبحت الجمرة سوداء ومستدقة مثل طرف قلم الرصاص.

ما الذي سبب السقوط؟ صحيح أن الهواء هبّ، لكنه لم يكن قوياً كفاية لرمي رجل عن منبسط.

فكّر تسيدي في تشاك، هناك، لوحده، يدخن سيجارته في آخر دقسيقة من حياته، وفكّر في كل الأشخاص الآخرين الذين كان يهتم

بأمرهم وماتوا حين كان يخدم في الجندية. دولوريس، طبعاً، ووالده، في مكان ما في قعر هذا البحر نفسه. أمه، حين كان عمره ستة عشر عاماً. تروتي فيسيلي، الذي تعرض لطلق ناري بين أسنانه في صقلية، وابتسم بغرابة لتيدي، كما لو أنه ابتلع شيئاً فاجأه مذاقه، ثم تدفق الدم عرزاويتي فمه. مارتن فيلان، جايسون هيل، ذلك القنّاص البولندي من بيتسبورغ، ما كان اسمه؟ يارداك، هذا هو، يارداك غيليبيوفسكي. الولد الأشقر الذي جعلهم يضحكون في بلجيكا. تعرض لطلق ناري في الساق، وبدا كأنه لم يحدث أي شيء إلى أن استمر النزف إلى ما لا فيابية. وفرانكي غوردون، طبعاً، الذي تركه في الكوكونات غروف لك الليلة. بعد عامين، رمى تيدي سيجارة على خوذة فرانكي، وقال له إنه أحمق لعين وقال فرانكي: "أنت تشتم أفضل من أي رجل آخر عرفته...". وداس على لغم. ما زال تيدي يحتفظ بشظية في ربلة ساقه اليسري.

والآن تشاك.

هل سيعرف تيدي يوماً إذا كان يجدر به الوثوق به؟ إذا كان يجدر به الشك فيه؟ تشاك، الذي جعله يضحك وجعل المهمة الشاقة في الأيام الثلاثة الماضية أسهل بكثير. تشاك، الذي قال هذا الصباح إلهما سيتناولان عجة البيض للفطور وشرائح اللحم الرفيعة للغداء.

نظر تيدي مجدداً إلى أعلى القنّة. حسب تقديره، أصبح الآن في منتصف الطريق وباتت السماء زرقاء داكنة مثل البحر وتزداد دكنتها كل ثانية.

ما الذي جعل تشاك يقع من فوق؟ لا شيء طبيعي. إلا إذا أوقع شيئاً ما. إلا إذا لحق بشيء ما إلى الأسفل. إلا إذا، كما هي حال تيدي الآن، حاول شق طريقه إلى أسفل الجرف وأمسك بصخور غير ثابتة ربما.

توقف تيدي لالتقاط أنفاسه، وتصبب العرق من وجهه. رفع يداً بحــــذر عن الجرف ومسحها بسرواله، إلى أن حفت تماماً. أعادها إلى حيث كانت، ثم فعل الشيء نفسه باليد الأحرى، وحين أعاد تلك اليد إلى صخرة ناتئة، رأى الورقة قرها.

كانت مقحمة بين صخرة، وبين كومة بنية من الجذور وتتطاير قلسيلاً في هواء البحر. رفع تيدي يده عن الصخرة السوداء وأمسك بالورقة بين أصابعه ولم تكن هناك حاجة إلى فتح الورقة لمعرفة محتواها. إنها استمارة دخول لايديز.

وضع الورقة في حيبه الخلفي، وتذكر كيف استقرت من دون ثبات في حيب تشاك الخلفي، وعرف الآن سبب نـزول تشاك إلى هنا. من أجل هذه الورقة.

من أجل تيدي.

آخر عشرين قدماً من الجرف كانت مؤلفة من صخور ضخمة، بيوض سوداء عملاقة، مغطاة بالطحالب، واستدار تيدي حين وصل السيها، استدار بحيث أصبحت ذراعاه خلفه، ودعم بكعب يديه كل وزنه، وشق طريقه عبر هذه الصخور ورأى جرذاناً مختبئة في صدوعها. حين وصل إلى آخر الصخور، أصبح على الشاطئ، وبحث عن جيئة تشاك ثم مشى إليها وأدرك ألها ليست جثة على الإطلاق. مجرد صخرة أخرى، أصبحت بيضاء بفعل الشمس، مغطاة بحبال سميكة من الطحالب البحرية.

شكراً... نسوعاً ما. تشاك ليس ميتاً. تشاك ليس هذه الصخرة الطويلة الضيقة المغطاة بالطحالب البحرية.

طــوق تــيدي فمه بيديه ونادى اسم تشاك بأعلى ما يمكن عبر الجــرف. نادى وناد ، واستطاع سماع الصدى ينتقل في البحر ويرتد علــى الــصخور وينتقل مع النسمات، وانتظر لرؤية رأس تشاك يظهر فوق القنة.

كان يستعد ربما للنزول للبحث عن تيدي. قد يكون هناك الآن، يستعد.

صرخ تيدي اسمه إلى أن تجرّحت حنجرته به.

ثم توقف وانتظر سماع تشاك يناديه. أصبحت الدنيا مظلمة حداً للسرؤية ما هو موجود في أعلى ذلك الجرف. سمع تيدي صوت الهواء. سمع الجرذان في صدوع الصخور. سمع صوت نورس، صوت المحيط. وبعد دقائق قليلة، سمع صوت منارة بوسطن مجدداً.

تكيّف نظره مع الظلمة ورأى عيوناً تراقبه. عشرات العيون. استقرت الجرذان على الصخور الضخمة وحدقت إليه، من دون خوف. هذا شاطئها ليلاً، وليس شاطئه.

إلا أن تيدي كان خائفاً من الماء. وليس من الجرذان. اللعنة على تلك الكائنات الصغيرة الحقيرة. يستطيع قتلها بالرصاص. ليرى كم سيبقى منها بعد، أن ينفجر عدد من أصدقائها.

إلا أنه لا يملك مسدساً، وقد تضاعف عدد الجرذان، فيما كان يراقبها. تحركت ذيول طويلة جيئة وذهاباً فوق الحيجارة. شعر تيدي بالماء يرتطم بكاحليه وشعر بكل تلك العيون على حسمه، وسواء بدافع الخوف أو غير الخوف، بدأ يشعر بوخز في عموده الفقري، وبإحساس حكاك في كاحليه.

بدأ يمشي ببطء على الشاطئ ورأى أن هناك المئات منها، تستقر على الصخور تحت ضوء القمر مثلما تفعل عجول البحر تحت الشمس. راقبها وهي تقفز عن الصخور إلى الرمل، حيث كان يقف قبل لحظات قليلة فقط، وبرم رأسه ونظر إلى ما بقى من الشاطئ الممتد أمامه.

لسيس كشيراً. ثمة حرف آخر ناتئ في المياه لمسافة ثلاثين ياردة تقريباً، وقد قطع الشاطئ فعلياً إلى جزءين، وإلى يمينه، بعيداً في المحيط، استطاع تيدي رؤية جزيرة لم يعرف حتى إنها موجودة هناك. استقرت تحست ضوء القمر مثل لوح صابون بني، وبدت قبضتها في البحر ثابتة تماماً. كان على تلك الأجراف في اليوم الأول مع ماكفرسون. لا توجد جزيرة هناك. إنه واثق من ذلك.

من أين أتت إذاً؟ هذه الجزيرة؟

استطاع سماعها الآن، بعضها تتشاجر مع بعضها، لكن معظمها الآخر تنقر بأظافرها على الصخور وتصرخ على بعضها بعضاً، وأحرس تيدي بالحكاك الذي في كاحليه ينتثر إلى ركبتيه وداخل فخذيه.

نظر إلى الخلف، نحو الشاطئ والرمل الذي اختفى تحت الجرذان. نظر إلى الأعلى إلى الجرف، شاكراً القمر، الذي كان بدراً تقريباً، والنجوم، التي كانت ساطعة ولامتناهية. ورأى لوناً لا يبدو منطقياً أكثر من الجزيرة التي لم تكن موجودة قبل يومين.

إنـــه لون برتقالي. في منتصف الجرف الأكبر. برتقالي. في جرف أسود. عند الغسق.

مثل اللهبة.

أدرك أنه كهف. أو على الأقل صدع كبير الحجم. وثمة شخص فسيه هناك. تشاك. لا بد من ذلك. لقد طارد ربما الورقة نزولاً في القنة. وتعرض ربما للأذى وانتهى في شق طريقه عبر الجرف بدلاً من النزول إلى الأسفل.

نــــزع تــيدي قبعته واقترب من أقرب صخرة ضخمة. قامت نــصف دزينة من أزواج العيون بمراقبته ولوّح لها تيدي بالقبعة فجفلت وبرمت أجسامها المقرفة على الصخرة الضخمة، وتقدم تيدي إلى هناك بــسرعة وركل بعض الجرذان الموجودة على الصخرة التالية فتنحت له جانـــباً، ثم ركض فوق الصخور، وقفز من واحدة إلى أخرى، مع عدد أقل من الجرذان كل مرة، إلى أن لم يعد هناك أي جرذ في انتظاره فوق الــصخور السوداء القليلة الأخيرة، ثم راح يتسلق وجه الجرف، فيما لا تزال يداه تنـــزفان من النــزول.

إلا أن التـــسلق كان سهلاً. كان الجرف أعلى وأعرض كثيراً من الجرف الأول، وإنما مع تدرجات ملحوظة والمزيد من النتوءات فيه.

احتاج إلى ساعة ونصف الساعة تحت ضوء القمر، وتسلق، فيما المنجوم تراقبه تماماً مثلما فعلت الجرذان، وفقد دولوريس في أثناء التسلق، فلم يستطع تصورها، ولم يستطع رؤية وجهها أو يديها أو شفتيها العريضتين. شعر أنها خرجت منه بطريقة لم يشهدها قبلاً منذ أن ماتت، وعرف أن السبب هو كل الجهد الجسدي وقلة النوم وقلة الطعام، لكنها اختفت، فيما تسلق هو الجرف تحت ضوء القمر.

إلا أنه استطاع سماعها. بالرغم من أنه لم يستطع تصورها، استطاع سماعها في دماغه وكانت تقول له، هيا، تيدي، تابع. يمكنك العيش محدداً.

هــل هذا كل ما في الأمر؟ بعد سنتين من المشي تحت الماء، من التحديق إلى مسدسه الموضوع على الطاولة في غرفة الجلوس، فيما هو جالس في العتمة يستمع إلى تومي دورسي وديوك إلنغتون، من التأكد أنه لا يستطيع المضي قدماً، ولو خطوة واحدة في هذه الحياة اللعينة، من الاشـــتياق لهــا بقوة لدرجة أنه جعل ذات مرة إحدى أسنانه القاطعة تــسحق أسنانه بدافع الحاجة إليها. بعد كل ذلك، هل يمكن أن تكون فعلاً هذه هي اللحظة التي يتخلى فيها عنها؟

لم أكن أحلم بك، دولوريس. أعرف ذلك. لكن في هذه اللحظة، أشعر وكأنني فعلت.

ويفترض ذلك، تيدي. يفترض ذلك. دعني أذهب.

حقاً؟

نعم صغيري.

سأحاول. اتفقنا؟

اتفقنا.

استطاع تيدي رؤية الضوء البرتقالي يض فوقه. استطاع الإحساس بالحرارة، ولو بالكاد، ولكنه غير مخطئ في ذلك. وضع يده على النتوء الصخري الذي فوقه، ورأى الانعكاس البرتقالي على معصمه فدفع نفسه إلى الأمام على مرفقيه ورأى الضوء منعكساً على الجدران المتصدعة. وقف. كان سقف الكهف أعلى بإنش واحد فقط من رأسه، ورأى أن الفتحة منحنية إلى اليمين فلحق بها ووجد أن الضوء منبعث من كومة من الأخشاب في فجوة صغيرة، محفورة في أرض الكهف ووقفت المرأة عند الجهة الأحرى من النار ووضعت يديها وراء ظهرها وقالت له: "من أنت؟".

"تيدي دانيالز".

كــشفت المرأة عن شعر طويل وارتدت القميص الوردي الفاتح الخاص بالمرضى وسروالاً مربوطاً عند الخصر وانتعلت خفاً.

قالت: "هذا هو اسمك. ولكن ماذا تفعل؟".

"أنا شرطى".

أمالت رأسها، وقد بدأ الشيب يظهر في شعرها. "أنت المارشال". أوماً تيدي برأسه. "هلا أزحت يديك من وراء ظهرك؟".

قالت: "لماذا؟".

"لأنني أريد أن أعرف ماذا تحملين".

"لماذا؟".

"لأننى أريد أن أعرف إذا كنت تستطيعين إيذائي".

ابتسمت عندها ابتسامة صغيرة. "أفترض أن هذا عادل".

"أنا مسرور لك".

رفعـــت يـــديها من وراء ظهرها، وكانت تحمل مبضعاً حراحياً طويلاً ورقيقاً. "سأستمر في حمله، إذا كنت لا تمانع".

رفع تيدي يديه. "لا مشكلة عندي".

"هل تعرف من أكون؟".

قال تيدي: "مريضة من آشكليف".

أمالـــت رأســـها مـــرة أخـــرى ولمست ثوبها. "ما الذي دفعني للهروب؟".

"حسناً، حسناً. نقطة جيدة".

"هل كل المارشالات الأميركيين أذكياء هكذا؟".

قال تيدي: " لم أتناول الطعام منذ مدة. أنا الآن أبطأ من المعتاد".

"هل نمت كثيراً؟".

"ما هذا؟".

"منذ وجودك على الجزيرة. هل نمت كثيراً؟". "ليس جيداً إذا كان هذا يعني أي شيء".

"أوه، يعني". رفعت سروالها إلى الركبتين وجلست على الأرض، وأشارت إليه لفعل الشيء نفسه.

جلس تيدي وحدّق إليها فوق النار.

قال: "أنت راشايل سولاندو. الحقيقية".

هزّت كتفها.

"هل قتلت أولادك؟".

وحزت حذع حشبة بالمبضع. "لم أنجب أبداً أولاداً".

"צי?".

"لا. لم أتــزوج أبــداً. ستدرك حين تعرف أنني كنت أكثر من مريضة هنا".

"كيف يمكنك أن تكوين أكثر من مريضة؟".

وخــزت جذعاً آخر ودفعته إلى النار وتطايرت الشرارات فوق اللهبة، ثم اختفت قبل أن تصل إلى السقف.

قالت: "كنت من الموظفين. مباشرة بعد انتهاء الحرب".

"هل كنت ممرضة؟".

نظرت إليه من خلال النار. "كنت طبيبة أيها المارشال. أول طبيبة أنثى في مستشفى دراموند في ديلاواير. الأولى بين الموظفين هنا في آشكليف. أنت يا سيدي تنظر إلى رائدة حقيقية".

أو إلى مريضة عقلية محنونة، قال تيدي لنفسه.

نظــر إلى الأعلـــى ووجد عينيها مسمّرتين عليه، وكانت عيناها لطيفتين ومتعبتين وعارفتين. قالت: "تظن أنني مجنونة".

."צ"

"وماذا سيكون رأيك في امرأة مختبئة في كهف؟". "فكّرت في أن هناك سبباً لذلك".

ابتـــسمت بغموض وهزّت رأسها. "لست مجنونة. لست كذلك. وماذا سيقول طبعاً أي شخص مجنون؟ هذه هي العبقرية المطلقة. إذا لم تكن مجنوناً لكن الناس قالوا للعالم إنك مجنون، تصبح كل احتجاجاتك لإثبات العكس مجرد أوهام باطلة. هل تفهم ما أعنيه؟".

قال تيدي: "نوعاً ما".

"انظر إلى المسألة وفق القياس المنطقي. فلنقل إن القياس المنطقي يبدأ من هذه النقطة. الرحال المجانين ينكرون ألهم مجانين. هل تتبعني؟". قال تيدى: "طبعاً".

"حسساً. الجزء الثاني: بوب ينكر أنه مجنون. الجزء الثالث: جزء إذاً. إذاً، بوب مجسنون". وضعت المبضع على الأرض قرب ركبتها وحركت النار بعود خشبسي. "إذا تم اعتبارك مجنوناً، فإن كل الأفعال التي تثبت للآخرين أنك لست كذلك، تصبح في الواقع في إطار أفعال السخص المجنون. تصبح احتجاجاتك السليمة إنكاراً. تصبح مخاوفك المسشروعة رهاباً. يطلق على غرائزك للصمود اسم آليات اللفاع. ليس هذا وضعاً يمكنك الفوز فيه. إنه بالفعل حكم بالإعدام. حين تصل إلى هنا، لا يمكنك الخروج أبداً. لا أحد يترك الجناح ج. لا أحد. حسناً، لقد فعل بعضهم ذلك، أؤكد لك. لكنهم خضعوا للجراحة. في الدماغ. مباشرة عبر العين. إلها ممارسة طبية بربرية، خالية من الضمير، وقلت لهم ذلك. حاربتهم. كتبت الرسائل. وكان في وسعهم إقالتي، هل تعرف؟ كسان في وسعهم طردي أو إقالتي، أو نقلي إلى منصب تعليمي أو حتى إحساري على في وسعهم تركي، لا يمكنهم ذلك. لا، لا، لا".

أصبحت أكثر وأكثر اضطراباً، فيما تحدثت، وحركت النار بعودها، وتحدثت إلى ركبتيها أكثر مما تحدثت إلى تيدي.

قال تيدي: "هل كنت فعلاً طبيبة؟".

"أوه، نعم. كنت طبيبة". نظرت فوق ركبتيها وعودها. "في الواقع، ما زلت. لكن، نعم، كنت من بين الموظفين هنا. بدأت أتساءل عن الشحنات الكبيرة من صوديوم أميتال أو الأدوية المهلوسة المرتكزة على الأفيون. بدأت أتساءل - وبصوت عال لسوء الحظ - عن الإجراءات الجراحية التي تبدو اختبارية كثيراً إذا أردناً تلطيف العبارة".

قال تيدي: "ماذا يفعلون هناك؟". وجهت إليه ابتسامة سحرية منكفئة. "ألا تعرف؟".

"أعرف أنهم يخرقون قانون نورمبرغ".

"يخرقونه؟ لقد انتهكوه كله".

"أعرف ألهم يجرون علاجات جذرية".

"جذرية نعم. علاجمات لا. ما من علاج يُجرَى هنا، أيها المارشال. هل تعرف من أين تأتي الأموال الخاصة بهذا المستشفى؟".

أومأ تيدي برأسه. "من مكتب الخدمات الاستراتيجية".

قالـــت: "مــن دون أن نذكر مال الرُسي. المال يتدفق بغزارة إلى هنا. اسأل نفسك الآن: كيف يدخل الألم إلى الجسم؟".

"حسب المكان الذي تأذيت فيه".

"لا". هـزت رأسها بتعاطف. "لا علاقة له أبداً باللحم. يرسل السدماغ ناقلات عصبية عبر الجهاز العصبي. يتحكم الدماغ بالألم. يتحكم بالخوف، النوم، التعاطف، الجوع، كل ما نربطه بالقلب أو الروح أو الجهاز العصبي يخضع فعلياً لسيطرة الدماغ، كل شيء".

"حسناً..."

سطعت عيناها في نار الموقد. "ماذا لو استطعت السيطرة عليه؟".

"الدماغ؟".

أومأت برأسها. "إعادة ابتكار رجل لا يحتاج إلى النوم، لا يشعر بالألم، أو الحب، أو التعاطف. رجل لا يمكن استجوابه، لأنه تم إخلاء مستوعبات ذاكرته". حركت النار ونظرت إليه. "إلهم يبتكرون الأشباح هنا، أيها المارشال. يبتكرون أشباحاً لتخرج إلى العالم وتنجز أفعالاً شبحية".

"لكن هذا النوع من القدرة، هذا النوع من المعرفة هو...".

وافقته الرأي: "يحتاج إلى سنوات عدة. أوه، نعم. إلها عملية ممتدة على عقود طويلة أيها المارشال. لقد بدأوا من مكان مماثل للذي انطلق مسنه السسوفيات. غسل الدماغ، تجارب الحرمان. تماماً، مثلما أجرى السنازيون اختباراتهم على اليهود لرؤية تأثير الدرجات المفرطة من الحرّ والسبرد وتطبيق هذه النتائج لمساعدة جنود الرايخ. لكن، ألا تفهم أيها المارشال؟ بعد نصف قرن من الآن، سينظر الناس إلى الخلف ويقولون: ضسربت الأرض القدرة بسبابتها؛ "هنا بدأت كل القصة. استخدم النازيون اليهود. استخدم السوفيات السحناء في زنراناتهم. وهنا، في أميركا، اختبرنا المرضى في هذه الجزيرة".

لم يقل تيدي أي شيء. لم تخطر له أي كلمة.

نظرت محدداً إلى النار. "لا يمكنهم أن يسمحوا لك بالمغادرة. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟".

قال تيدي: "أنا مارشال فدرالي. كيف سيتمكنون من منعي؟". أدى ذلك إلى رسم ابتسامة على وجهها وإلى تصفيق بيديها. "كسنت طبيبة نفسية محترمة من عائلة محترمة. ظننتُ ذات مرة أن هذا كاف. أكره إبلاغك بذلك، لكنه لم يكن كافياً. دعني أسألك أمراً؛ هل عانيت من أي صدمات سابقة في حياتك؟".

"ومن منا لا يملك مثل هذه الصدمات؟".

"آه، نعيم. لكنينا لا نتحدث عن العموميات، أو عن أشخاص آخيرين. نحن نتحدث عن خصوصيات. أنت. هل لديك نقاط ضعف نفيسية يمكن استغلالها؟ هل هناك حدث أو أحداث في ماضيك يمكن اعتبارها بمثابة عوامل منذرة لفقدانك صوابك؟ هكذا، حين يحكمون عليك هنا، وسيفعلون، يقول أصدقاؤك وزملاؤك: طبعاً. لقد انهار، أخيراً، ومن لا يفعل ذلك؟ إنها الحرب التي سببت له ذلك. وخسارة أمه، أو أي كان. ما رأيك؟".

قال تيدي: "يمكن قول ذلك عن أي شخص".

"حــسناً، هذه هي النقطة. ألا ترى؟ نعم يمكن قول ذلك عن أي شخص، لكنهم سيقولونه عنك أنت. كيف حال رأسك؟".

"رأسى؟".

قضمت شفتها السفلية وأومأت برأسها مرات عدة. "نعم، الكتلة السيّ فوق رأسك. كيف حالها؟ هل من أحلام غريبة في الآونة الأحيرة؟".

"طبعاً".

"صداع؟".

"أنا عرضة لصداع الشقيقة".

"الله. لا".

"بلي".

"هل تناولت أي أدوية منذ مجيئك إلى هنا، حتى الأسبيرين؟". "نعم". "هــل تشعر أنك لست على ما يرام ربما؟ لست على بعضك مئة بالمــئة؟ تقول لنفسك أوه ليست هذه مشكلة كبيرة، وإنما تشعر فقط ببعض الانــزعاج. أو ربما لا ينجز دماغك الروابط بسرعة مثل المعتاد. لكــنك تقول لنفسك إنك لا تنام جيداً. سرير غريب، مكان غريب، عاصفة. تقول هذه الأمور لنفسك. صحيح؟".

أومأ تيدي برأسه.

"وأفترض أنك تناولت الطعام في الكافيتيريا، وشربت القهوة التي قدموها لك. أخبرني على الأقل أنك تدخن سجائرك الخاصة".

اعترف تيدي: "سجائر شريكي".

"لم تأخذ أبداً أي سيجارة من طبيب أو ممرض؟".

تذكر تيدي السجائر التي ربحها في البوكر تلك الليلة ووضعها في حسيب قميصه. تذكر أنه دخن سيجارة من سجائر كاولي يوم وصلا، وكسيف كان طعمها أطيب من كل السجائر الأخرى التي دخنها في حاته.

استطاعت رؤية الجواب في وجهه.

"تبرز الحاجة إلى ثلاثة أو أربعة أيام كي تصل المخدرات العصبية إلى مستويات قوية في الدم. خلال هذا الوقت، بالكاد تلاحظ تأثيراها. في بعض الأحيان، يعاني المرضى من نوبات. لكن يظن خطأ أن هذه السنوبات هي نوبات صداع الشقيقة، خصوصاً إذا كان المريض يملك تاريخاً لصداع الشقيقة. على كل حال، تكون هذه النوبات نادرة. في العادة، تكمن التأثيرات الوحيدة الملحوظة في أن المريض...".

"توقفي عن مناداتي بالمريض".

"... يحلم بيقظة متزايدة ولفترات أطول من الوقت، وتختلط الأحلام غالباً ببعضها، وتدعم بعضها بعضاً إلى أن تصبح شبيهة برواية

كتبها بيكاسو. أما التأثير الآخر الملحوظ فهو إحساس المريض، أوه، ببعض الارتباك. تكون أفكاره أقل وضوحاً. لكنه لا ينام جيداً، مع كل تلك الأحلام، ولذلك يمكن مسامحته على الإحساس قليلاً ببعض الارتباك. ولا، أيها المارشال، لم أكن أناديك بالمريض. ليس بعد. كنت أتحدث في العموميات".

"إذا تفاديت كل الطعام والسجائر، والقهوة، والأدوية، فما مقدار الذي يمكن أن يكون قد لحق بسي؟".

أبعدت شعرها عن وجهها وبرمته في عقدة وراء رأسها. "أخشى أن يكون حصل الكثير".

"لنقل إنني لم أتمكن من الخروج من هذه الجزيرة قبل الغد. ولنقل إن المخدرات بدأت تعطى تأثيرها. كيف سأعرف؟".

"الأدلة الأكثر بروزاً هي فم حاف مترافق مع لعاب سائل، شلل ارتجافي. ستلاحظ ارتجافات صغيرة. تبدأ حين يلتقي معصمك بإلهامك وتمتد عادة على طول الإلهام لبعض الوقت قبل أن تصل إلى يديك".

هذا ما يحصل معه.

قال تيدي: "ماذا أيضاً؟".

"حساسية للضوء، صداع في القسم الأيسر من الدماغ، كلمات متلعثمة. ستتأتئ أكثر".

اســـتطاع تـــيدي سماع المحيط في الخارج، والمدّ القادم، المرتطم بالصخور.

قال: "ماذا يحصل في المنارة؟".

هزّت كتفها وانحنت إلى الأمام نحو النار. "حراحة".

"حراحة؟ يمكنهم إنحاز الجراحة في المستشفى؟".

"جراحة دماغ".

قال تيدي: "يمكنهم فعل ذلك هناك أيضاً!".

"ومن يعرف عن ذلك؟ أقصد في الجزيرة؟".

"بشأن المنارة؟".

"نعم، المنارة".

"الجميع".

"هيا. حتى المرضون والمرضات".

نظــرت إلى عـــيني تـــيدي عبر اللهب، وكانت نظرتها ثابتة وصافية.

كررت: "الجميع".

لا يذكر أنه نام، لكن لا بد من ذلك لأنما كانت تمزه.

قالت: "عليك الذهاب. يظنون أنني ميتة. يظنون أنني غرقت. إذا حاؤوا للبحث عنك، سيعثرون عليّ. أنا آسفة. لكن عليك الذهاب".

وقف وفرك وجنتيه مباشرة تحت عينيه.

قالـــت: "ثمة طريق إلى شرق أعلى هذا الجرف. اتبعها وستقودك إلى الغرب. ستصبح وراء قصر القيادة السابق بعد ساعة مشي تقريباً".

قال: "ها أنت راشايل سولاندو؟ أعرف أن التي التقيت بها كانت مزيفة".

"وكيف تعرف؟".

تذكر تيدي إهاميه الليلة الفائتة. كان يحدق إليهما حين وضعاه في السسرير. وحين استيقظ، وجد أنه تم تنظيفهما. قال لنفسه: إنه طلاء أحذية، ثم تذكر أنه لمس وجهها...

قال: "كان شعرها مصبوغاً. حديثاً".

"عليك الذهاب". برمت كتفه برفق نحو فتحة الكهف.

قال: "إذا احتجتُ إلى العودة".

"لن أكون هنا. أتحرك خلال النهار. أماكن جديدة كل ليلة".

"لكنني قد أعثر عليك وآخذك من هنا".

وجهـــت إلـــيه ابتسامة حزينة ومشطت الشعر عند صدغيه. "لم تسمع كلمة واحدة مما قلته لك، أليس كذلك؟".

"نعم".

"لن تخرج أبداً من هنا. أنت واحد منا الآن".

ضغطت بأصابعها على كتفه ودفعته نحو فتحة الكهف.

توقف تيدي عند الفتحة ونظر مجدداً إليها. "لديّ صديق. كان معى الليلة، ثم انفصلنا. هل رأيته؟".

وجهت إليه الابتسامة الحزينة نفسها.

قالت: "أيها المارشال، لا تملك أصدقاء".

حين وصل إلى الجهة الخلفية لمنزل كاولي، بالكاد كان يستطيع المشي.

شـــق طريقه من حلف المنــزل وبدأ يمشي في الطريق المؤدي إلى الــباب الرئيس، وهو يشعر أن المسافة تضاعفت أربع مرات منذ هذا الصباح، وخرج رجل من الظلام وأصبح على جانب الطريق قربه ومرر ذراعه تحت ذراع تيدي وقال: "كنا نتساءل متى ستظهر".

إنه آمر السجن.

كانت بــشرته بيضاء مثل الشمع، وناعمة، كما لو أنه حرى صــقلها، وشــفافة تقريباً. لاحظ تيدي أن أظافره طويلة وبيضاء مثل بشرته، وأطرافها على وشك الانعقاف ومبرودة تماماً. لكن عينيه كانتا الشيء الأكثر إرباكاً فيه. باللون الأزرق الحريري، مع تساؤل غريب. عينا طفل.

"سررت أخيراً بلقائك حضرة آمر السحن. كيف حالك؟". قال الرجل: "أوه. بأفضل حالاتي. وأنت؟".

"لم أكن يوماً أفضل حالاً".

ضغط آمر السجن على ذراعه. "سررت لسماع ذلك. هل كنت تقوم بنزهة تسلية؟".

"حــسناً، بعد أن تم العثور الآن على المريضة، فكّرت في أن أقوم بجولة في الجزيرة".

"أنا واثق من أنك استمتعت". "تماماً".

"رائع. هل صادفت السكان الأصليين عندنا؟".

احــتاج تــيدي إلى دقــيقة. كــان رأسه يئز باستمرار. بالكاد استطاعت ساقاه حمله.

قال: "أوه الجرذان!".

ربّــت آمـر السحن على ظهره. "نعم، الجرذان! ثمة شيء فحم بطريقة غريبة فيها، أليس كذلك؟".

نظر تيدي إلى عيني الرجل وقال: "إنها جرذان".

"حيوانات مؤذية. نعم، أفهم. لكن طريقة جلوسها على الصخور وتحديقها إليك إذا رأت أنك على مسافة آمنة منها، وطريقة تحركها برشاقة، داخل الوكر وخارجه قبل أن تطرف حتى عينك...". نظر إلى الأعلى، إلى النحوم. "حسناً، قد تكون كلمة فخم غير صحيحة نوعاً ما. ماذا عن مفيدة؟ إلها كائنات مفيدة على نحو استثنائي".

وصلا إلى البوابة الرئيسة وأبقى آمر السحن قبضته على ذراع تسيدي واستدار في مكانه، بحيث أصبحا ينظران إلى منزل كاولي والبحر في الخلف.

قال آمر السجن: "هل استمتعت بآخر هدية؟".

نظر تيدي إلى الرجل وأحسّ بالمرض في تلك العينين المثاليتين. "عذراً؟".

قال آمر السجن: "الهدية". وحرسكت ذراعه الأرض الممزقة. "العنف. حين نيزلت إلى الطابق السفلي في منزلي ورأيت الشجرة في غرفة الجلوس، أحسست أن يداً فعلت ذلك. ليس بصورة حرفية، طبعاً. وإنما بصورة مجازية. إنه يحب العنف. أنت تفهم هذا، أليس علك؟".

قال تيدي: "لا. لا أفهم".

تقدم آمر السحن بضع خطوات إلى الأمام واستدار لمواجهة تدير. "وما الشيء الآخر الذي يوجد منه بهذا القدر؟ إنه فينا. إنه يخرج منا. هذا ما نفعله بصورة طبيعية أكثر مما نتنفس. نسعى للحرب. نحرق الأضاحي. نمزق لحم إخوتنا. نملأ حقولاً كبيرة بموتانا، لماذا؟ لنظهر له أننا تعلمنا منه".

راقب تيدي يد الرجل وهي تربّت على غلاف الكتاب الصغير الذي حمله قرب بطنه.

ابتسم وكانت أسنانه صفراء.

"نعطى الهزات الأرضية، والأعاصير، والعواصف. نعطى حبال تطلق النار على رؤوسنا. محيطات تبتلع السفن. نعطى الطبيعة، والطبيعة هي قاتل مبتسم. نعطى المرض لكي نظن في مماتنا أننا أعطينا الفتحات فقط لكسي نشعر أن الحياة تنزف منها. نعطى الشهوة والغضب والجشع وقلوبنا المليئة بالحقد. بحيث نستخدم العنف بشرف. ما من قانون أخلاقي على الإطلاق. هناك فقط هذا السؤال: هل يستطيع عنفى التغلب على عنفك؟".

قال تيدي: "لست واثقاً من أنني...".

"هـــل يستطيع؟". اقترب آمر السحن أكثر واستطاع تيدي شمّ رائحة نفسه الكريهة.

سأل تيدي: "يستطيع ماذا؟".

"يستطيع عنفي التغلب على عنفك؟".

قال تيدي: "لست عنيفاً".

بصق آمر السحن على الأرض قرب قدميه. "أنت عنيف بقدرهم حين يأتون". حين يأتون".

تبت تيدي قدميه، وأحسّ بالدم يتدفق عبر ذراعيه.

همس آمر السجن: "نعم، نعم. أصبحت وقيودي أصدقاء".

"مــاذا؟". وحــد تيدي نفسه يهمس، فيما حسمه ينبض بوخز غريب.

قال آمر السحن: "إنه بايرون. ستذكر هذه العبارة، أليس كذلك؟".

ابتـــسم تيدي، فيما تراجع الرجل خطوة إلى الخلف. "لقد خرقوا فعلاً القانون معك، أليس كذلك يا آمر السجن؟".

ابتسامة رقيقة لتطابق ابتسامة تيدي.

"يظن أنه لا بأس في ذلك".

"في ماذا؟".

"فيك. في لعبتك. يظن أن هذا غير مؤذٍ نسبياً، لكنني لا أظن ذلك".

."נא"

"لا". أنــزل آمر السجن ذراعه وتقدم بضع خطوات إلى الأمام. شــبك يديــه وراء ظهره، بحيث أصبح كتابه لجهة ظهره عند قاعدة عمــوده الفقــري، ثم استدار وأبعد قدميه عن بعضهما على الطريقة العسكرية وحدّق إلى تيدي: "يقول إنك خرجت للقيام بنــزهة، لكنني أعرف أفضل. أعرفك، بنيّ".

قال تيدي: "التقينا للتو".

هز آمر السحن رأسه. "نحن نعرف بعضنا منذ قرون. أعرفك في الصميم. وأظن أنك حزين. فعلاً". زمّ شفتيه ونظر إلى حذائه. "لا بأس في الحزن. هذا مثير للشفقة عند الرجال، لكن لا مشكلة في ذلك، لأنه لا يؤثر فيّ. لكنني أظن أيضاً أنك خطير".

قال تيدي: "يملك كل رجل الحق في رأيه".

اسود وجه آمر السحن. "لا. الرجال حمقى. يأكلون ويشربون ويطردون الغازات ويتناسلون، وهذه الميزة الأخيرة مؤسفة على وجه المتحديد، لأن العالم سيكون أفضل كثيراً مع عدد أقل منا فيه. المتخلفون والمجانين وأصحاب الأخلاق المنحطّة، هذا ما ننتجه. هذا ما ننتجه ما نفسد الأرض به. في الجنوب الآن، يحاولون إبقاء زنوجهم في الصف. لكنني سأقول لك شيئاً؛ أمضيت وقتاً في الجنوب، وجميعهم زنوج هاك، بنيّ. زنوج بيض، زنوج سود، زنوج نساء. هناك زنوج في كل مكان وليسوا أكثر فائدة من الكلاب التي تمشي على أربع قوائم. على الأقل، ما زال باستطاعة القلب شمّ الرائحة بين الحسين والآخر. أنت زنجي، بنيّ. أنت من طينة سيئة. أستطيع شمّ ذلك عندك".

كان صوته خفيفاً بطريقة مفاجئة، وأنثوياً تقريباً.

قال تيدي: "حسناً، لن تضطر إلى القلق بشأني بعد الصباح، أليس كذلك يا آمر السجن؟".

ابتسم آمر السجن. "لا، لن أفعل، بنيّ".

"سأكون بعيداً عنك وعن جزيرتك".

تقـــدم آمر السحن خطوتين نحوه، واختفت ابتسامته. أحيى رأسه صوب تيدي وحدّق إليه بطريقة طفولية.

"لن تذهب إلى أي مكان، بنيّ".

"أراهن على العكس".

"راهن على كل ما تشاء". انحنى آمر السحن وشمّ الهواء إلى يسار وجه تيدي، ثم حرّك رأسه وشمّ الهواء إلى يمينه.

قال تيدي: "هل تشمّ شيئاً ما؟".

"همــم هممــم". تراجع آمر السحن إلى الخلف. "أشم شيئاً مثل الخوف، بنيّ".

قال تيدي: "إذاً، عليك الاستحمام ربما، لغسل تلك القذارة عنك".

لم يستحدث أي منهما للحظات، ثم قال آمر السحن: تذكر تلك السسلاسل أيها الزنجي. إنها صديقتك. واعلم أنني أتطلع كثيراً لرقصتنا الأحيرة. آه، يا للمجزرة التي سنحققها!".

واستدار ومشى في الطريق المؤدي إلى منزله.

كان مبنى نوم الرجال مهجوراً. ما من روح داخل المكان. ذهب تسيدي إلى غرفته وعلّق معطفه في الخزانة وبحث عن دليل لعودة تشاك إلى هنا، ولكنه لم يجد أي شيء.

فكّر في الجلوس على السرير، لكنه عرف أنه إذا فعل، سينام ولن يستيقظ ربما قبل الصباح، ولذلك توجه إلى الحمام وغسل وجهه بالماء البارد، ومشط قصته القصيرة بمشط رطب. شعر بالألم في عظامه وبدا دمــه كثيفاً مثل اللبن المملّت، وكانت عيناه غارقتين وحمراوين، فيما بــشرته رمادية. غسل وجهه بالمزيد من الماء البارد ثم جففه وتوجه إلى الخارج نحو المجمّع الرئيس.

لا أحد.

بدأ الهواء يسخن، ويصبح رطباً ودبقاً، وبدأت الصراصير والزيزان تطلق أصواتها. تجول تيدي في المكان، على أمل أن يكون تشاك وصل قسبله نسوعاً ما، ويفعل ربما الشيء نفسه، يتجول في المكان إلى حين الارتطام بتيدي.

ثمــة حارس على البوابة، واستطاع تيدي رؤية الأنوار في الغرف، لكن باستثناء ذلك، كان المكان فارغاً. شق طريقه إلى استشفى وصعد

الــسلالم وفتح الباب، لكنه وجد أنه مقفل. سمع صليل مفاصل ونظر فــرأى أن الحــارس فــتح البوابة وخرج لينضم إلى صديقه في الجهة الأخــرى، وحــين أغلقت البوابة مجدداً، استطاع تيدي سماع حذائه يكشط على أرض الباطون، فيما تراجع بعيداً عن الباب.

جلس على الدرج لدقيقة. هذا كثير نسبة إلى نظرية نويس. الآن تسيدي، ومن دون أي شك، لوحده تماماً. إنه محبوس، نعم. وإنما غير مراقب، حسبما يعلم.

تسوجه إلى الجهـــة الخلفية للمستشفى وصدره ممتلئ، حين رأى ممرضاً يجلس على المنبسط الخلفي يدخن سيجارة.

اقترب تيدي، ونظر إليه الولد، الذي كان ولداً أسود نحيلاً. سحب تيدي سيحارة من حيبه وقال: "لديك قدّاحة؟".

"طبعاً".

انحسنى تيدي إلى الأمام، فيما أشعل له الولد السيحارة، وابتسم له ابتسامة الشكر ثم تراجع إلى الخلف، وتذكر ما قالته له المرأة عن تدخين سحائرهم، وجعل الدخان ينبعث ببطء من فمه من دون أن يستنشقه.

قال: "كيف حالك الليلة؟".

"بخير. وأنت سيدي؟".

"أنا بخير. أين الجميع؟".

مــد الـــولد إبهامــه خلفه. "هناك. ثمة احتماع كبير. لا أعرف عماذا".

"كل الأطباء والممرضات؟".

أوماً الولد برأسه. "بعض المرضى أيضاً. معظم الحرّاس. أنا علقت هسنا مع هذا الباب، لأن القفل لا يعمل حيداً. وإلا لكنت هناك أيضاً. نعم الجميع هناك".

مــج تيدي سيجارته مرة جديدة، وأمل ألا يلاحظ الولد ذلك. تــساءل إذا كــان يجدر به شق طريقه عبر السلالم، على أمل أن يظنه الولد حارساً آخر، واحداً من الجناح ج ربما.

ثم رأى عـــبر الــنافذة، الـــتي خلف الولد، أن القاعة تمتلئ، وأن الأشخاص يتوجهون إلى الباب الأمامي.

شكر الولد على القدّاحة وتوجه إلى الأمام، والتقى بمجموعة من الأشخاص يجتمعون هناك، يتحدثون ويشعلون السجائر. رأى الممرضة مارين وقول شيئاً لتراي واشنطن، ووضعت يدها على كتفه، وحين فعلت، أرجع تراي رأسه إلى الخلف وضحك.

بـــدأ تـــيدي المـــشي نحوهما حين ناداه كاولي من الأعلى: "أيها المار شال!".

استدار تـــيدي ونـــزل كاولي عن السلالم وجاء صوبه، ولمس مرفق تيدي، وبدأ يمشي نحو الجدار.

قال كاولى: "أين كنت؟".

"أتجول. أنظر إلى جزيرتكم".

"حقاً؟".

"حقاً".

"هل وحدت شيئاً ممتعاً؟".

"جرذاناً!".

"حسناً، طبعاً، هناك الكثير منها".

قال تيدي: "كيف حال تصليح السقف؟".

تـنهد كاولي. "ثمة أوعية في كل أرجاء منـزلي لاستيعاب الماء المتـساقط. تم الانــتهاء من العلّية. وكذلك من الأرضية في غرفة نوم الضيوف. ستفقد زوجتي صوابحا. كان فستان زفافها في تلك العلمة".

قال تيدي: "أين زوحتك؟".

قال كاولي: "في بوسطن. لدينا شقة هناك. احتاجت هي والأولاد إلى إجازة من هذا المكان فأخذوا إجازة لمدة أسبوع. تفقد أعصابك أحياناً".

"مضى على وجودي هنا ثلاثة أيام حضرة الطبيب وبدأت أفقد أعصابي".

أومأ كاولي برأسه مع ابتسامة لطيفة. "لكنك ستذهب؟".

"أذهب؟".

"إلى المنسزل أيها المارشال. الآن بعد أن تم العثور على راشايل. يصل المركب إلى هنا عادة قرابة الحادية عشرة ظهراً. يفترض أن تصل إلى بوسطن عند الظهر، حسبما أتوقع".

"لن يكون ذلك جميلاً".

"بلى، أليس كذلك؟". مرر كاولي يداً فوق رأسه. "أريد أن أقول لك أيها المارشال، ولا أقصد الإهانة...".

"أوه، ها قد عدنا محدداً".

رفع كاولي يده. "لا. لا آراء شخصية في ما يتعلق بحالتك العاطفية. لا، كنت على وشك القول: إن حضورك هنا سبب الاضطراب للعديد من المرضى. تعرف، وجود الشرطي في المكان. حعل ذلك العديد منهم يشعرون بالتوتر".

"آسف بشأن ذلك".

"ليست هذه غلطتك. إنها ما تمثله، وليس أنت شخصياً".

"أوه، حسناً، هذا يجعل كل شيء على ما يرام إذاً".

اتكأ كاولي على الجدار، ووضع قدماً عليه، وبدا متعباً بقدر تيدي في ثوبه الأبيض المجعد وربطة عنقه الرخوة. "ثمـــة إشاعة في الجناج ج سرت بعد ظهر اليوم تقول: إن رجلاً غير معروفِ يرتدي ثياب ممرض كان في الطابق الرئيس".

"حقاً؟".

نظر إليه كاولي. "حقاً".

"كيف حصل ذلك؟".

أمسك كاولي بربطة عنقه وأفلتها بأصابعه. "يقال إن غريباً يملك، على ما يبدو، خبرة في إخضاع الرجال الخطيرين".

"لا تقل لى ذلك".

"أوه، بلي، بلي".

"ماذا فعل ذلك الغريب؟".

"حسناً". مدد كاولي كتفيه إلى الخلف وخلع ثوبه الأبيض، ولفه فوق ذراعه. "أنا مسرور لأنك مهتم".

"هاي، لا شيء أفضل من الإشاعة الصغيرة".

"أوافقـــك الرأي. يقال إن الغريب – ولا أستطيع توكيد ذلك – أجرى محادثة طويلة مع شخص مصاب بانفصام الشخصية اسمه حورج نويس".

قال تيدي: "هممم".

"حقاً".

"إذاً، هذا...".

قال كاولى: "نويس".

كــرر تيدي: "نويس. نعم، ذلك الرجل، هو مريض وهم، أليس كذلك؟".

قال كاولي: "إلى أقصى الحدود. إنه يدور في مكانه ويخبر قصصاً ويجعل الجميع مضطربين...".

"ها قد استخدمت الكلمة محدداً".

"أنا آسف. حسناً، نعم، إنه يجعل الأشخاص في مزاج سيئ. في الواقع، قبل أسبوعين جعل الأشخاص مضطربين جداً لدرجة أن مريضاً ضربه".

"تخيل ذلك".

هزّ كاولى كتفه. "يحصل هذا".

سأل تيدي: "إذاً، أي نوع من القصص؟ أي نوع من الأخبار؟".

لوّح كاولي في الهواء. "الأوهام الرهابية العادية. إن العالم كله يسعى وراءه وما شابه". نظر إلى تيدي، فيما أشعل سيجارة، وأشرقت عيناه مع اللهبة. "إذاً، ستغادر".

"أظن ذلك".

"في أول مركب".

وجه إليه تيدي ابتسامة جامدة. "شرط أن يوقظنا أحد".

ردّ له كاولي الابتسامة. "أظن أننا نستطيع تدبر ذلك".

"رائع".

قال كاولى: "رائع. هل تريد سيجارة؟".

رفع تيدي يده أمام العلبة. "لا، شكراً".

"هل تحاول الإقلاع؟".

"أحاول التخفيف".

"هـــذا شيء حيد ربما. كنت أقرأ في الصحف كيف يرتبط التبغ بمجموعة من الأمور المربعة".

"حقاً؟"

أومأ برأسه قائلاً: "السرطان واحد منها حسبما سمعت".

"هناك الكثير من الطرائق للموت هذه الأيام".

"صحيح. لكن هناك المزيد والمزيد من الطرائق للشفاء". "هل تظن ذلك؟".

"لما كنت زاولت هذه المهنة". نفخ كاولي الدخان فوق رأسه.

قــال تــيدي: "هــل جــاءكم يوماً إلى هنا مريض اسمه آندرو لايديز ؟".

أخفض كاولي ذقنه نحو صدره قائلاً: "لا يعني لي الاسم شيئاً".

هزّ كاولى كتفه. "وهل يفترض ذلك؟".

هزّ تيدي رأسه. "كان رجلاً أعرفه. إنه...".

"كيف؟".

"ماذا كيف؟".

"كيف تعرفه؟".

قال تيدي: "في الحرب".

"أوه".

"على كل حال، سمعت أنه أصيب بالجنون قليلاً، وتم إرساله إلى

هنا".

مجّ كاولي سيجارته ببطء وقال: "سمعت خطأ".

'هذا ما يبدو".

قـــال كـــاولي: "يحصل ذلك. ظننت أنني سمعتك تقول: نحن قبل لحظة".

"ماذا؟".

قال كاولي: "نحن. استخدمت صيغة الجمع".

وضع تيدي يده على صدره. "بالإشارة إلى نفسي؟".

أومأ كاولي برأسه. "ظننت أنك قلت شرط أن يوقظنا أحد".

"حسناً، صحيح. هل رأيته بالمناسبة؟".

رفع له كاولي حاجبه.

قال تيدي: "هيا. هل هو هنا؟".

ضحك كاولي ونظر إليه.

قال تيدى: "ماذا؟".

هز كاولى كتفه. "أنا فقط مرتبك".

"مرتبك من ماذا؟".

"منك أيها المارشال. هل هذه نكتة غريبة منك؟".

قال تيدي: "أي نكتة. أريد أن أعرف فقط إذا كان هنا".

"من؟". سأل كاولى وظهر اليأس في صوته.

"تشاك".

"تشاك؟". قال كاولى ببطء.

قال تيدي: "شريكي. تشاك".

ابتعد كاولي عن الجدار، والسيجارة بين أصابعه وقال: "ليس لديك شريك أيها المارشال. حئت إلى هنا لوحدك".

قال تيدي: "انتظر دقيقة...".

وجد كاولي، الذي بات أقرب الآن، يحدق إليه.

أغلق تيدي فمه، وأحسّ بليل الصيف يتغلغل في جفنيه.

قال كاولي: "أخبرني مجدداً. عن شريكك".

كانت نظرة كاولي الفضولية أغرب شيء رآه تيدي. نظرة ثاقبة وذكية وخالية تماماً من التعابير. إنها نظرة الرجل المستقيم الذي يدعي أنه لا يعرف من أين أتت الضربة.

وكـــان تـــيدي بمثابة أولي أمام ستان. وهو مهرّج يرتدي برميلاً خشبياً بمثابة سروال مع حمالات رخوة. آخر شخصية في المسرحية.

"أيها المارشال؟". تقدم كاولي خطوة صغيرة إضافية إلى الأمام، مثل الرجل الذي يطارد فراشة.

إذا عــارض تيدي، إذا أصر على معرفة أين هو تشاك، إذا ناقش حتى فكرة وجود تشاك، يكون أصبح لعبة بين أيديهم.

التقت عينا تيدي بعيني كاولي ورأى الضحكة فيهما.

قال تيدي: "الرجال المجانين ينكرون ألهم مجانين".

خطوة أخرى. "عفواً؟".

"بوب ينكر أنه محنون".

شبك كاولي ذراعيه فوق صدره.

قال تيدي: "إذاً، بوب محنون".

تراجع كاولي إلى الخلف وارتسمت الآن الابتسامة على وجهه. ارتسمت ابتسامة أيضاً على وجه تيدي.

وقفا هناك على هذا النحو لبعض الوقت، وتحرك نسيم الليل بين الأشجار فوق الجدار.

"أنت تعرف". قال كاولي وهو يحرك العشب بقدميه، ورأسه إلى الأسفل: "أسست شيئاً مهماً هنا. لكن الأشياء المهمة يساء فهمها أيضاً في زمنها. يرغب الجميع في حل سريع. لقد تعبنا من الخوف، تعبنا من الحزن، تعبنا من الشعور بالإرهاق، تعبنا من الإحساس بالتعب. نريد أن تعود الأيام القديمة، من دون أن نتذكرها حتى، ونريد في المقابل التقدم في المستقبل بسرعة فائقة. الصبر يصبح من أول أضرار التقدم. ليس هذا خربراً جديداً. ليس خبراً على الإطلاق. لطالما كانت الأمور كذلك". رفع كاولي رأسه. "بقدر ما أملك عدداً كبيراً من الأصدقاء أصحاب النفوذ، إلهم أشخاص يريدون تحطيم ما أسسته من سيطرتي. لا أسمح بذلك من دون معركة. هل تفهم؟".

قال تيدي: "أوه أفهم، دكتور".

"جيد". فتح كاولي ذراعيه. "ماذا عن شريكك؟".

قال تيدي: "أي شريك؟".

كـــان تـــراي واشنطن في الغرفة حين عاد تيدي، مستلقياً على السرير يقرأ عدداً قديماً من مجلة *الحياة*.

نظر تيدي إلى سرير تشاك. تم ترتيب السرير، ووضع الشرشف مـع البطانية بشكل مرتب بحيث لا تعرف أبداً أن شخصاً نام هنا قبل ليلتين.

أعيدت سترة تيدي وقميصه وربطة عنقه وسرواله من المصبغة وحرى تعليقها في الخزانة تحت كيس بلاستيكي، فخلع ملابس الممرض وارتدى ملابسه النظيفة، فيما قلّب تراي الصفحات اللامعة للمجلة.

"كيف حالك الليلة أيها المارشال؟".

"بخير".

"هذا جيد، هذا جيد".

لاحـــظ أن تراي لم ينظر إليه، وإنما أبقى عينيه على المحلة، وقلّب الصفحات نفسها مراراً وتكراراً.

نقـــل تـــيدي محتويات جيوبه، ووضع استمارة دخول لايديز في الجيب الداخلي لمعطفه مع دفتره الصغير. جلس على سرير تشاك قبالة تراي وربط ربطة عنقه، وربط حذاءه، ثم جلس هناك بهدوء.

قلب تراي صفحة أخرى من الجلة. "سيكون الطقس حاراً غداً". "حقاً؟".

"سيكون حارًّا جداً. لا يحب المرضى الحرّ".

."?Y"

هـز رأسـه، وقلب صفحة أخرى. "لا، سيدي. يجعلهم جميعاً يـشعرون بالحكاك والمزاجية. سيكتمل البدر ليلة غد أيضاً. وهذا يجعل الأمور أسوأ بكثير. كل ما نحتاج إليه".

"لماذا؟".

"ماذا أيها المارشال؟".

"البدر المكتمل. هل تظن أنه يجعل الناس محانين؟".

"أعرف ذلك". وجد طيّة في إحدى الصفحات واستخدم سبابته لتسويتها.

"كيف؟".

"حسناً، فكّر في الأمر. يؤثر القمر في المدّ، أليس كذلك؟". "طبعاً".

"يملك نوعاً من التأثير المغنطيسي في الماء".

"أوافقك على ذلك".

قال تراي: "الدماغ البشري يتألف بنسبة 50 بالمئة من الماء".

"لا تمز ح؟".

"لا أمزح. تصور أن السيد القمر يستطيع التحكم في كل المحيط، فتصور ما يمكن أن يفعله بالرأس".

"كم مضى على وجودك هنا، سيد واشنطن؟".

انتهى من تسوية الطية في الصفحة، ثم قلب الصفحة. "أوه، زمن طويل. منذ أن تركت الجيش في العام 46".

"كنت في الجيش؟".

"نعم. ذهبت إلى هناك لحمل مسدس فأعطوني شراباً مسكراً. حاربت الألمان بالطبخ السيئ، سيدي".

قال تيدى: "هذا هراء".

"كان هذا هراء سيدي، نعم. أخذونا إلى الحرب التي كان يفترض أن تنتهى بحام 44".

"لن تحصل على جواب مني".

"لقد ذهبت إلى أماكن شتى، أليس كذلك؟".

"نعم، صحيح. رأيت العالم".

"ما رأيك في ذلك؟".

"لغات مختلفة، لكن الحقارة هي نفسها".

"نعم، هذه هي الحقيقة، صحيح؟".

"هل تعرف ماذا قال لي آمر السجن الليلة، سيد واشنطن؟".

"ماذا أيها المارشال؟".

"زنجي".

رفع تراي عينيه عن المحلة. "ماذا؟".

أومأ تيدي برأسه. "قال إن هناك العديد من الأشخاص الحقيرين في هـــذا العالم. من طينة الوحل، إلهم زنوج، متخلفون. قال إنني مجرد زنجي بالنسبة إليه".

"لم يعجبك ذلك، صحيح؟". قهقه تراي، واختفى الصوت ما إن غادر فمه. "لكنك لا تعرف ماذا يعني أن تكون زنجياً".

"أنا أعى ذلك، تراي. لكن هذا الرجل مديرك".

"لسيس مديري. أنا أعمل للمستشفى في نهاية المطاف. الشرير الأبيض! إنه في جانب السجن".

"يبقى مديرك".

"لا، ليس كذلك". اتكأ تيدي على مرفقه. "هل تسمع؟ أقصد، هل اتضحت المسألة بيننا حول هذه النقطة أيها المارشال؟".

هزّ تيدي كتفه.

أنــــزل تراي ساقيه عن السرير وجلس. "هل تحاول أن تجعلني بمنوناً سيدي؟".

هزّ تيدي رأسه.

"إذاً، لماذا لا توافقني الرأي حين أخبرك أنني لا أعمل لدى ذلك الشرير الأبيض؟".

هـــزّ تيدي بكتفه مرة أحرى. "باختصار، إذا جاء إليك وأصدر الأوامر ستقفز لتنفيذها!".

"ماذا؟".

"تقفز. مثل الأرنب".

مــرر تــراي يــده بمحاذاة فكه، وتأمل تيدي مع ابتسامة عدم تصديق.

قال تيدي: "لم أقصد الإهانة".

"أوه، لا، لا".

"لاحظت فقط أن الأشخاص في هذه الجزيرة يملكون طريقة لابتكار حقيقتهم الخاصة. يتصورون ألهم إذا قالوها مرات عدة، تصبح عندها صحيحة".

"أنا لا أعمل لهذا الرجل".

أشار تيدي إليه. "نعم، هذه حقيقة الجزيرة التي أعرفها وأحبها". بدا تراي مستعداً لضربه.

قال تدين: "انظر، عقدوا اجتماعاً الليلة. وبعد ذلك، جاء الدكتور كاولي وأخبرني أنه لم يكن لديّ شريك أبداً. وإذا سألتك، ستقول لي الشيء نفسه. ستنكر أنك جلست مع الرجل، ولعبت البوكر مع السرجل، وضحكت مع الرجل. ستنكر أنه قال لك إن السركض أسرع كان الطريقة الواجب اعتمادها مع عمتك العجوز. ستنكر أنه نام هنا في هذا السرير. أليس كذلك سيد واشنطن؟".

نظر تراي إلى الأرض. "لا أعرف عما تتكلم أيها المارشال".

"أوه، أعرف أعرف. لم يكن لديّ شريك أبداً. هذه هي الحقيقة الآن. تم تقريرها. لم يكن لديّ شريك أبداً، وهو ليس في مكان ما، في هذه الجزيرة مصاباً بأذى، أو ميتاً، أو محبوساً في الجناح ج أو في المنارة. لم يكن لديّ شريك أبداً. تريد أن تكرر ذلك ورائي كي نكون واضحين؟ لم يكن لديّ أبداً شريك، هيا، حرّب".

نظر تراي إلى الأعلى. "لم يكن لديك أبداً شريك".

قال تيدي: "وأنت لا تعمل لصالح آمر السجن".

شــبك تراي يديه فوق ركبتيه. نظر إلى تيدي ولاحظ تيدي أنه يستشيط غضباً. أصبحت عيناه رطبتين، وارتجف اللحم حول ذقنه. همس: "عليك الخروج من هنا".

"أدرك ذلك".

"لا". هز تراي رأسه مرات عدة. "لا تملك فكرة عما يجري فعلاً هــنا. انسَ ما سمعته. انسَ ما تظن أنك تعرفه. سينالون منك. ولا مجال لعودة عما سيفعلونه لك. لا مجال أبداً للعودة عما سيفعلونه لك. لا مجال أبداً للعودة".

قال تيدي: "أخبرني". لكن تراي كان يهز رأسه محدداً. "أخبرني ماذا يجرى هنا".

"لا أستطيع فعل ذلك. لا أستطيع. انظر إليّ". ارتفع حاجبا تراي واتسعت عيناه. "أنا. لا أستطيع. فعل. ذلك. أنت لوحدك. ولن أكون في الانتظار على أي مركب".

قهقــه تــيدي. "لا أستطيع حتى الخروج من هذا المجمع، فكيف بالأحرى من هذه الجزيرة. وحتى لو استطعت، فإن شريكي...".

همس تراي: "انسَ أمر شريكك. لقد رحل. هل فهمت؟ لن يعود أبـداً أيهـا الرجل. عليك فهم ذلك. عليك الانتباه إلى نفسك، وإلى نفسك فقط".

قال تيدي: "تراي. أنا محبوس!".

وقف تراي وذهب إلى النافذة، ونظر إلى الخارج، إلى الظلمة، أو إلى انعكاسه الخاص، ولم يعرف تيدي بالضبط.

"لا يمكنك العودة أبداً. لا يمكنك أن تخبر أحداً أنني قلت لك أي شيء".

انتظر تيدي.

نظر تراي إليه فوق كتفه. "هل اتفقنا؟".

قال تيدى: "اتفقنا".

"سيكون المركب هنا غداً في تمام العاشرة. يغادر إلى بوسطن في تمام الحادية عشرة. إذا أراد رجل الاختباء في ذلك المركب، قد يستطيع فعل ذلك عبر المرفأ. وإلا، سيضطر الرجل إلى الانتظار يومين أو ثلاثة أيام إضافية لتأتي سفينة صيد، اسمها بيتسي روس، بحيث تقترب فعلاً من المشاطئ الجنوبي، وتنسزل بعض الأغراض". نظر محدداً إلى تيدي. "أغراض لا يفترض بالرجال امتلاكها على هذه الجزيرة. إلا أن السفينة لا تقترب كثيراً. لا، سيدي. لذا، يتوجب على الرجل السباحة للوصول إليها".

قــال تيدي: "لا أستطيع البقاء ثلاثة أيام إضافية لعينة على هذه الجزيرة. أنا لا أعرف الأرض. لكن لا شك في أن آمر السحن ورجاله يعرفونها حيداً. سيعثرون على".

لم يقل تراي أي شيء لبعض الوقت.

قال في النهاية: "إذاً، عليك الهروب في المركب".

"المركب. لكن كيف أخرج من الجحمّع؟".

قال تراي: "اللعنة! قد لا تصدق ذلك، لكنه يوم حظك. لقد أفسدت العاصفة كل شيء، وخصوصاً الأنظمة الكهربائية. لقد أصلحنا الآن معظم الأسلاك في الجدار. معظمها".

قال تيدي: "ما الأقسام التي لم تصلحوها بعد؟".

"الـزاوية الجنوبية الغربية، الأسلاك معطلة هناك، تماماً حيث يلتقـي الجـداران في زاويـة من تسعين درجة. أما بقية الأسلاك فتـشويك مثل الدجاجة، ولذلك لا تحاول التمدد للإمساك بها. هل سمعتن؟".

"سمعتك".

أومـــا تـــراي برأسه لانعكاسه. "أقترح عليك أن تسرع. الوقت بنفد".

وقف تيدي وقال: "تشاك".

صرخ تراي: "لا يوجد تشاك، حسناً؟ لم يكن موجوداً أبداً. عد إلى العالم، وتحدث عن تشاك مثلما تريد. لكن هنا، لم يوجد الرجل أبداً".

خطر لتيدي، فيما كان أمام الزاوية الجنوبية الغربية للحدار، أن تراي يكذب ربما. إذا وضع تيدي يداً على تلك الأسلاك، وأحكم قبضته، وكانت مسزودة بالتيار الكهربائي، سيعثرون على جثته في السصباح أمام الجدار، متفحمة مثل شريحة لحم الشهر الماضي. حلت المشكلة. يصبح تراي الموظف العام، مع ساعة ذهبية جميلة ربما.

فتش حوله إلى أن عثر على قضيب طويل، ثم استدار نحو قسم من السلك إلى يمين الزاوية. قفز أمام الحائط، ووضع قدماً عليه، ووثب إلى الأعلى. مسرر القصيب فوق السلك، واشتعل السلك في لهبة قوية واحترق القضيب. عاد تيدي إلى الأرض ونظر إلى القضيب الخشبي في يده. انطفأت اللهبة، لكن الخشب احترق.

جــرّب مجدداً، هذه المرة في السلك الموجود إلى الجهة اليمني من الزاوية؛ لا شيء.

جلــس على الأرض محدداً، أخذ نفساً، ثم قفز فوق يسار الجدار، وضرب السلك محدداً، ومحدداً، لا شيء.

ثمــة عمود معدي فوق، حيث يلتقي بالجدار، واحتاج تيدي إلى الـركض ثلاث مرات نحو الجدار قبل أن يحكم قبضته. أحكم قبضته حــيداً وتــسلق إلى أعلى الجدار، وارتطمت كتفاه بالسلك وارتطمت

ركبتاه بالسلك، وارتطمت ذراعاه بالسلك، وفي كل مرة، كان يظن أنه مات.

لكنه لم يمت. وحين وصل إلى الأعلى، لم يعد عليه فعل الكثير سوى خفض نفسه، والنزول إلى الجهة الأخرى.

وقف بين الأوراق ونظر إلى أشكليف.

لقد حاء إلى هنا لكشف الحقيقة، ولم يجدها. جاء إلى هنا من أجل لايديز، ولم يجده أيضاً. وفي أثناء ذلك، أضاع تشاك.

سيكون لديه الوقت للندم على كل ذلك حين يعود إلى بوسطن. الوقت للشعور بالذنب والعار. الوقت للتفكير في خياراته والتشاور مع السيناتور هورلي، والعودة مع خطة للهجوم. سيعود، بسرعة، لا مجال أبداً للـشك في ذلك. وسيكون ربما مدعوماً بمساعدين ومفتشين فدراليين. وسيكون لديهم مركبهم الخاص. سيكون حينها غاضباً. سيكون محقاً في غضبه.

لكنه الآن يشعر بالارتياح، لأنه ما زال حياً، وفي الجهة الأخرى من الجدار.

إنه مرتاح، وخائف.

* * *

احــتاج إلى ساعة ونصف الساعة للعودة إلى الكهف، لكن المرأة غــادرت. انطفأت نارها وتحولت إلى رماد، وجلس تيدي قربها بالرغم من أن الهواء في الخارج كان دافئاً على غير عادة، ويصبح أكثر رطوبة مع تقدم الساعات.

انتظرها تيدي، على أمل أن تكون خرجت لإحضار بعض الأخيشاب، لكنه عرف، في قلبه، أنما لن تعود. تظن ربما أنه تم إلقاء القيبض عليه، وهو في هذه الساعة يخبر آمر السحن وكاولي عن مكان

اختـبائها. ربما - بالرغم من أن هذا كثير للأمل به، لكن تيدي سمح لنفـسه بهذا الأمل - عثر عليها تشاك وذهبا معاً لموقع، تظن أنه أكثر أماناً.

حــين انطفــأت النار كلياً، خلع تيدي سترته ولفها فوق صدره وكتفيه ووضع رأسه على الجدار. وكما في الليلة السابقة، كان إبهاماه آخر ما رآه قبل أن ينام.

بدأا يرتحفان.

اليوم الرابع

البحار السيئ

كانــوا في مطــبخ، والمعاطف على علاّقات، وأخذ والد تيدي معطفه القديم المنقط وأدخل فيه ذراعيه، ثم ساعد دولوريس على ارتداء معطفها وقال لتيدي: "هل تعرف ماذا أحب لذكرى الميلاد؟".

"لا، أبـــي".

"مزمار قربة".

وفهم تيدي أن ذلك يعني قضبان غولف وكيس غولف. قال: "تماماً مثل آيك".

"بالضبط". قال والده وأعطى تشاك معطفه.

ارتدى تشاك معطفه. كان معطفاً جميلاً، من الكاشمير. اختفت ندبة تشاك، لكنه ما زال يملك تلك اليدين الدقيقتين ومدّهما أمام تيدي، وحرّك أصابعه.

قال تيدي: "هل ذهبت مع تلك المرأة الطبيبة؟".

هزّ تيدي رأسه. "أنا مثقف أكثر من ذلك. ذهبت إلى حلبة السباق".

"رب*ح*ت؟".

"خسرت كثيراً".

"آسف".

قال تشاك: "قبّل زوجتك قبلة الوداع. على الوجنة".

انحـــنى تـــيدي أمام أمه وكان توتي فيسيلي يبتسم له بفم دموي، وقبّل وجنة دولوريس وقال: "صغيرتي، لماذا أنت مبللة كلك؟".

"أنا جافة مثل العظام". قالت لوالد تيدي.

قال والد تيدي: "لو كنت بنصف عمري، لتزوجتك أيتها الفتاة". كانـــوا جمــيعاً مبللين، حتى أمه، وحتى تشاك. تساقط الماء من معاطفهم على الأرض.

أعطاه تشاك ثلاثة حذوع وقال له: "للنار".

"شكراً". أخذ تيدي الجذوع ثم نسي أين يجدر به وضعها.

فركت دولوريس معدتما وقالت: "أرانب لعينة. ما فائدتما؟".

دخل لايديز وراشايل سولاندو إلى الغرفة. لا يرتديان معطفين. لا يسرتديان أي شيء على الإطلاق، ومرّر لايديز قنينة من الشراب فوق رأس والدة تيدي ثم أخذ دولوريس بين ذراعيه، وشعر تيدي بالغيرة، دخل لايديز ودولوريس إلى غرفة النوم، واستطاع تيدي سماعهما هناك على السرير، يخلعان ملابسهما، يتنفسان بقوة، وبدا كل شيء رائعاً ومثالياً.

كان آمر السجن ورجاله على قمة الجبل فوقه. لقد أشرقت الشمس. صرخت طيور النورس.

نظر تيدي إلى ساعته: الثامنة صباحاً.

قال آمر السحن: "لا تجازفوا أبداً. هذا الرجل مدرّب على القتال، محــرّب في القتال، ومتمرّس في القتال. يملك القلب الأرجواني ووسام الشجاعة بامتياز. قتل رجلين في صقلية بيديه العاريتين".

عرف تيدي أن هذه المعلومات موجودة في ملفه الشخصي. لكن كيف وصل إلى ملفه الشخصي؟

"إنه بارع في استعمال السكين، وبارع جداً في القتال اليدوي. لا تقتــربوا مــن هذا الرحل. إذا أتيحت لكم الفرصة، ضعوه أرضاً مثل كلب بساقين".

وجد تيدي نفسه يبتسم رغماً عن وضعه. كم مرة واحه رجال آمر السجن مقارنات الكلب بساقين؟

نـــزل الحرّاس إلى جانب وجه الجرف الأصغر بواسطة الحبال، وترك تيدي بعيداً عن الحافة وراقبهم وهم يشقون طريقهم إلى الأسفل نحو الشاطئ. بعد دقائق قليلة، تسلقوا الجرف محدداً وسمع تيدي أحدهم يقول: "ليس في الأسفل، سيدي".

أصغى إليهم لبعض الوقت، فيما فتشوا قرب قنة الجبل والطريق، ثم ابتعدوا وانتظر تيدي ساعة كاملة قبل أن يغادر الكهف، منتظراً للستأكد من أن أحداً لم يعد أدراجه، وأعطى حفلة البحث وقتاً كافياً بحيث لا يرتطم بهم.

كانـــت الساعة تشير إلى التاسعة وعشرين دقيقة حين وصل إلى الطريق ومشى باتجاه الغرب، محاولاً الحفاظ على وتيرة سريعة، وإنما مع الإصغاء إلى الرجال المتحركين أمامه أو خلفه.

كان تراي محقاً في توقعاته للطقس. فالطقس حار مثل الجحيم، ونرع تيدي سترته وطواها فوق ذراعه. أرخى ربطة عنقه ما يكفي للسحبها فوق رأسه ووضعها في جيبه. كان فمه حافاً مثل ملح الصخور، وأحس بالحكاك في عينيه من العرق.

رأى تشاك مجدداً في حلمه، وهو يرتدي معطفه، وآلمته الصورة أكثر مسن صورة لايديز مع دولوريس. إلى حين ظهور راشايل ولايديز، كان الجميع في ذلك الحلم أمواتاً. باستثناء تشاك. لكنه أحضر معطفه، من محموعة العلاقيات نفسها، ولحق بهم خارج الباب. كره تيدي ما يمثله ذلك. إذا عثروا على تشاك في قنة الجبل، فإلهم يجرونه بعيداً ربما، فيما يشق تسيدي طريقه خارج الحقل. وأياً كان الشخص الذي عُثر عليه، لا بد أن يكون بارعاً حداً في مهنته، لأن تشاك لم يطلق حتى صرحة واحدة.

ما مقدار القوة اللازم لجعل مارشالين أميركيين يختفيان وليس لجعل مارشال واحد فقط؟

قوة هائلة.

وإذا كانت الخطة تقضي بجعل تيدي مجنوناً، لا يمكن تطبيق الخطة نفسها على تشاك. لن يصدق أحد أن مارشالين أميركيين فقدا عقلهما في الأيام الأربعة نفسها. لا بد إذاً، أن يتعرض تشاك لحادث. في الإعصار ربما. في الواقع، إذا كانوا أذكياء فعلاً، ويبدو ألهم كذلك، سيتم تصوير موت تشاك على أنه الحادث الذي دفع تيدي لمرحلة اللاعودة.

مُه تناسق لا يمكن إنكاره في الفكرة.

لكن، إذا لم يهرب تيدي من هذه الجزيرة، لن يقبل المكتب الميداني القصة أبداً، مهما كانت منطقية، من دون إرسال مارشالات آخرين إلى هناك للتحقق بأنفسهم.

وماذا سيجدون؟

نظر تيدي إلى الارتعاشات في معصميه وإهاميه. أصبحت أسوأ حالاً. ولم يكن دماغه صافياً بعد نوم ليلي. شعر بالارتباك والبلادة. إذا كانت المخدرات قد أعطت مفعولها في الوقت الذي يصل فيه رجال المكتب الميداني إلى هنا، سيجدون ربما تيدي يتسكع في ثوب الاستحمام، ويخرج البراز حيث يجلس. وستتم المصادقة على الحقيقة التي ابتكرتها آشكليف.

سمع المركب يطلق صفارته فرفع حسمه في الوقت المناسب، ليرى أن المركب أنهى برمته في المرفأ وبدأ يتراجع إلى الخلف باتجاه الرصيف. أسرع في خطاه، وبعد عشر دقائق استطاع رؤية الجهة الخلفية لقصر كاولي عبر الغابة.

انحرف عن الطريق ودخل في الغابة، وسمع الرجال يفرغون المركب، مع تكديس الصناديق فوق بعضها على الرصيف، وصليل السلاسل المعدنية والخطى السريعة على الألواح الخشبية. وصل إلى الصف الأخير من الأشجار ورأى عدة عمال على الرصيف، فيما اثنان من ملاّحة المركب يتكآن على الجزء الخلفي من المركب. رأى حراساً، الكثير من الحراس، وهم يحملون البنادق على أوراكهم، وأجسادهم باتجاه الغابة، فيما عيوهم تتفحص الأشجار والأرض المؤدية إلى آشكليف.

حين انتهى العمال من إفراغ الحمولة، أعادوا معهم العربات السصغيرة إلى الرصيف، لكن الحرّاس بقوا، وعرف تيدي أن مهمتهم الوحيدة هذا الصباح هي التأكد من عدم وصوله إلى ذلك المركب اللعين.

مشى في الغابة وخرج منها للوصول أمام منزل كاولي. استطاع سماع الرحال في الطابق العلوي من المنزل، ورأى أحدهم على السسقف، يدير ظهره لتيدي. وجد تيدي السيارة في المرآب، في الجهة الغربية من المنزل. إلها سيارة بويك رودماستر موديل 47، بنية، مع فرش من الجلد الأبيض. مصقولة ولامعة في اليوم الذي تلا العاصفة. سيارة جميلة.

فــتح تيدي باب السائق واستطاع شمّ رائحة الجلد، كما لو أن عمره يوم واحد فقط. فتح الصندوق الأمامي وعثر على عدة علب من أعواد الثقاب فأخذها كلها.

ســحب ربطة عنقه من جيبه، ووجد حجراً صغيراً على الأرض، فــربط الطــرف الضيق من ربطة العنق حول هذا الحجر. رفع لوحة الــسيارة وفتح غطاء خزان الوقود، ثم أدخل ربطة العنق مع الحجر في الخزان إلى أن بقي فقط القسم الأمامي من ربطة العنق المطبع بالأزهار، كما لو أنها متدلية من عنق رجل.

تذكر تيدي كيف أعطته دولوريس ربطة العنق هذه، ومررتما أمام عينيه وهي جالسة في حضنه.

همس في نفسه: "أنا آسف حبيبتي. أحبها لأنك قدمتها إلى. لكن الحقيقة هي أنها ربطة عنق لعينة بشعة!".

ابتـــسم إلى السماء، كما لو أنه يعتذر منها واستخدم عود ثقاب واحداً لإشعال العلبة كلها، ثم استخدم العلبة لإشعال ربطة العنق. وركض بعدها مثل المجنون.

كان في منتصف الغابة حين سمع صوت انفجار السيارة. سمع الرجال يصرخون، وحين نظر إلى الخلف، استطاع عبر الأشجار رؤية اللهب يتطاير في الأعلى، على شكل كرات، ثم حصلت سلسلة من الانفجارات الصغيرة، مثل المفرقعات النارية، عندما انفجرت النوافذ.

وصل إلى طرف الغابة وخلع معطفه، ووضعه تحت بضع صخور. رأى الحراس ورجال المركب يركضون نحو منزل كاولي، وعرف أنه إذا أراد فعل ذلك، عليه فعله الآن، من دون أي وقت للتفكير في فكرة ثانية، وهذا أمر حيد، لأنه لو فكر في ما سيفعله، لما فعله أبداً.

خرج من الغابة وركض بمحاذاة الشاطئ، وقبل أن يصل إلى الرصيف ويصبح مكشوفاً أمام أي شخص عائد إلى المركب، انعطف إلى اليسار وركض في الماء.

الله، الماء بارد مثل الثلج! أمل تيدي في أن تكون حرارة النهار قد ساعدت على تسخين المياه قليلاً، لكن البرد مرّق حسمه مثل التيار الكهربائي، وأخرج الهواء من صدره. إلا أن تيدي استمر في التقدم إلى الأمام، محاولاً عدم التفكير في ما يوجد في الماء معه؛ سمك إنقليس،

وقاديل بحر، وسلاطعين، وأسماك قرش أيضاً. بدا ذلك سحيفاً لكن تا يدي عرف أن أسماك القرش تهاجم الإنسان في عمق ثلاث أقدام في الماء تقريباً، وهو الآن في هذا العمق، لأن الماء بلغ خصره وبدأ يرتفع أكثر فأكثر، وسمع تيدي أصوات صراخ آتية من منزل كاولي، وتجاهل الحفقان القوي لقلبه وغاص تحت الماء.

رأى الفـــتاة في أحلامـــه، تطفو مباشرة تحته، وعيناها مفتوحتان ومستسلمتان.

هــز رأسه واختفت واستطاع رؤية قعر السفينة أمامه، عبارة عن لــوح أسود سميك يتراقص في الماء الأخضر، فسبح نحوه وأمسك به. تحــرك بمحاذاتــه وصولاً إلى الأمام، ووصل إلى الجهة الأخرى، وأجبر نفــسه على الخروج من الماء ببطء، رافعاً فقط رأسه. أحس بالشمس علــى وجهه، فيما زفر الهواء ثم استنشق الأوكسيجين وحاول تجاهل منظــر ســاقيه المتدليتين تحته في الأعماق، مع كائنات تسبح حولهما، متسائلة عن طبيعتهما، مقتربة منهما لشمّهما...

كان السلم حيث يذكره. مباشرة أمامه، ووضع يده على الحلقة الثالثة وتشبث بها. استطاع سماع الرجال يعودون الآن إلى الرصيف، وسمع أصوات أقدامهم على الألواح الخشبية، ثم سمع آمر السحن يقول: "فتشوا هذا المركب".

"سيدي، لقد غبنا فقط...".

"لقد تركتم مكانكم، وتريدون الآن المناقشة؟".

"لا، سيدي. عذراً، سيدي".

الهــــار السلم في يده، فيما وضع عدة رجال وزلهم على المركب، وسمعهم تيدي يفتشون المركب، وسمع أصوات أبواب تفتح، وأصوات أثاث يتحرك.

انرلق شيء بين فخذيه مثل يد، وصك تيدي أسنانه وأحكم قبضة يده على السلم وأجبر عقله على عدم التفكير في أي شيء، لأنه لا يريد أن يتخيل المشهد. أياً كان الشيء الذي يتحرك، أطلق تيدي تنهيدة.

"سيارتي. لقد فجّر سيارتي اللعينة!". قال كاولي وهو يستشيط غضباً، وبدا منقطع الأنفاس.

قال آمر السجن: "لقد تخطى كل الحدود، حضرة الطبيب".

"اتفقنا أنني أنا من يتحذ القرار".

"إذا خرج هذا الرجل من الجزيرة...".

"لن يخرج أبداً من الجزيرة".

"أنــا واثق من أنك لم تفكر أبداً في أن يحول سيارتك إلى نيران مشتعلة أيضاً. علينا وقف هذه العملية الآن وتخفيف حسارتنا".

"لقد عملت بكد كبير لأستسلم الآن".

ارتفع صدوت آمر السجن. "إذا خرج هذا الرجل من الجزيرة، سيقضى علينا".

ارتفع صوت كاولي للتطابق مع صوت آمر السحن. "لن يخرج أبداً من هذه الجزيرة اللعينة".

لم يـتحدث أي مـنهما لدقيقة كاملة. استطاع تيدي سماعهما يتحركان على الرصيف.

"حــيد، حــضرة الطبــيب. لكن المركب يبقى هنا. لن يغادر الرصيف قبل العثور على ذلك الرجل".

بقي تيدي معلقاً هناك، وقد بدأ البرد يتغلغل في قدميه ويحرقهما. قال كاولى: "يريدون جواباً على ذلك في بوسطن".

> . أغلق تيدي فمه قبل أن تبدأ أسنانه بالاصطكاك.

"إذاً، أعطهم أحوبة. لكن هذا المركب سيبقى هنا".

دغدغ شيء ما الجهة الخلفية لساق تيدي اليسرى. "حسناً، يا آمر السجن".

خطوات في الجزء الخلفي من السفينة.

"ليس هنا، سيدي. لقد فتشنا في كل مكان".

قال آمر السجن: "إلى أين ذهب إذاً؟ هل من فكرة؟".

"اللعنة".

"نعم، حضرة الطبيب؟".

"لقد توجه إلى المنارة".

"خطرت لي تلك الفكرة أيضاً".

"سأعالج المسألة".

"خذ معك بعض الرجال".

"قلت إنني سأعالج المسألة. لدينا رجال هناك".

"ليس ما يكفي".

"قلت إنين سأعالج المسألة".

سمع تيدي حذاء كاولي يشق طريق العودة إلى الرصيف، وأصبح الصوت أكثر نعومة عند الوصول إلى الرمل.

قــال آمر السحن لرحاله: "المنارة أو غير المنارة. لن يذهب هذا المركب إلى أي مكان. حذوا مفاتيح المحرك من القبطان وأحضروها لي".

سبح معظم المسافة المؤدية إلى هناك.

ابــتعد عن المركب وسبح نحو الشاطئ إلى أن أصبح قريباً كفاية من القعر الرملي لاستخدامه، فزحف عليه، لمسافة طويلة كفاية، بحيث

بات قادراً على رفع رأسه من الماء والنظر إلى الخلف. لقد احتاز مئات الياردات واستطاع رؤية الحرّاس يشكلون حلقة حول الرصيف.

انرلق مجدداً تحت الماء وتابع الزحف، عاجزاً عن التحرك بطريقة حرة بسبب الجلبة التي قد يحدثها ذلك، وبعد لحظة، وصل إلى منعطف في الشاطئ فاجتازه ومشى على الرمل، وجلس تحت الشمس وارتجف من البرد. مشى على طول الشاطئ تقريباً، قبل أن يركض في مجموعة من السشجيرات التي دفعته محدداً إلى الماء، وربط حذائيه ببعضهما، وعلقهما حول عنقه وقام بجولة سباحة أخرى، وتصوّر عظام والده في مكان ما من قعر هذا المحيط نفسه، وتصوّر أسماك القرش وزعانفها وذيولها الكبيرة، وأسماك البركودة الضخمة مع أسنالها البيضاء، وعرف أنه يعيش هذه المغامرة، لأنه مضطر إلى ذلك وقد حدّره الماء ولم يعد لديه أي حيار سوى فعل ذلك، وقد يعيد الكرّة مجدداً بعد أيام قليلة حين تصل سفينة بيتسي روس إلى القسم الجنوبي من الجزيرة، وعرف أن الطريقة الوحيدة للتغلب على الخوف هي مواجهته، إذ تعلم ذلك في الحرب، لكن بالرغم من ذلك، حتى لو نجح الآن، لن ينزل أبداً، أبدأ إلى المحيط مجدداً. أحس أن المحيط يراقبه ويلامسه، أحس بعمره، بقدمه قدَم التاريخ المدون، وبافتخاره بمحتوياته.

رأى المـنارة قـرابة الساعة الواحدة. لم يكن واثقاً من ذلك لأن ساعته كانـت في سترة بذلته، إلا أن الشمس كانت تقريباً في الموقع المـصحيح. وصـل إلى الشاطئ مباشرة تحت الجرف العالي واتكاً على صـخرة وعـرض كـل جسمه للشمس إلى أن توقف عن الارتجاف وأصبحت بشرته أقل زرقة.

إذا كان تاشاك هناك في الأعلى، مهما كانت حالته، سيعيده تيدي. ميتاً أو حياً، لن يتركه لوحده.

ستموت.

إنه صوت دولوريس، وعرف أنها محقة. إذا توجب عليه الانتظار يومين لوصول سفينة بيتسي روس، وليس لديه سوى تشاك سليم ويقظ برفقته، لن ينجحا أبداً. سيتم العثور عليهما...

ابتسم تيدي.

... مثل كلاب بساقين.

قــال لدولوريس لا أستطيع تركه. لا أستطيع فعل ذلك. إذا لم أستطع العثور عليه، هذا أمر مختلف، لكنه شريكي.

لقد التقيت به للتو.

يبقى شريكي. إذا كان موجوداً هنا، إذا تعرضوا له بالأذى، إذا حجزوه رغماً عن إرادته، على إخراجه.

حتى لو مت؟

حتى لو متّ.

إذًا، أتمنى ألا يكون موجودًا هنا.

نـزل عن الصخرة وتبع مسار الرمل والأصداف المحتشدة حول الطحالب البحرية، وخطر له أن ما اعتبره كاولي لديه نـزعة إلى الانتحار، ليست بالضبط كذلك. إنما بالأحرى رغبة في الموت. طوال سنوات عدة، لم يستطع التفكير في سبب جيد للعيش. لكنه لم يستطع التفكير أيضاً في سبب منطقي لقتل نفسه. حتى في لياليه الأكثر صعوبة، بدا هذا الخيار مرضياً، محرجاً، مقرفاً.

لكن...

أصبح الحارس فجأة يقف هناك، متفاجئاً بظهور تيدي تماماً، مـــ ثلما كان تيدي متفاجئاً بظهوره، ولا يزال سحاب الحارس مفتوحاً، وبندقيته معلقة وراء ظهره. بدأ الحارس يغلق سحابه في البداية، ثم بدّل

رأيه، لكن تبيدي كان قد وضع حينها قبضة يده على تفاحة آدم الحسارس. أمسك بحنجرته، وانحنى تيدي القرفصاء وضرب بساقه ظهر الحسارس فانقلب الحارس على ظهره، واستقام تيدي وركله مباشرة في الأذن اليمنى، فبرمت عينا الحارس في رأسه، وانفتح فمه.

انحـــنى تـــيدي قـــربه، وأنـــزل رباط البندقية عن كتفه وسحب البندقية من تحته. استطاع سماع الرجل يتنفس. لم يقتله إذاً. وهو يملك الآن سلاحاً.

استخدم السلاح لمواجهة الحارس التالي، ذلك الذي يقف أمام السور. نزع سلاحه، وكان ولداً، صغيراً، فعلاً، وقال الحارس: "هل ستقتلني؟".

"الله، طبعاً لا". قال تيدي، وضغط بكعب البندقية على صدغ الولد.

كان هناك مبنى داخل السور، تحقق تيدي منه في البداية، فعثر فيه على بعض الأسرّة والمحلات السخيفة، وإبريق قهوة قديمة، وبذلتين للحرّاس معلقتين في علاّقة على الباب.

تابع طريقه ووصل إلى المنارة، واستخدم البندقية لفتح الباب، ولم يجد أي شيء في الطابق الأول باستثناء غرفة إسمنتية فارغة، حالية من كل شيء باستثناء العفن على الجدران، وفيها سلم حلزوي مصنوع من الحجارة نفسها المستخدمة في الجدران.

صعد السلالم ووصل إلى غرفة ثانية، فارغة مثل الغرفة الأولى، وعرف أنه لا بد من وجود طابق سفلي هنا، شيء كبير، متصل ربما بباقي المستشفى عبر تلك الممرات، لأنه لغاية الآن، ليس هذا شيئاً سوى منارة.

سمع صوت كشط فوقه وعاد إلى السلالم، وصعد إلى طابق آخر، ووصل إلى باب حديدي ضخم. ضغط عليه برأس البندقية وفتحه.

سمع صوت الكشط مجدداً، واستطاع شمّ رائحة السجائر، وسماع صوت المحيط، والإحساس بالهواء خارجاً، وعرف أنه إذا كان آمر السجن ذكياً كفاية لوضع الحراس على الجهة الأخرى، من هذا الباب، سيكون تيدي ميتاً ما إن يفتح الباب.

اهرب، صغيري.

لا أستطيع.

وكم لاج

لأن كل شيء أوصلني إلى ذلك.

ماذا؟

کل شيء.

لا أفهم كيف...

أنت، أنا، لايديز، تشاك، نويس، ذلك الولد المسكين. كل شيء أوصلني إلى هذا. إما أن يتوقف الآن، أو أتوقف أنا الآن.

إنهما يداه، يدا تشاك، ألم تلاحظ؟

لا. ماذا؟

يداه، تيدي، لا تتطابقان معه.

عرف تيدي ما الذي تقصده. عرف أن هناك شيئاً مهماً بخصوص يسدي تسشاك، ولكنه ليس مهماً، لدرجة أنه يستطيع تبديد المزيد من الوقت في السلالم وهو يفكر في الأمر.

عليّ الدخول الآن عبر هذا الباب، حبيبتي.

حسناً، توخَّ الحذر.

نحو كاولي.

لم يسبدُ كاولي مذهولاً. لم يبدُ خائفاً. نقر بسيجارته على طرف المنفضة الموضوعة أمامه، وقال لتيدي:

"صغيرى، لماذا أنت مبلل كلك؟".

كانت الجدران وراء كاولي مغطاة بشراشف وردية، والزاويا مثبتة بأشرطة لاصقة مجعدة. على الطاولة أمامه، كانت هناك عدة ملفات، وجهاز إرسال لاسلكي، ودفتر تيدي، واستمارة دخول لايديز، وسترة تسيدي. على كرسي موضوع في الزاوية، كانت هناك مسحلة، تعمل حالياً، مع مذياع صغير فوقه متحه نحو الغرفة. مباشرة أمام كاولي، ثمة دفتر أسود له غلاف جلدي. خربش فيه شيئاً وقال: "اجلس".

"ماذا قلت؟".

"قلت اجلس".

"قيل ذلك؟".

"تعرف بالضبط ماذا قلت".

أنــــزل تيدي البندقية عن كتفه لكنه، أبقاها مصوّبة نحو كاولي ودخل الغرفة.

عاد كاولي إلى الخربشة. "إنما فارغة".

"ماذا؟".

"البندقية. لا يوجد رصاص فيها. بعد كل خبرتك في الأسلحة النارية، كيف لم تلاحظ ذلك؟".

فتح تیدي البندقیة وتحقق من محتواها. إنها فارغة. وللتأكد أكثر، صــوّبها نحو الجدار إلى یساره وضغط على الزناد، لكن لم يخرج شيء سوى صوت طقطقة الزناد. قال كاولي: "ضعها في الزاوية".

وضع تيدي البندقية على الأرض وسحب الكرسي بعيداً عن الطاولة لكنه، لم يجلس عليها.

"ماذا يوجد تحت الشراشف؟".

"سنصل إلى ذلك. اجلس. خفف حمولتك. خذ". تمدد كاولي نحو الأرض، وعاد مع منشفة سميكة ومررها إلى تيدي عبر الطاولة. "جفف نفسك قليلاً. ستصاب بالزكام".

جفف تيدي شعره ثم حلع قميصه. رماها في الزاوية وجفف أعلى حسمه. حين انتهى، أخذ سترته عن الطاولة.

"هل تمانع؟".

نظر كاولي إلى الأعلى. "لا، لا. اهتم بنفسك".

ارتدى تيدي السترة وجلس على الكرسي.

كــتب كاولي المزيد من الكلمات، وخربش بالقلم على الورقة. "كم تأذى الحراس؟".

قال تيدي: "ليس كثيراً".

أوماً كاولي برأسه ووضع قلمه فوق الدفتر، وأمسك بالجهاز اللاسلكي وحاول تشغيله. رفع سماعة الهاتف عن قاعدتها وتحدث عبر الهاتف. "نعم، إنه هنا. دع الدكتور شيهان يلقي نظرة على رجالك قبل أن ترسله إلى الأعلى".

أقفل سماعة الهاتف.

قال تيدي: "الدكتور شيهان الحير".

حرك كاولي حاجبيه صعوداً ونـزولاً.

"دعني أحزر. لقد وصل في المركب هذا الصباح".

هزّ كاولي رأسه. "كان في الجزيرة طوال الوقت".

قال تيدي: "مختبئاً عن الأنظار".

رفع كاولي يديه وهزّ كتفه قليلاً. "إنه طبيب نفسي لامع، شاب، وواعد. كانت هذه خطتنا، هو وأنا".

أحــس تيدي بعقدة في عنقه مباشرة تحت أذنه اليسرى. "وكيف حال الخطة معكما لغاية الآن؟".

رفع كاولي صفحة من دفتره، وألقى نظرة على الصفحة التي تحتها، ثم أفلتها من أصابعه. "ليس تماماً. كانت آمالي أكبر".

نظر إلى تيدي، واستطاع تيدي أن يرى في وجهه ما رآه في السسلالم في صباح اليوم الثاني، وفي لقاء الموظفين مباشرة قبل العاصفة، ولا يستطابق ذلك مع بقية خصائص الرجل، لا يتطابق مع الجزيرة، مع هذه اللعبة الفظيعة التي يلعبونها.

شفقة!

لو لم يكن تيدي يعرف تماماً، لأقسم إنها الشفقة بعينها.

أبعد تيدي نظره عن وجه كاولي، ونظر حوله في الغرفة الصغيرة، إلى تلك الشراشف على الجدران. "إذاً، هذه هي".

قال كاولي: "هذه هي. هذه هي المنارة. السجن العظيم. الحقيقة العظيمة التي كنت تسعى وراءها. إنها كل ما أملت به وأكثر؟".

" لم أشاهد الطابق الأرضى".

"لا يوجد طابق أرضى. إنما منارة".

نظر تيدي إلى دفتره الموضوع على الطاولة بينهما.

قـــال كـــاولي: "دفترك، نعم. وجدناه في سترتك في الغابة قرب منـــزلي. أنت فجرت سيارتي".

هزّ تيدي كتفه. "عذراً".

"أحببت تلك السيارة".

"أحسست بذلك، نعم".

"وقفت في صالة العرض في ربيع العام 47، وأذكر أنني قلت لنفسي حين اخترتما: حسناً، حون، هذه السيارة ممتازة. لن تضطر إلى شراء سيارة أخرى قبل خمسة عشر عاماً على الأقل". تنهد. "لذلك أحببت تلك السيارة".

رفع تيدي يديه. "أعتذر مجدداً".

هــزّ كاولي رأسه. "هل ظننت لثانية واحدة أننا كنا سنسمح لك بالصعود على ذلك المركب؟ حتى لو فحرت الجزيرة بكاملها، ماذا كان سيحصل برأيك؟".

هزّ تيدي كتفه.

قال كاولي: "أنت رجل واحد وكانت المهمة الوحيدة للجميع هذا الصباح إبقاءك بعيداً عن المركب. لا أفهم منطقك هنا".

قال تيدي: "كانت تلك الطريقة الوحيدة للهروب. توجّب عليّ التحربة".

حــــدّق إلـــيه كــــاولي بارتباك ثم تمتم: "الله! كنت أحب تلك السيارة". ونظر إلى حضنه.

قال تيدي: "هل لديك ماء؟".

فكّر كاولي في الطلب للحظة، ثم برم كرسيه للكشف عن إبريق وكوبين على عتبة النافذة وراءه. سكب لكل منهما كوباً وأعطى تيدي كوبه عبر الطاولة.

شرب تيدي الكوب كله في جرعة واحدة طويلة.

قال كاولي: "فم حاف، أليس كذلك؟ استقر في لسانك مثل الحكاك الذي لا يمكن حكه مهما شربت". مرّر الإبريق فوق الطاولة

وراقب تيدي وهو يعيد ملء كوبه. "ارتعاشات في يديك. ستصبح سيئة جداً. كيف حال صداعك؟".

فيما قال ذلك، أحسّ تيدي بقضيب حار من الألم وراء عينه اليسرى امتدّ إلى صدغه ثم انتقل شمالاً إلى فروة رأسه، وجنوباً إلى فكه.

قال: "لا بأس".

"سيصبح أسوأ".

شرب تيدي المزيد من الماء. "أنا أكيد. أخبرتني المرأة الطبيبة بذلك".

تـــراجع كاولي، مع ابتسامة، ونقر بقلمه على دفتره. "ومن هذه الآن؟".

قال تيدي: "لم أعرف اسمها، لكنها كانت تعمل معك".

"أوه. وماذا أخبرتك بالضبط؟".

"أخــبرتني أن المخدرات العصبية تحتاج إلى أربعة أيام لتتراكم إلى مــستويات فعالــة في الدورة الدموية. توقعت الفم الجاف والصداع والارتجاف".

"امرأة ذكية".

"نعم".

"ليس هذا من المخدرات العصبية".

."?Y"

."צ"

"ماذا إذاً؟".

قال كاولي: "من الانقطاع".

"الانقطاع عماذا؟".

ابتـــسامة أخرى ثم أصبحت نظرة كاولي بعيدة، وفتح دفتر تيدي على الصفحة الأخيرة التي كتب عليها، ودفع الدفتر نحوه فوق الطاولة. "هذا خط يدك، صحيح؟".

ألقى تيدي نظرة عليه. "نعم".

"الرمز الأخير؟".

"حسناً، إنه رمز".

"لكنك لم تفككه".

"لم أملك الفرصة. أصبحت الأمور معقدة قليلاً إذا لاحظت ذلك".

"طــبعاً، طــبعاً". نقر كاولي على الصفحة. "هل تريد تفكيكه الآن؟".

نظر تيدي إلى الأرقام والأحرف التسعة:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I)

أحسّ بالقضيب الساخن يثقب الجهة الخلفية لعينه.

"لا أشعر فعلاً أنني في أفضل حالاتي الآن".

قال كاولى: "لكنه بسيط، تسعة أحرف".

"فلنمنح رأسي فرصة للتوقف عن الخفقان".

"جيد".

قال تيدي: "انقطاع عماذا؟ ماذا أعطيتني؟".

طقطق كاولي أصابعه وتراجع إلى الخلف، على كرسيه مع تثاؤب طويل. "كلوربرومازين. يكشف عن تأثيرات جانبية. أخشى أن هناك العديد منها. لست مولعاً كثيراً به. كنت أودّ إعطاءك إيميبرامين قبل التسلسل الأخير للحوادث، لكنني لا أظن أن هذا سيحصل الآن". انحنى

إلى الأمام. "في العادة، لست مولعاً كثيراً بالأدوية، لكن في حالتك، أرى حاجة ماسة إليها".

"إيميبرامين؟".

"يطلق عليه بعض الأشحاص اسم توفرانيل".

ابتسم تيدي. "والكلوربرو...".

"... مازين". أوماً كاولي برأسه. "كلوربرومازين. هذا ما تتاوله الآن. ما تنقطع عنه. الدواء نفسه الذي نعطيك إيّاه منذ عامين".

قال تيدي: "منذ متى؟".

"منذ عامين".

قهقه تيدي. "انظر. أعرف أنكم أقوياء أيها الرجال. لكنك لست مضطراً إلى الإفراط في خيالك".

"لا أتخيل أي شيء".

"أنت تعطيني المحدّر منذ عامين؟".

"أفضِّل كلمة دواء".

"وماذا، هل لديك رجل يعمل في مكتب المارشالات الأميركيين؟ ومهمة الرجل تقضي بإعطائي الدواء كل صباح. أو ربما، انتظر، عمل في كــشك الصحف، حيث أشتري فنجان القهوة وأنا في طريقي إلى العمــل. يكون ذلك أفضل. هكذا، طوال عامين، كان لديك أحد في بوسطن يعطيني المخدرات".

قال كاولي بمدوء: "ليس في بوسطن. هنا".

"هنا؟".

أوماً برأسه. "هنا. أنت موجود هنا منذ عامين. أنت مريض في هذا المستشفى".

استطاع تيدي سماع صوت المدّ يرتفع الآن، بغضب، ليرتطم بقاعدة الجرف. شبك يديه ببعضهما لوقف الارتعاشات وحاول تجاهل الخفقان وراء عينه، الذي أصبح أكثر قوة وكثافة.

قال تيدي: "أنا مارشال أميركي".

قال كاولي: "كنت مارشالاً أميركياً".

قال تيدي: "ما زلت. أنا مارشال فدرالي مع حكومة الولايات المستحدة. تركت بوسطن صباح يوم الاثنين، في الثاني والعشرين من شهر سبتمبر 1954".

قال كاولي: "حقاً؟! أخبرني كيف وصلت إلى المركب؟ هل قدت السيارة؟ أين ركنتها؟".

"أخذت القطار".

"لا يصل القطار إلى ذلك المكان".

"انتقلت إلى باص".

"لماذا لم تقد السيارة بنفسك؟".

"السيارة في كاراج التصليح".

"أوه. ويـوم الأحـد، مـاذا تذكر من يوم الأحد؟ هل تستطيع إخباري بما فعلته؟ هل يمكنك أن تخبرني صراحة عن أي شيء حصل في اليوم الذي سبق استيقاظك في حمام المركب؟".

يــستطيع تيدي فعل ذلك. حسناً، يفترض به أن يستطيع، لكن الألم اللعــين في رأسه يحفر في الجهة الخلفية لعينه، وفي محاري الجيوب الأنفية.

حــسناً، تذكر، أخبره ماذا فعلت يوم الأحد. عدت إلى المنــزل مــن العمــل. ذهبت إلى شقتك في باتونوود. لا، لا. ليس باتونوود. احترقت باتونوود تماماً حين أضرم لايديز النار فيها. لا، لا. أين تعيش؟

يا الله! أستطيع رؤية المكان. حسناً، حسناً. المكان في... المكان في... كاسلمونت. هذا هو. جادة كاسلمونت. قرب الماء.

حسسناً، حسسناً، استرخ. عدت إلى المنزل في كاسلمونت وتناولت العشاء وشربت بعض الحليب وذهبت إلى السرير. صحيح؟ صحيح.

قــال كاولي: "ما رأيك في هذا؟ هل أتيحت لك فرصة النظر إلى هذا؟".

دفع استمارة دخول لايديز فوق الطاولة.

."צ"

"لا؟". صفر. "جئت إلى هنا من أجلها. إذا أعدت هذه الورقة إلى السيناتور هورلي – وهي دليل على مريض سابع وستين نــزعم أنه غير موجود – يمكنك أن تقضى على هذا المكان".

"صحيح".

"نعم، صحيح. ولم تستطع إيجاد الوقت، في الأربع وعشرين ساعة الأخيرة، لإلقاء نظرة عليها؟".

"مرة جديدة، كانت الأمور...".

"معقدة. نعم، أفهم. حسناً، أنظر إليها الآن".

ألقى تىدى نظرة عليها، ورأى اسم لايديز، وعمره، وتاريخ دخوله المستشفى. في قسم التعليقات، قرأ:

"المسريض ذكسي جداً وواهم جداً. معروف بحبه للعنف. مضطرب كثيراً. لا يظهر أي ندم على جريمته، لأن إنكاره كبير بحيث، يقول إنسه لسم تحسصل أي جريمة. ابتكر المريض سلسلة من الروايات الخيالية والمعقدة جداً التي تحول، في هذا الوقت، دون مواجهته لحقيقة أفعاله".

التوقيع في الأسفل يظهر اسم الدكتور شيهان.

قال تيدي: "يبدو هذا صحيحاً تقريباً".

"صحيح تقريباً؟".

أومأ تيدي برأسه.

"بخصوص من؟".

"لايديز".

وقف كاولي. توجه إلى الجدار وأنــزل أحد الشراشف.

ثمة أربعة أسماء مكتوبة هناك بأحرف كبيرة طولها ستة إنشات:

إدوارد دانيالز - آندرو لايديز.

راشايل سولاندو - دولوريس شانال.

انتظر تيدي، لكن، بدا أن كاولي كان ينتظر هو أيضاً، ولم يتفوه أي منهما بكلمة لدقيقة كاملة.

في النهاية، قال تيدي: "لديك وجهة نظر حسبما أظن".

"انظر إلى الأسماء".

"انظر إليها".

"اسمك، اسم المريض السابع والستين، اسم المريض المفقود، واسم و جتك".

"أوه. لست أعمى".

قال كاولى: "هذه قاعدة الأربعة خاصتك".

"كيف ذلك؟". فرك تيدي صدغه بقوة، محاولاً تدليك الألم اك.

"حسناً، أنت عبقري في الرموز. أنت أحبرني".

"أخبرك ماذا؟".

"ما المشترك بين الاسمين إدوارد دانيالز وآندرو لايديز؟".

نظر تيدي إلى اسمه وإلى اسم لايديز للحظة. "يتألف كلاهما من ثلاثة عشر حرفاً في اللاتينية".

قال كاولي: "نعم، صحيح. نعم، صحيح. هل من شيء آخر؟". حدّق تيدي وحدّق. "لا".

"أوه، هــيا". نـــزع كــاولي ثوبه الأبيض ووضعه على متن الكرسي.

حاول تيدي التركيز، وقد تعب أصلاً من هذه اللعبة.

"خذ و قتك".

حدّق تيدي إلى الأحرف إلى أن أصبحت مشوشة أمام عينيه. قال كاولى: "أي شيء؟".

"لا. لا أرى أي شيء. فقط ثلاثة عشر حرفاً في اللاتينية". مرر كاولى إصبعه تحت أحرف الاسمين. "هيا".

> . هزّ تيدي رأسه وشعر بالغثيان. قفزت الأحرف.

> > "رڭز".

"أنا أركز".

قال كاولى: "ما القاسم المشترك أيضاً بين هذه الأحرف؟".

"لا... هناك ثلاثة عشر حرفاً لاتينياً في كل منها. ثلاثة عشر".

"ماذا أيضاً؟".

"لا شيء؟".

قال تيدي: "لا شيء. ماذا تريدني أن أقول؟ لا أستطيع أن أقول لك ما لا أعرفه. لا أستطيع...".

صرخ كاولي: "إنها الأحرف نفسها".

انحــــنى تــــيدي إلى الأمام، وحاول منع الأحرف من الرقص أمام عينيه. "ماذا؟!".

"إلها الأحرف نفسها".

."Y"

"إنها الأحرف نفسها بترتيب مختلف في الاسمين".

قال تيدي محدداً: "لا".

"لا؟". قطّب كاولي جبينه وحرّك يده فوق السطر. "إنها الأحرف نفسها بالسضبط. انظر إليها. إدوارد دانيالز. آندرو لايديز. الأحرف نفسها. أنت موهوب في الرموز، واشتهرت بكونك مفككاً للرموز خلل الحرب، أليس ذلك صحيحاً؟ قل لي إنك لا ترى الأحرف الثلاثة عشر نفسها حين تنظر إلى هذين الاسمين".

"لا!". فـرك تيدي عينيه بكعب يديه، محاولاً جعلهما أكثر صفاء أو طرد الضوء منهما.

"لا، أي أن الاسمين لا يتألفان من الأحرف نفسها، أم لا، أي أنك لا تريدها أن تكون الأحرف نفسها؟".

"لا يمكن أن تكون كذلك".

"بلي. افتح عينيك. انظر إليها".

فتح تيدي عينيه لكنه استمر في هزّ رأسه وتراقصت الأحرف من جانب إلى آخر أمام عينيه.

نقـــر كـــاولي علـــى السطر التالي بكعب يده. "جرب هذه إذاً. دولـــوريس شانال وراشايل سولاندو. الاسمان يتألفان من ثلاثة عشر حرفاً. هلا أخبرتني ما القاسم المشترك بينهما؟".

عرف تيدي ما الذي يراه، لكنه عرف أيضاً أن هذا غير ممكن. "لا؟ ألا تستوعب هذه أيضاً؟".

"لا يمكن".

قــال كاولي: "بلى. الأحرف نفسها مجدداً. الأحرف نفسها في اسمــين مختلفين. لقد حئت إلى هنا من أجل الحقيقة؟ هذه هي حقيقتك آندرو".

قال تيدي: "تيدي".

حدّق إليه كاولي، وامتلأ وجهه محدداً بأكاذيب الشفقة.

قــال كاولي: "اسمك آندرو لايديز. المريض السابع والستون في مستشفى آشكليف. إنه أنت، آندرو".

"هراء!".

صرخ تيدي عالياً وصدحت الصرحة في رأسه.

كــرر كــاولي: "اسمــك آندرو لايديز. حكمت عليك المحكمة بالقدوم إلى هنا، قبل اثنين وعشرين شهراً".

رفع تيدي يده احتجاجاً على ذلك. "هذه حقارة كبيرة منكم". "انظر إلى الدليل. من فضلك، آندرو. أنت...".

"لا تناديي هكذا".

"... جــئت إلى هــنا قبل عامين، لأنك ارتكبت جريمة مروّعة. جريمة لا يستطيع المحتمع أن يغفرها، لكنني أستطيع. انظر إليّ آندرو".

ارتفعت عينا تيدي عن اليد التي مدّها كاولي، وصولاً إلى الذراع والصدر ومن ثم إلى وجه كاولي، وباتت عينا الرجل تعكسان الآن تلك الشفقة الزائفة، تلك اللياقة الكاذبة.

"اسمى إدوارد دانيالز".

"لا". هز كاولي رأسه هزيمة متعبة. "اسمك آندرو لايديز. ارتكبت عملاً فظيعاً، ولا يمكنك مسامحة نفسك، مهما فعلت، ولذلك انتحلت شخصية أخرى. ابتكرت رواية معقدة أنت بطلها، آندرو. أقنعت نفسك أنك لا تزال مارشالاً أميركياً وأنك هنا في قضية. وكشفت عن مؤامرة، ما يعني أن أي شيء نقوله لك على العكس يصبح في خيالك أننا نتآمر ضدك. ويمكننا ربما التغاضي عن ذلك، والسماح لك بالعيش

في عالمك الخيالي. أود ذلك. لو كنت غير مؤذ، لفضلت ذلك حتماً. لكنك عنيف، عنيف حداً. وبسبب تدريبك العسكري، أنت ممتاز في العنف. أنست المريض الأكثر خطورة الموجود لدينا هنا. لا يمكننا احتواؤك. تم تقرير ذلك، انظر إلى".

نظــر تيدي إلى الأعلى، ورأى كاولي يتمدد فوق الطاولة وعيناه تتوسلان.

"تم التقرير أنه إذا لم نعِدُك إلى رشدك - الآن، والآن، الآن - سيتم اتخاذ إجراءات دائمة بحقك لضمان عدم إيذائك لأي كان مجدداً. هل تفهم ما أقوله لك؟".

للحظــة - ولــيس حتى للحظة كاملة، بل لعُشر اللحظة - كاد تيدي يصدقه.

ثم ابتسم تيدي.

"ليس هذا عملاً لطيفاً من قبلك أيها الطبيب. ومن الشرطي السيئ شيهان؟". نظر إلى الخلف نحو الباب. "أتصور أنه مطلوب للعدالة".

قال كاولي: "انظر إليّ. انظر إلى عينيّ".

فعل تيدي ذلك. كانت العينان حمراوين وتسبحان من قلة النوم. وأكثر، ماذا؟ حدق تيدي إلى عيني كاولي، وتمعّن في تلك العينين. ثم استوعب الأمر، لو كان لا يعرفه بصورة أفضل لأقسم إن كاولي يعاني من قلب محطّم.

قــال كاولي: "اسمع. أنا كل ما لديك. أنا كل ما كان لديك. أنا أســتمع إلى أوهامــك مــنذ عامين. أعرف كل تفصيل، كل تجعيد، الرموز، المريض المفقود، العاصفة، المرأة في الكهف، التحارب الشريرة في المنارة. أعرف عن نويس والخيالي السيناتور هورلي. أعرف أنك تحلم

بدولــوريس طوال الوقت، وأن بطنها يرشح وهي مبللة بالماء. أعرف عن الجذوع".

قال تيدي: "أنت حقير".

"وكيف أعرف؟".

نظر تيدي إلى الدليل في أصابعه المرتحفة وقال:

"أتناول طعامكم، وأشرب قهوتكم، وأدخن سجائركم. والأكثر من ذلك، تناولت ثلاث حبات أسبيرين منك صباح اليوم الذي وصلت. ثم قمت بتخديري تلك الليلة. كنت حالساً هناك حين استيقظت. لم أعد كما كنت قبلاً. هنا بدأت كل القصة. تلك الليلة، بعد نوبة صداع الشقيقة. ماذا أعطيتني؟".

تــراجع كاولي إلى الخلف. كشّر كما لو أنه ابتلع حمضاً، ثم نظر خارج النافذة.

همس: "الوقت ينفد مني".

"ماذا؟".

قال بمدوء: "الوقت. تم منحي أربعة أيام. بدأ الوقت ينفد".

"دعني أذهب إذاً. سأعود إلى بوسطن، وأتقدم بشكوى في مكتب المارشالات، ولكن لا تقلق، مع كل أصدقائك الأقوياء، أنا واثق من أن الشكوى لن تصل إلى أي مكان".

قال كاولي: "لا، آندرو. لم يعد لديّ أصدقاء تقريباً. أنا أقاتل في معركة هنا منذ ثمانية أعوام تقريباً، والميزان بات لصالح الطرف الآخر. سأخسس أخسر أموالي. أقسمت أمام لجنة المراقبين أنني سأجري أكبر تجربة عرفها الطب النفسي، وستنقذك. ستعيدك إلى رشدك. لكن ماذا لو كنت مخطئاً؟". اتسعت عيناه ووضع يده على ذقينه، كما لو أنه يحاول إعادة فكه إلى مكانه. أنرزل يده، ونظر عبر

الطاولــة إلى تــيدي. "ألا تفهم، آندرو؟ إذا أخفقت، أخفق أنا. إذا أخفقت أنا، ينتهى كل شيء".

قال تيدي: "أوه، هذا مؤسف جداً".

في الخـــارج، صـــرخت بعض طيور النورس. استطاع تيدي شمّ رائحة الملح والشمس والرمل الرطب.

قال كاولي: "فلنجرب الأمر بطريقة أخرى. هل تظن أنها مصادفة أن تملك راشايل سولاندو - وهي بالمناسبة شخصية وهمية من ابتكار خيالك - الأحرف نفسها الموجودة في اسم زوجتك الميتة، والتاريخ نفسه في قتل أولادها؟".

وقف تيدي وأدى الارتعاش إلى تحرك ذراعيه من الكتفين نزولاً. "لم تقتل زوجتي أولادها. لم ننجب الأولاد أبداً".

"لم تنجبا الأولاد أبداً؟". مشى كاولي نحو الجدار.

"لم ننجب الأولاد أبداً أيها الأحمق الحقير".

"أوه، حسناً". أنــزل كاولي شرشفاً آخر عن الحائط.

على الحائط ثمة رسم بياني لمسرح جريمة، وصور فوتوغرافية المبحيرة، وصور لثلاثة أولاد موتى. وبعدها الأسماء مكتوبة بأحرف كبيرة:

إدوارد لايديز.

دانيال لايديز.

راشايل لايديز.

أخفض تيدي عينيه وحدّق إلى يديه؛ قفزت يداه كما لو ألهما غير متصلتين به. لو استطاع الدوس عليهما، لفعل.

"أولادك، آندرو. هل ستتمكن من الإنكار ألهم عاشوا؟ قل لي؟".

أشـــار إلـــيه تيدي بيده المرتجفة عبر الغرفة. "إنهم أولاد راشايل سولاندو سولاندو. إنه الرسم البياني لمسرح الجريمة في منـــزل راشايل سولاندو قرب البحيرة".

"هـــذا منــــزلك. ذهبت إلى هناك، لأن الأطباء اقترحوه عليك لــزوجتك. هل تذكر؟ بعد أن أضرمت النار خطأ في شقتكم القديمة؟ قالوا لك أن تخرجها من المدينة وتوفر لها مكاناً ريفياً. علّها تتحسن".

"لم تكن مريضة".

"كانت مجنونة، آندرو".

"توقف بربك عن مناداتي هكذا. لم تكن مجنونة".

"كانـــت زوجـــتك مكتئبة سريرياً. تم تشخيصها أنها تعاني من اكتئاب هوسي. كانت...".

قال تيدي: "لم تكن".

"كانت انتحارية. أذت الأولاد. رفضت رؤية ذلك. ظننت ألها ضعيفة. قلت لنفسك إن الرشد هو خيار، وكل ما عليها فعله هو تذكر مسئوولياتما، تجاهك، تجاه الأولاد. شربت الشراب، وأصبح إدمانك على السشرب أسوأ. انعزلت في قوقعتك الخاصة. تجاهلت كل الإشارات. تجاهلت ما قاله لك الأساتذة، وكاهن الرعية، وعائلتها".

" لم تكن زوجتي محنونة!".

"ولماذا؟ لأنك كنت محرجًا".

"لم تكن زوجتي...".

"السبب الوحيد الذي دفعها لرؤية طبيب نفسي هو أنها حاولت الانتحار ذات مرة وانتهت في المستشفى. لم تستطع حتى السيطرة على ذلك. وقالوا لك إنها تشكل خطراً على نفسها. قالوا لك ...".

"لم نذهب أبداً إلى أي طبيب نفسي!".

"... إنما خطر على الأولاد. تم تحذيرك مراراً وتكراراً".

"لم ننجب أبداً الأولاد. تحدثنا عن الأمر، لكنها لم تستطع الحمل".

يا الله. شعر برأسه وكأن أحداً يضرب الزجاج بشوبك.

قال كاولي: "تعالَ إلى هنا. فعلاً. اقترب وانظر إلى الأسماء في صور مسرح الجريمة. ستهتم بمعرفة...".

"يمكنك الكذب في ذلك. يمكنك أن تبتكر أسماءك الخاصة".

"أنت تحلم. أنت تحلم طوال الوقت. لا يمكنك التوقف عن الحلم، آندرو. لقد أخبرتني عنها. هل حلمت مؤخراً بالصبيين والفتاة الصغيرة؟ هـــل أخـــذتك الفتاة الصغيرة إلى قبرك؟ أنت بحار سيئ، آندرو. هل تعرف ما يعنيه ذلك؟ يعني أنك والد سيئ. لم تسبح لإنقاذهم، آندرو. ولم تــنقذهم. تــريد التحدث عن الجذوع؟ هوه! تعال إلى هنا وانظر إليها. قل لى إلهم ليسوا الأولاد في أحلامك".

"هراء".

"انظر إذاً. تعالَ إلى هنا وانظر".

"لقد حدّرتني، وقتلت شريكي، وتقول إنه لم يوجد أصلاً. ستحبسني هنا لأنني أعرف ماذا تفعل. أعرف عن التجارب. أعرف ماذا تعطي لمرضى انفصام الشخصية، واستخدامك الحر للجراحات الفصية، وانتهاكك الواضح لقانون نورمبرغ. أنا أزعجك حضرة الطبيب".

"حقاً؟". اتكا كاولي على الجدار وشبك ذراعيه. "أخبري من فضلك. لقد حلت في كل مكان خلال الأيام الأربعة الماضية. استطعت النفاذ إلى كل زاوية في هذا المرفق. أين الأطباء النازيون؟ أين الأشرار؟".

توجه محدداً نحو الطاولة ونظر إلى ملاحظاته للحظة:

"هــل مــا زلت تصدق أننا نغسل أدمغة المرضى، آندرو؟ نحري بعـض الــتجارب طويلة الأمد - ماذا سميتهم ذات مرة؟ أوه، نعم - لابــتكار جنود أشباح! مجرمين!". قهقه عالياً. "أقصد، علي القول لك آندرو، إنه حتى في أيام الرهاب القوي، تكون أوهامك الخيالية جميلة".

أشـــار تـــيدي إليه بإصبعه المرتجفة. "أنت في مستشفى اختباري وتعتمد وسائل جذرية...".

"نعم، صحيح".

"تستقبلون فقط المرضى الأكثر عنفاً".

"صحيح أيضاً. مع توضيح هام؛ الأكثر عنفاً والأكثر جنوناً".

"وأنت...".

"نحن ماذا؟".

"أنت تجرّب".

"نعم!". صفق كاولي بيديه وانحني بسرعة إلى الأمام. "برافو".

"بطريقة حراحية".

رفع كاولي إصبعاً. "أوه، لا، آسف. نحن لا نجرّب بالجراحة. يتم استخدامها بمثابة حيار أحير، وهذا الخيار الأحير يستخدم دوماً بالرغم من احستجاحاتي العالية. إلا أنني رجل واحد، ولا أستطيع بين ليلة وضحاها تغيير ممارسات مقبولة عمرها عقود من الزمن".

"أنت تكذب".

تسنهد كاولي. "أظهر لي دليلاً واحداً يثبت صحة نظريتك، أظهر دليلاً واحداً فقط".

لم يقل تيدي أي شيء.

"وأمام كل تلك الأدلّة التي قدمتها، رفضتَ أنت الاستجابة".

"هذا لأنه لا يوجد دليل على الإطلاق. إنه مفبرك".

شبك تيدي يديه ببعضهما ورفعهما إلى شفتيه، كما لو أنه يدعو. قــال تيدي: "دعني أخرج من هذه الجزيرة. بصفتي ضابط قانون

فدرالياً، أطلب منك أن تتركني أرحل".

أغلق كانا أكثر وضوحاً وقساوة. "حسناً، حسناً، عليك". وقساوة. "حسناً، حسناً. أيها المارشال. إليك. سأسهّل الأمر عليك".

رفع حقيبة من الجلد الناعم عن الأرض وفتحها ووضع مسدس تيدي على الطاولة.

"هذا مسدسك، صحيح؟".

حدّق تيدي إليه.

"إنها الأحرف الأولى من اسمك محفورة على المقبض. صحيح؟". حدّق تيدي إليه.

"نعم أو لا، أيها المارشال؟ هل هذا مسدسك؟".

استطاع رؤية الانبعاج في ماسورة المسدس يوم ألقى فيليب ستاكس السنار عليه، وأصاب المسدس عوضاً عنه، وانتهى ستاكس بالموت من رصاصته الخاصة. استطاع رؤية الحرفين أ ود محفورين على المقبض، وكانت تلك هدية من المكتب الميداني بعدما انتهى من إطلاق السنار عليه مع بريك في ماين. وهناك، على الجهة التحتية للزناد، كان المعدن مكشوطاً وتالفاً قليلاً حين أوقع المسدس خلال مطاردة بالأقدام في سان لويس في شتاء العام 49.

"هل هذا مسدسك؟".

"نعم".

"خذه أيها المارشال. تأكد من أنه محشو".

نظر تيدي إلى المسدس، ثم نظر إلى كاولي.

"هيا أيها المارشال. حذه".

رفع تيدي المسدس عن الطاولة وأمسكه بيده.

سأل كاولى: "هل هو محشو؟".

"نعم".

"هل أنت أكيد؟".

"أستطيع الإحساس بالوزن".

أومـــأ كاولي برأسه. "إذاً، أطلق النار منه. لأنها الطريقة الوحيدة التي تتيح لك الخروج من هذه الجزيرة".

حاول تيدي تثبيت ذراعه بيده الأخرى، لكن هذه اليد كانت تسرتجف هي أيضاً. استنشق الهواء مرات عدة متتالية، وزفره ببطء، ونظر عبر ماسورة المسدس، والارتعاشات في جسمه، واستطاع رؤية كاولي في الطرف الآخر من المسدس، على مسافة قدمين على الأكثر، لكنه كان يتمايل يميناً ويساراً، كما لو أنهما يقفان على قارب وسط الأمواج.

"لديك خمس ثوان أيها المارشال".

رفع كاولي السماعة عن الجهاز اللاسلكي وأمسك بالمقبض، وراقبه تيدي وهو يضع الهاتف على فمه.

"ثلاث ثوان الآن. اضغط على الزناد وإلا تنهي أيام حياتك على هذه الجزيرة".

استطاع تيدي الإحساس بثقل المسدس. بالرغم من الارتجافات، تبقى لديه فرصة إذا فعلها الآن، إذا قتل كاولي، إذا قتل أيًّا كان ينتظر في الخارج.

قال كاولي: "حضرة آمر السجن، يمكنك إرساله إلى الأعلى".

اتـضحت رؤيـة تيدي، وتضاءلت الارتعاشات لتصبح ذبذبات خفيفة، ونظر إلى ماسورة المسدس، فيما أعاد كاولي الهاتف إلى مكانه.

بدت نظرة فضولية على وجه كاولي، كما لو أنه أدرك الآن فقط امتلاك تيدي القدرة للضغط على الزناد.

ورفع كاولي يده.

قال: "حسناً، حسناً".

وأطلق تيدي النار عليه في وسط صدره.

ثم رفع يديه نصف إنش تقريباً، وأطلق النار على وجه كاولي. الماء.

قطّب كاولي جبينه. ثم طرف بعينيه مرات عدة. أخرج منديلاً من جيبه.

فــتح الباب وراء تيدي، واستدار على كرسيه وصوّب المسدس على رجل يدخل الغرفة.

"لا تطلق". قال تشاك. "نسيت أن أرتدي معطفي الواقي من المطر".

مسح كاولي وجهه بالمنديل وجلس على كرسيه مجدداً، واستدار تشاك حول الطاولة، ووقف قرب كاولي، وبرم تيدي المسدس في راحة يده وحدّق إليه.

نظر عبر الطاولة، فيما جلس تشاك على كرسيه، ولاحظ تيدي أنه يرتدي ثوباً أبيض.

قال تيدي: "ظننتُ أنك ميت".

قال تشاك: "لا".

بات من الصعب فجأة لفظ الكلمات. شعر بالميل إلى التأتأة، تماماً مــ ثلما توقعت المرأة الطبيبة. "أنا... أنا... كنت على وشك الموت لإخراجك من هنا. أنا...". وضع المسدس على الطاولة، وشعر بكــل القــوة تختفي من جسمه. وقع على كرسيه، عاجزاً عن المضي قدماً.

قــال تــشاك: "أنا آسف فعلاً بشأن ذلك. تناقشنا أنا والدكتور كاولي لأسابيع طويلة قبل أن نطبق هذه الخطة. لم أشأ أبداً أن أجعلك تــشعر بالخيانة، أو أسبب لك خوفاً غير مبرر. عليك تصديقي. لكننا كنا واثقين من عدم وجود خيار بديل".

قــال كاولي: "ثمة ساعة تتكتك في هذه القضية. كان هذا جهدنا الأخير لإعادتك إلى رشدك، آندرو. فكرة حذرية، حتى بالنسبة إلى هذا المكان، لكننى أملت في أن تنجح".

مــسح تــيدي العرق، لكنه جعله يتغلغل أكثر فيهما. نظر عبر الضباب إلى تشاك.

قال: "من أنت؟".

مدّ تشاك يده عبر الطاولة. قال: "الدكتور ليستر شيهان".

ترك تيدي اليد معلقة في الهواء، واضطر شيهان في النهاية إلى حما.

"إذاً". قال تيدي وامتص الهواء الرطب عبر منخريه: "تركتني أفكر في طريقة للعثور على شيهان، فيما... أنت شيهان".

أومأ شيهان برأسه.

"ناديستني سيدي. أخبرتني النكات. سلّيتني كثيراً. راقبتني طوال الوقت، هل هذا صحيح، ليستر؟".

نظر إليه عبر الطاولة، وحاول شيهان النظر إلى عينيه، لكنه أخفق وأخفض نظره إلى ربطة عنقه ونقرها على صدره. "توجب علي مراقبتك للتأكد من أنك بأمان".

قال تيدي: "بأمان! هذا يجعل كل شيء حيداً. أخلاقياً".

أنـــزل شـيهان ربطـة عنقه. "نحن نعرف بعضنا منذ عامين، آندرو".

"ليس هذا اسمى".

"منذ عامين. كنت أنا الطبيب النفسي المسؤول عنك. طوال عامين. انظر إليّ. ألا تعرفني؟".

استخدم تيدي ياقة سترته لمسح العرق عن عينيه، وأصبحتا هذه المرة صافيتين، ونظر عبر الطاولة إلى تشاك. تشاك الطيب مع غرابته في استعمال الأسلحة النارية، وتلك اليدان الناعمتان اللتان لا تتطابقان مع وظيفته لأهما ليستا يدي شرطى. إهما يدا طبيب.

قال تيدي: "كنت صديقي. وثقت بك. أخبرتك عن زوجتي. أخرتك عن زوجتي. أخرتك عن والدي. تسلقت جرفاً لعيناً للبحث عنك. هل كنت راقبني حينها؟ هل كنت صديقي، تساك. أوه، أنا آسف. ليستر".

أشعل ليستر سيجارة وسرّ تيدي لرؤية يديه ترتجفان أيضاً. ليس كيثيراً. ليس بقوة يدي تيدي، وتوقفت الارتعاشات ما إن أشعل السيجارة ووضع عود الثقاب في المنفضة. لكن...

قال تيدي لنفسه، أتمنى أن تكون أصبت به أنت أيضاً. أياً يكن.

"نعم". قال شيهان (وتوجب على تيدي تذكير نفسه بعدم اعتباره تشاك). "نعم، لقد كان اختفائي جزءاً من خيالك. لكن كان يفترض بسك رؤية استمارة دخول لايديز على الطريق، وليس في الجرف. أوقعتها خطأ عن قنة الجبل. كنت أسحبها من جيبي الخلفي، وطارت. لحقت بحا، لأنني عرفت أنه إذا لم أفعل، ستفعل أنت. وتحمدت. مباشرة تحت القنة. بعد عشرين دقيقة، ظهرت أمامي. أقصد، كنت على مسافة قدم واحدة. كدت أتمدد وأمسك بك".

نحــنح كـــاولي حنجرته. "كدنا ننهي الخطة حين رأيناك تنـــزل الجرف. كان يجدر بنا فعل ذلك ربما".

"إلهاء الخطة". قمع تيدي ضحكة في قبضة يده.

قـــال كـــاولي: "نعـــم. إنهاء الخطة. كان هذا مهرجاناً، آندرو. كانت...".

"اسمي تيدي".

"... مــسرحية. لقــد كتبــتها. ساعدناك على تنقيحها. لكن المــسرحية لا تــنجح من دون نهاية، والنهاية كانت دوماً وصولك إلى هذه المنارة".

"حيد". قال تيدي ونظر حوله إلى الجدران.

"أنت تخبرنا هذه القصة منذ عامين تقريباً. كيف جئت إلى هنا للعشور على مريض مفقود، وكيف علمت بأمر تجاربنا الجراحية المستوحاة من النازية، وغسل الدماغ المستوحى من السوفيات. كيف قتلت المريضة راشايل سولاندو أولادها تماماً، مثلما قتلت زوجتك أولادكما. كيف أصبحت قريباً من شريكك، ألا تحب الاسم الذي أطلقته عليه؟ تشاك أول. أقصد، يا الله، قله مرتين بسرعة. إلها نكتة أخرى من نكاتك، آندرو. تم أخذ شريكك وبقيت أنت لوحدك، لكننا قبضنا عليك، خدرناك، وتم الحكم عليك قبل أن تتمكن من نقل الرواية إلى السيناتور هورلي الخيالي. هيل تريد أسماء السيناتورات الحاليين في ولاية هامبشاير، آندرو؟ أملكها هنا".

قال تيدي: "لقد تظاهرت بكل ذلك؟".

"نعم".

ضحك تيدي. ضحك بقوة كما لم يفعل منذ أن ماتت دولوريس. ضحك بقوة وسمع دوي الضحكة، وانتقل صداها بينهم، وانضم إلى الصوت الذي لا يزال يصدر من فمه، والتف حوله وتغلغل عبر اجدران، ووصل إلى المحيط.

"كيف تظاهرت بالإعصار؟". قال وضرب على الطاولة. "أخبرني أيها الطبيب".

قال كاولي: "لا يمكنك التظاهر بإعصار".

قال تيدي: "لا. لا يمكنك". وضرب على الطاولة مجدداً.

نظر كاولي إلى يده، ثم إلى عينيه. "لكنك تستطيع توقعه من وقت إلى آخر، آندرو. خصوصاً وأنت على جزيرة".

هــز تيدي رأسه، وشعر بابتسامة مسمّرة على وجهه، بالرغم من مــوت حــرارتها، بالــرغم مــن مظهرها السخيف والضعيف. "لا تستسلمون أبداً أيها الرجال!".

قال كاولي: "كانت العاصفة ضرورية لخيالك. انتظرنا واحدة". قال تيدى: "أكاذيب".

"أكاذيب؟ اشرح أحرف الكلمات. اشرح كيف أن الأولاد في هــــذه الـــصور - وهم أولاد لم تعرف أبداً إذا كانوا يخصون راشايل ســولاندو - هـــم الأولاد أنفسهم في حلمك. اشرح، آندرو، كيف عــرفتُ أن أقول لك حين دخلت عبر هذا الباب: صغيري، لماذا أنت مبلل كلك؟ هل تظن أنني أقرأ الأفكار؟".

قال تيدي: "لا. أظن أنني كنت مبللاً".

للحظة، بدا كاولي وكأن رأسه سيطير عن عنقه. أخذ نفساً طويلاً، وشبك يديه ببعضهما، وانحنى فوق الطاولة. "كان مسدسك مليئاً بالماء. رموزك؟ إنها تتضح، آندرو. أنت تمزح مع نفسك. انظر إلى الرمز المدون على دفترك. آخر رمز، انظر إليه، تسعة أحرف، ثلاثة أسطر، انظر إليه".

نظر تيدي إلى الصفحة:

13(M)-21(U)-25(Y)-18(R)-1(A)-5(E)-8(H)-15(O)-9(I)

قال ليستر شيهان: "الوقت ينفد منا. افهم من فضلك، كل شيء يستغير. الطب النفسي. لقد شهد حربه الخاصة لبعض الوقت، ونحن نخسر".

M-U-Y-R-A-E-H-O-I قال تيدي وهو شارد الذهن: "حقاً؟ ومن نكون نحن؟".

قال كاولي: "الرجال الذين يعتقدون في أن الطريق إلى العقل ليس عــــبر إدخــــال قضبان حليد في الدماغ، أو إعطاء حرعات كبيرة من الأدوية الخطرة، وإنما عبر إدراك صريح للذات".

كرر تيدي: "إدراك صريح للذات. آه، هذا حيد".

"ثلاثة أسطر"، قال كاولى. "ثلاثة أحرف في السطر ربما".

قال شيهان: "أصغ إلىّ. إذا أخفقنا هنا، نخسر. ليس فقط معك. في الوقت الحاضر، ميزان القوة هو في أيدي الجراحين، لكن هذا سيتغير بسرعة. سيسيطر الصيادلة، ولن تصبح الأمور أقل بربرية. سيبدو الأمر هكذا فقط. لكن البربرية نفسها التي تجري الآن ستستمر تحت غطاء مقبول عموماً. هنا، في هذا المكان، يعود الأمر إليك، أنت، آندرو".

"اسمى تيدي. تيدي دانيالز".

ظن تيدي أن السطر الأول هو ربما كلمة you، أي أنت.

"أبقى نايهرينغ على *أو* في اسمك، آندرو".

رفع تيدي نظره عن الصفحة.

أومأ كاولي برأسه. "كان لدينا أربعة أيام لهذه المسألة. إذا أخفقنا، يتم أخذك للجراحة".

"جراحة لماذا؟".

نظر كاولي إلى شيهان. تأمل شيهان سيجارته.

كرر تيدي: "جراحة لماذا؟".

فــتح كــاولي فمه للتحدث، لكن شيهان قاطعه وكان صوته مرهقاً:

"جراحة فصية للدماغ".

طــرفت عينا تيدي، ثم نظر إلى صفحته ووحد الكلمة الثانية: Are. أي هو.

قال: "تماماً مثل نويس. أفترض أنك ستقول لي إنه ليس هنا أيضاً".

قال كاولى: "إنه هنا. ومعظم القصة التي أخبرها حوله للدكتور شيهان صحيحة، آندرو. لكنه لم يعد أبداً إلى بوسطن. لم تلتق به أبداً في سحن. إنه هنا منذ شهر أغسطس عام 50. وصل إلى مرحلة بحيث تم نقله خارج الجناح ج، وتم وضعه في الجناح أ. لكنك اعتديت عليه حينها".

نظر تيدي إلى الأحرف الثلاثة الأحيرة: "أنا ماذا؟".

"لقد اعتديت عليه. قبل أسبوعين. كدت تقتله".

"و لماذا أفعل ذلك؟".

نظر كاولى إلى شيهان.

قال شيهان: "لأنه أسماك لايديز".

"لا، لم يفعل. رأيته البارحة و...".

"ماذا؟".

"لم يسمّني لايديز. هذا مؤكد".

"لا؟". فــتح كــاولي دفتره. "لديّ التسجيل الكامل لحديثكما. أحــضرت الأشــرطة إلى مكتبـــي، لكن فلنكتف الآن بالتسجيل الكتابــي لها. أخبرني إذا كان هذا مألوفاً". عدّل نظاراته، وأحنى رأسه نحــو الصفحة. "أقرأ هنا: هذه حقيقتك أنت. لايديز. هذا كل شيء. كنت أنا مصادفة. كنت عابرًا".

هزّ تيدي رأسه. "لم يقل لي إنني لايديز. أنت قرأت العبارة بنبرة خاطئة. كان يقول إن هذه حقيقتك أنت - أي أنا - ولايديز".

قهقه كاولي. "أنت فعلاً خطير".

ابتسم تيدي. "كنت أقول الشيء نفسه عنك".

نظر كاولي إلى الكلمات. "ما رأيك في ذلك؛ هل تذكر كيف سألت نويس عما حصل لوجهه؟".

"طبعاً. سألته من هو المسؤول".

"كلماتك بالضبط كانت من فعل ذلك؟ صحيح؟".

أومأ تيدي برأسه.

"وأجاب نويس - محدداً أعيد تكرار ما قلته - أنت فعلت ذلك". قال تيدي: "صحيح، لكن...".

تمعــن فـــيه كـــاولي كما لو أنه يتمعن في حشرة تحت الزجاج. "ماذا؟".

"كان يتحدث مثل...".

"أنا أصغى إليك".

واجــه تيدي مشكلة في جعل الكلمات مترابطة ببعضها، والتكلم بصورة منطقية.

"كان يقول" - تحدث ببطء عمداً - "إن إخفاقي في الحؤول دون نقله مجدداً إلى هنا أفضى، بطريقة غير مباشرة، إلى تعرضه للضرب. لم يقل إنني ضربته".

"قال *أنت فعلت ذلك*".

هز تيدي كتفه. "صحيح، لكننا نختلف في تفسير معني ذلك".

برم كاولي الصفحة قائلاً: "ما رأيك في هذا إذاً؟ نويس يتحدث بحدداً؛ لقد عرفوا. ألا تفهم؟ كل ما كنت تخطط له، كل خطتك، إنما لعبة، مسرحية مكتوبة بعناية، كل هذا لك".

تراجع تيدي إلى الخلف. "كل هؤلاء المرضى، كل هؤلاء الأشخاص السذين يفترض أنني عرفتهم طوال عامين، لم يتفوه أي منهما بكلمة أمامى، فيما كنت أؤدي الحفلة التنكرية خلال الأيام الأربعة الماضية؟".

أغلق كاولي الدفتر. "إلهم معتادون على ذلك. أنت تستخدم تلك السبطاقة البلاستيكية منذ عام تقريباً. في البداية، ظننت أنه اختبار حيد، فلنجربه عليك لنرى كيف تتفاعل. لكنك مضيت فيه بطريقة لم أحسب لها أي حساب. هيا. افتح محفظتك. أخبرني إذا كانت البطاقة بلاستيكية، أم لا، آندرو".

"دعنا ننتهي من الرمز".

"انتهــيت مــنه تقريباً. بقيت ثلاثة أحرف. هل تريد المساعدة، آندرو؟".

"تيدي".

هزّ كاولي رأسه. "آندرو. آندرو لايديز".

"تيدي".

راقبه كاولي وهو يرتّب الأحرف في الصفحة.

"ماذا تقول؟".

ضحك تيدي.

"أخبرنا".

هزّ تيدي رأسه.

"لا، من فضلك، تشاركه معنا".

قال تيدي: "أنت فعلت ذلك. أنت تركت تلك الرموز. أنت ابتكرت اسم راشايل سولاندو باستعمال اسم زوجتي. هذا كله من صنعك أنت".

تحدث كاولي ببطء. "ماذا يقول الرمز الأخير".

برم تيدي الدفتر ليتمكن من رؤية الأحرف.

You أنت.

Are هو.

Me أنا.

قال تيدي: "هل أنت راض؟".

وقـف كاولي. بدا مرهقاً. كما لو أنه وصل إلى الحافة الأخيرة. تحدث بنبرة يأس لم يسمعها تيدي منه قبلاً.

"أملانا في أن نتمكن من إنقاذك. وضعنا سمعتنا على المحك. والآن سينتشر الخبر أننا سمحنا لمريض بانتحال شخصية وهمية، وكل ما حصلنا عليه هو بعض الحرّاس المصابين وسيارة محترقة. ليس لديّ مسكلة في الإذلال المهني". حدّق خارج مربع النافذة الصغير. "لقد ضقت ذرعاً ربما بهذا المكان. أو ضاق هو ذرعاً بي. لكن، في يوم ما، أيها المارشال، وليس هذا بعيداً جداً، سنداوي التجربة البشرية مباشرة بالتجربة البشرية. هل تفهم ذلك؟".

لم يعطِه تيدي أي شيء. "ليس تماماً".

"أتوقع ألا تفعل ذلك". أوما كاولي برأسه، وشبك ذراعيه فوق صدره، وساد الصمت في الغرفة لبضع لحظات باستثناء صوت النسيم، وأمواج المحيط. "أنب حندي عظيم مع تدريب ممتاز على القتال اليدوي. منذ وجودك هنا، ألحقت الأذى بثمانية حرّاس، من دون ذكر الحارسين اليوم، وأربعة مرضى، وخمسة ممرضين. دافعنا أنا والدكتور شيهان عنك بأكبر قوة ممكنة ولأطول فترة ممكنة. لكن معظم الموظفين وكل الجسم القضائي يطلبون منا أن نظهر لهم النتائج، وإلا سيتم إعلانك غير مؤهل عقلياً".

ابتعد عن حافة النافذة وانحنى فوق الطاولة ونظر إلى تيدي بعينين حزينتين. "هذه فرصتنا الأحيرة، آندرو. إذا لم تقبل من تكون وماذا فعلت، إذا لم تبذل أي جهد للعودة إلى الرشد، لا يمكننا إنقاذك".

مدّ يده إلى تيدي.

"هــيا". قــال لتيدي وكان صوته خشناً. "من فضلك. آندرو. ساعدني على إنقاذك".

صافح تـــيدي اليد الممدودة إليه. صافحها بقوة. صافح كاولي بقبضة محكمة، وابتسم

قال: "توقف عن مناداتي آندرو".

أخذوه إلى الجناح ج مقيداً في أغلال.

حيين أصبحوا في الداخل، أنزلوه إلى الطابق الأرضي حيث صرخ به الرجال من زنزاناتهم. وعدوا بإيذائه، وعدوا باغتصابه. أقسم أحدهم أن يمزقه إرباً ويأكل لحمه فتاتاً.

فيما بقي مقيداً بالأغلال، وقف حارسان على جانبيه، فيما دخلت ممرضة إلى الزنزانة وحقنت شيئاً ما في ذراعه.

تملك شيعراً وردياً، وفاحت منها رائحة الصابون وشمّ تيدي رائحة نفسها، فيما انحنت فوقه لإعطائه الحقنة، وعرفها.

قال لها: "زعمت أنك راشايل".

قالت: "أمسكا به".

أمسك الحارسان بكتفيه، وجعلا ذراعيه مستقيمتين.

"كنت أنت، مع صبغة في شعرك، أنت راشايل".

قالت: "لا تتحرك". وغرزت الإبرة في ذراعه.

نظر إلى عينيها. "أنت ممثلة ممتازة. أقصد، لقد ضحكت علي فعلاً، كل تلك الكلمات عن عزيزك، المرحوم جيم. مقنعة جداً، واشايل".

أبعدت عينيها عن عينيه.

"أنا إميلي". قالت وأخرجت الإبرة من ذراعه: "حاول النوم الآن". قال تيدى: "من فضلك". توقفت أمام باب الزنــزانة ونظرت إليه.

قال: "كنت أنت".

لم تــأتِ الإيمــاءة من ذقنها. جاءت من عينيها، بخفض خفيف لجفنيها، ثم وجهت إليه ابتسامة ناعمة جداً بحيث أراد تقبيل شعرها.

قالت له: "ليلة سعيدة".

لم يستعر أبداً بالحارسين وهما ينزعان الأغلال عنه، ولم يسمعهما أبداً وهما يغدادران. اختفت الأصوات الصادرة من الزنزانات الأحرى، وأصبح الهواء القريب من وجهه أصفر اللون، وأحس كأنه مستلق على ظهره وسط غيمة رطبة، وتحولت يداه وقدماه إلى إسفنجة. وحلم.

رأى في أحلامه أنه يعيش ودولوريس في منزل قرب البحيرة. الأنهما اضطرا إلى مغادرة المدينة.

لأن المدينة حقيرة وعنيفة.

لأنها أحرقت شقتهما في باتونوود.

حاولت التخلص من الأشباح.

حلم أن حبهما فولاذ، صامد أمام النار أو المطر أو المطارق.

حلم أن دولوريس محنونة.

وقالت له راشايل ذات ليلة حين كان ثملاً، ولكن، ليس ثملاً كثيراً لدرجة أنه لم يستطع أن يقرأ لها قصة قبل النوم: "بابا؟".

قال: "ماذا حبيبتى؟".

"تبدو لي أمي مضحكة أحياناً".

"كيف مضحكة؟".

"مضحكة فقط".

"هل يجعلك ذلك تضحكين؟".

هزّت رأسها.

."?'\"

قالت: "لا".

"حسناً، كيف تبدو لك إذاً؟".

"كما لو أنني أجعلها فعلاً حزينة".

غمرها عندئذ وقبّلها قبلة النوم وداعب عنقها بأنفه وقال لها: "إنها لا تجعل أحداً حزيناً. أبداً. لا يمكن".

في ليلة أخرى، جاء إلى السرير وكانت دولوريس تفرك الندوب في معصميها، وتنظر إليه من السرير قائلة: "حين تذهب إلى المكان الآخر، ثمة جزء منك لا يعود".

"أي مكان آخر، حبيبتي؟". وضع ساعته على منضدة النوم.

"وذلك الجزء منك الذي يعود؟". قضمت شفتها وبدت كألها على وشك ضرب وجهها بكلا معصميها. "لا يفترض به".

ظـنّت أن اللحام في الزاوية جاسوس. قالت إنه ابتسم لها، فيما سال الدم من ساطوره، وكانت واثقة من أنه يعرف الروسية. قالت إلها تشعر أحياناً بذلك الساطور في ثدييها.

قال له تدي الصغير ذات مرة، فيما كانا في فنواي بارك، يشاهدان مباراة في الكرة: "يمكننا العيش هنا".

"نحن نعيش هنا!".

"أقصد في الملعب".

"وما المشكلة في المكان الذي نعيش فيه؟".

"هاك الكثير من الماء". شرب تيدي القليل من قنينته. نظر إلى الباه. كان ولداً طويلاً وقوياً، لكنه يبكي بسرعة بالنسبة إلى ولد في عمره ويجفل بسهولة. هكذا يكبر الأولاد هذه الأيام، في دلال مفرط ضمن اقتصاد مزدهر. تمنى تيدي لو أن أمه لا تزال حية لتتمكن من تعليم أحفادها كيف يصمدون أمام المصاعب بقوة. لا يهتم العالم أبداً. لا يكترث أبداً.

يمكن أن تأتي هذه الدروس طبعاً من رجل، لكن المرأة هي التي تستطيع غرزها بصورة دائمة.

إلا أن دولسوريس مائت رؤوسهم بالأحلام، والأوهام، والأوهام، واصطحبتهم كثيراً لمشاهدة الأفلام والسيرك والاحتفالات.

شـــرب تيدي مرة جديدة من قنينته وقال لابنه: "الكثير من الماء. هل من شيء آخر؟".

"لا، سيدي".

قال لها: "ما المشكلة؟ ما الذي لا أفعله؟ كيف أستطيع جعلك سعيدة؟".

قالت له: "أنا سعيدة".

"لا، لست سعيدة. قولي لي ما أحتاج إلى فعله. سأفعله".

"أنا بخير".

"تغضبين حداً. وإذا لم تكوني غاضبة، تكونين سعيدة حداً، فتقفزين على الجدران".

"ماذا تعنى؟".

"هذا يخيف الأولاد، يخيفني. لست على ما يرام".

"بلي".

"أنت حزينة طوال الوقت". قالت: "لا. هذا أنت".

تحدث إلى الكاهن وقام الكاهن بزيارة لهما. تحدث إلى أخواتها، وجاءت الأخت الكبيرة، دليلة، من فرجينيا لقضاء أسبوع معها ذات مرة، وبدا أن ذلك ساعد قليلاً لبعض الوقت.

تحــنب كلاهما أي ذكر للأطباء. الأطباء هم للأشخاص المجانين. دولوريس غير مجنونة. إنما فقط متوترة.

متوترة وحزينة.

حلم تمدي أنها أيقظته ذات ليلة وطلبت منه إحضار مسدسه. قالت إن اللحام في منزلهم. في المطبخ في الطابق السفلي. يتحدث عبر الهاتف مع الروسية.

تلك الليلة على الرصيف أمام الكوكونات غروف، منحنياً صوب سيارة الأحرة، ووجهه بعيد إنشات قليلة عن وجهها...

نظر إليها وقال لنفسه:

أعرفك. لقد عرفتك طوال حياتي. كنت في انتظارك. في انتظارك كي تظهري. في انتظارك طوال هذه السنوات.

عرفتك في الرحم.

الأمر هذه البساطة.

لم يشعر بتوق كبير إلى الحميمية معها قبل أن يسافر، لأنه عرف، في تلك اللحظة، أنه سيعود من الحرب. سيعود لأن النجوم لم تجعل متحاذية، بحيث يستطيع اللقاء بالنصف الآخر من روحه.

انحنى صوب السيارة وقال لها ذلك. وقال: "لا تقلقي. سأعود إلى المنــزل". لمست وجهه بإصبعها. "ستفعل ذلك، صحيح؟".

حلم أنه عاد إلى المنزل قرب البحيرة.

كان في أوكلاهوما. أمضى أسبوعين وهو يطارد رجلاً من أرصفة جنوب بوسطن إلى تولسا مع عشر محطات توقف تقريباً، وكان تيدي دوماً على مسافة نصف خطوة وراءه إلى أن ارتطم فعلياً بالرجل، فيما كان خارجاً من حمام الرجال في محطة للوقود.

دخل المنزل في الحادية عشرة ظهراً، وهو يشعر بالامتنان لأنه يوم من أيام الأسبوع المدرسية، والصبيان في المدرسة، واستطاع الإحساس بالطريق في عظامه مع رغبة قوية في النوم على وسادته. دخل المنزل ونادى دولوريس، فيما سكب لنفسه كأساً من الشراب الاسكتلندي مزدوجة ودخلت هي من الفناء الخلفي وقالت: "لم يكن ذلك كافياً".

استدار مع كأس المشروب في يده وقال: "ما هو حبيبتي؟". ولاحظ أنها مبللة، كما لو أنها خارجة للتو من تحت الدوش، لكنها كانت ترتدي فستاناً أسود قديماً مع نقوش أزهار باهتة. كانت حافية القدمين، وتساقط الماء من شعرها ومن فستانها.

قال: "صغيرتي، لماذا أنت مبللة هكذا؟".

قالـــت: "لم يكن ذلك كافياً". ووضعت القنينة على الرف. "ما زلت مستيقظة".

وعادت للخروج محدداً.

رآها تيدي تمشي نحو المرج، بخطى طويلة ومتمايلة. وضع كأسه علم علم السرف وحمل القنينة ولاحظ أنها قنينة الأفيون التي وصفها لها

الطبيب بعد إقامتها في المستشفى. إذا توجب على تيدي الذهاب في رحلة، كان يقسم لها عدد الملاعق التي تحتاج إليها في غيابه، ويضيفها إلى قنينة صغيرة في خزانة أدويتها. ثم يأخذ هذه القنينة ويخبئها في العلية.

ثمة جرعات لستة أشهر في هذه القنينة وقد شربتها كلها.

رآها تتعثر على السلالم، وتسقط على ركبتيها، ثم تنهض مجدداً.

لكن، كيف نجحت في الوصول إلى القنينة؟ لم تكن هذه خزانة عادية في العلية. لا يستطيع رجل قوي يحمل قطاعات كبيرة أن يخلع ذلك القفل. لا تستطيع فتحها، ويملك تيدي المفتاح الوحيد.

راقبها تجلس في الأرجوحة وسط المرج، ونظر إلى القنينة. تذكرها واقفة هنا ليلة غادر، وهو يضيف الملاعق إلى القنينة الخاصة بخزانة الأدوية، تاركاً القليل من الشراب لنفسه، ناظراً إلى البحيرة واضعاً القنينة الصغيرة في خرانة الأدوية، صاعداً إلى الأعلى لوداع الأولاد، نازلاً إلى الأسفل، في خرانة الماتف، وتلقى الاتصال من المكتب الميداني، فأمسك بمعطفه وكيس نومه وقبّل دولوريس عند الباب وتوجه إلى سيارته...

... وترك القنينة الكبيرة على رف المطبخ.

خرج عبر الباب الشبكي واجتاز المرج وصعد السلالم وراقبته، فيما هو آت، وهي مبللة كثيراً، مع ساق متدلية من الأرجوحة، فيما حركت هذه الأخيرة جيئة وذهاباً بكسل.

قال: "حبيبتي، متى شربت كل ذلك؟".

"هـــذا الـــصباح". مـــدّت له لسانها ثم وجهت له ابتسامة حالمة ونظرت إلى الأعلى، إلى السقف المقوّس. "لكنه ليس كافياً. لم أستطع النوم. أريد فقط النوم. أنا متعبة كثيراً".

رأى الجذوع تطفو على سطح البحيرة وراءها، وعرف أنها ليست جذوعاً، لكنه نظر بعيداً، نظر مجدداً إلى زوجته.

"لماذا أنت متعبة كثيراً?".

هــزّت كــتفها، وأسدلت يديها قرب حانبيها. "متعبة من كل ذلك. متعبة جداً. أريد فقط العودة إلى المنــزل".

"أنت في المنسزل".

أشارت إلى السقف. قالت: "المنزل - المنزل".

نظر تيدي إلى تلك الجذوع مجدداً، وهي تبرم برفق في الماء.

"أين راشايل؟".

"في المدرسة".

"إلها صغيرة جداً للمدرسة حبيبتي!".

"ليست صغيرة للذهاب إلى مدرسيّي"، قالت زوجته وأظهرت له أسناها.

وصرخ تيدي. صرخ بصوت عال جداً بحيث وقعت دولوريس عين الجهة الخلفية من الأرجوحة، وقفز فوقها، وقفز فوقً السياج في الجهة الخلفية من المرج، وركض وهو يصرخ لا، يصرخ يا الله، يصرخ أرجوك، يصرخ ليس أطفالي، يصرخ يا الله، يصرخ أوه أوه أوه!

وغاص في الماء. تعثر وسقط إلى الأمام على وجهه وغاص تحت الماء الذي غمره مثل الزيت، وسبح إلى الأمام والأمام وصعد وسطهم. الجذوع الثلاثة. أطفاله.

كان وجه إدوارد ودانيال إلى الأسفل، لكن راشايل كانت على ظهرها، مع عينين مفتوحتين تنظران إلى السماء، وقد انطبع يأس أمها في بؤبؤيها، فبحثت نظرتما في الغيوم.

حملهم الواحد تلو الآخر ووضعهم على الشاطئ. كان رقيقاً معهم. أمــسكهم بقــوة وإنما برفق. أحس بعظامهم، داعب وجناهم، داعب أكتافهم وأقفاصهم الصدرية وسيقالهم وأقدامهم. قبلهم مرات عدة.

ركع على ركبتيه وتقيأ إلى أن احترق صدره وتمزقت معدته.

عــاد وشــبك أذرعتهم فوق صدورهم، ولاحظ وجود حروق حــبال على معاصم دانيال وراشايل، وعرف أن إدوارد كان أول من مــات. لقـــد انتظــر الاثنان الآخران، وسمعا ذلك، وعرفا أنما ستعود اليهما.

قسبّل مجدداً كل واحد من أولاده على الوجنتين والجبين ثم أغلق عيني راشايل.

هـــل قاوموا بين ذراعيها حين حملتهم إلى الماء؟ هل صرخوا؟ أو ماتوا بصمت متألمين ومستسلمين؟

رأى زوجته في فستانها البنفسجي ليلة التقى بها ورأى النظرة على وجهها، في اللحظة الأولى التي رآها فيها، تلك النظرة التي أغرم بها. فكّر في أن السبب هو الفستان فقط، وارتباكها لارتداء مثل هذا الفستان الراقي في ناد راق. لكن، لم يكن هذا هو السبب؛ كان رعباً، بالكاد مقموعاً ولطالما كان موجوداً. إنه الرعب من الخارج؛ من القطارات، من القينابل، من السيارات والآلات الثاقبة، والجادات الداكنة، والروسيين، والغواصات، والحانات المليئة بالرجال الغاضبين، والمحيطات المليئة بالرجال الغاضبين، والمحيطات المليئة بالقروش، والآسيويين الذي يحملون كتباً حمراء في يد، وبنادق في اليد الأخرى.

كانت خائفة من كل ذلك وأكثر، لكنها كانت مرعوبة خصوصاً، مما هو داخلها، حشرة من الذكاء غير الطبيعي عاشت في دماغها طوال حياتها، تتلاعب به، تنقر فيه، تفكك الروابط داخله.

تــرك تيدي أولاده وجلس على أرض المرج لوقت طويل، يراقبها وهــي تتمايل، والأسوأ من كل ذلك كان مقدار الحب الذي يكنّه لها. لو يستطيع التضحية بعقله لإعادة عقلها، لفعل ذلك. بيع أطرافه؟ حيد.

لقد كانت كل الحب الذي عرفه منذ زمن طويل. لقد كانت ما جعله يصمد في الحرب، في هذا العالم المربع. لقد أحبها أكثر من كل حياته، أكثر من روحه.

لكنه حسرها، حسر أولاده، حسر الحياة التي أسساها معاً، لأنه رفض رؤية دولوريس، رؤيتها فعلاً، رؤية أن جنونها ليس غلطتها، ليس شيئاً تستطيع التحكم به، ليس دليلاً على ضعف معنوي أو على فقدان للثبات.

رفض رؤية ذلك، لأنها لو كانت فعلاً حبه الحقيقي، ذاته الأخرى السرمدية، ماذا يقول ذلك عن دماغه، عن رشده، عن ضعفه الأخلاقي؟

هكذا، اختـبأ مـن الحقيقة، اختبأ منها. تركها لوحدها، حبه الوحيد، وترك عقلها يستنفد نفسه.

راقبها تتمايل. أوه، الله، كم يحبها!

يحبها – وجعله ذلك يشعر بالكثير من الخجل – أكثر من ابنيه.

لكن أكثر من راشايل؟

ر. عا لا. ر. عا لا.

رأى راشايل في ذراعي أمها، فيما حملتها أمها إلى الماء. رأى عيني ابنته تتسعان، فيما نـزلت في البحيرة.

نظر إلى زوجته، ولا يزال يرى ابنته، وقال لنفسه: أنت ساقطة، مجنونة وحشية!

جلسس تيدي على أرض المرج وبكى. لا يعرف لكم من الوقت. بكى ورأى دولوريس على الشرفة، فيما أحضر لها الأزهار، ودولوريس تنظر إلى الخلف نحوه، فوق كتفها خلال شهر العسل، ودولوريس في فسستانها البنفسسجي وهسي حامل بإدوارد وتنزع أحد أهداها عن

وجنته، فيما تبتعد عنه بعدما قبّلته والتفت بين ذراعيه، وقرصته في يده وضحكت، وابتسمت ابتساماتها الخاصة بصباح الأحد، وحدّقت إليه، فيما تحطم باقي وجهها حول تلك العينين الكبيرتين وبدت خائفة جداً ووحيدة جداً، دوماً، دوماً، مع جزء منها وحيد جداً...

وقف وارتجفت ركبتاه.

حلس قرب زوجته وقالت: "أنت رجلي الطيب".

قال: "لا، لست كذلك".

"بليى". أمسكت بيده. "أنت تحبني. أعرف ذلك. أعرف أنك لست مثالياً".

ماذا فكّر دانيال وراشايل حين وجدا أمهما تربط الحبل حول معصميهما؟ حين نظرا إلى عينيها؟

"أوه، يا الله!".

"أعرف. لكنك لي. وتحاول".

قال لها: "أوه صغيرتي. أرجوك لا تقولي المزيد".

وإدوارد. لا شــك في أن إدوارد ركض. توجب عليها مطاردته في المنــزل.

إنها مشرقة الآن، سعيدة. قالت: "فلنضعهم في المطبخ".

"ماذا؟".

استلقت فوقه، وداعبته، وعانقته بجسمها الرطب. "فلنضعهم على الطاولة، آندرو". قبّلت جفنيه.

أمسكها بالقرب منه، ثم بكى عند كتفها.

قالت: "سيكونون الدمي الأحياء. سنجففهم".

"ماذا؟". اختنق صوته في كتفها.

"سنبدل ملابسهم". همست في أذنه.

لم يــستطع رؤيتها في صندوق، صندوق من المطاط الأبيض مع نافذة صغيرة في الباب.

"سنجعلهم ينامون في سريرنا الليلة".

"من فضلك توقفي عن الكلام".

"هذه الليلة فقط".

"أرجوك".

"ثم نأخذهم غداً في نزهة في الطبيعة".

"إذا أحببتني يوماً...". استطاع رؤيتهم مستلقين على الشاطئ. "لطالما أحستك صغيري".

قال تيدي: "إذا أحببتني يوماً، أرجوك توقفي عن الكلام".

وضعت دولوريس يدها على مسدسه.

شبك يده فوق يدها.

قالت: "أريدك أن تحبنى. أريدك أن تحررنى".

مـــدّت يدها إلى مسدسه لكنه أبعد يدها. نظر إلى عينيها. كانتا ساطعتين حداً لدرجة الألم. ليستا عيني كائن بشري، كلب ربما، ذئب ربما.

بعد الحرب، بعد داتشاو، أقسم ألا يقتل مجدداً، إلا إذا لم يعد لديه خيار آخر. إلا إذا كان سلاح الرجل الآخر موجهاً صوبه. فقط حينها. لا يستطيع تحمل المزيد من الموت. لا يستطيع.

أمسكت بمسدسه وأصبحت عيناها أكثر إشراقاً، وأبعد يدها مجدداً.

نظـر إلى الشاطئ ورآهم مصطفين قرب بعضهم بعضاً، الكتف قرب الكتف. أخرج مسدسه من قرابه. أراها إياه.

قــضمت شفتها، وبكت، وأومأت برأسها. نظرت إلى السقف وقالت: "سنــزعم أنهم معنا. سنحممهم، آندرو".

وضع المسدس في بطنها وارتجفت يده وارتعشت شفتاه وقال: "أحبك دولوريس".

وبالرغم من ذلك، مع وجود مسدسه على جسمها، لم يكن واثقاً من أنه يستطيع فعل ذلك.

نظــرت إلى الأسفل، كما لو ألها متفاجئة من ألها لا تزال هناك، من أنه لا يزال تحتها. "أنا أحبك أيضاً. أحبك كثيراً. أحبك مثل...".

وضغط على الزناد. خرج صوته عبر عينيها وخرج الهواء من فمها، ووضعت يدها فوق الفجوة ونظرت إليه، فيما أمسكت يدها الأخرى بشعره.

وفيما خرج الطلق الناري منها، شدّها بالقرب منه وأصبحت لينة على جسمه، وأمسك بها وأمسك بها وبكى حبه المريع في فستانها القديم.

جلــس في الظلمة وشمّ رائحة دخان السجائر قبل أن يرى النار وتتقد النار، فيما مجّ شيهان سيجارته وراقبه.

حلــس علـــى السرير وبكى. لم يستطع التوقف عن البكاء. قال اسمها. قال:

"راشايل، راشايل، راشايل".

ورأى عينيها تراقبان الغيوم وشعرها يطفو حولها.

حين توقفت النوبات، حين جفت الدموع، قال شيهان: "راشايل من؟".

قال: "راشايل لايديز".

"ومن أنت؟".

قال: "آندرو. اسمي آندرو لايديز".

أشعل شيهان ضوءً صغيراً وظهر كاولي وحارس آخر في الجهة الأخرى من القضبان. كان الحارس يدير ظهره لهما، لكن كاولي حدّق إليه ووضع يديه على القضبان.

"لماذا أنت هنا؟".

أخذ المنديل الذي أعطاه إيّاه شيهان ومسح وجهه.

كرر كاولي: "لماذا أنت هنا؟".

"لأنني قتلت زوجتي".

"ولماذا فعلت ذلك؟".

"لأنما قتلت أولادنا واحتاجت إلى السلام".

قال شيهان: "هل أنت مارشال أميركي؟".

"لا، كنت قبلاً. لم أعد الآن".

"كم مضي على وجودك هنا؟".

"منذ الثالث من مايو 1952".

"من راشايل لايديز؟".

"ابنتي. كانت في الرابعة".

"من راشايل سولاندو؟".

"غير موجودة. أنا ابتكرتما".

قال كاولي: "لماذا؟".

هزّ تيدي رأسه. كرر كاولى. "لماذا؟".

"لا أعرف، لا أعرف...".

"بلي، تعرف آندرو. قل لي لماذا".

"لا أستطيع".

"بلي، تستطيع".

أمــسك تــيدي برأســه وهزه في مكانه. "لا تجعلني أقولها. من فضلك دكتور!".

أمسك كاولي بالقضبان. "أحتاج إلى سماع ذلك، آندرو".

نظر إليه عبر القضبان، وأراد التقدم إلى الأمام وقضم أنفه.

"لأن". قــال وتوقف. نحنح حنجرته وبصق على الأرض: "لأنني لم أستطع تحمل أن أعرف أنني سمحت لزوجتي أن تقتل أطفالي. تجاهلت كل الإشارات. حاولت التغاضي عن الأمر. قتلتهم لأنني لم أوفر لها المساعدة".
"و؟".

"لأنني أعرف أن هذا كثير. لا أستطيع تحمل ذلك".

"لكن عليك ذلك. أنت تدرك هذا".

أومأ برأسه. سحب ركبتيه إلى صدره.

نظر شيهان إلى الخلف نحو كاولي. حدّق كاولي إليهما عبر القضبان، أشعل سيجارة، راقب تيدي بهدوء.

"هذا هو خوفي، آندرو. لقد وصلنا إلى هذه المرحلة قبلاً. وصلنا إلى الاستراحة نفسها، قبل تسعة أشهر. ثم تراجعت. بسرعة".

"أنا آسف".

قــال كاولي: "أقدّر ذلك. لكنني لا أستطيع استخدامه بمثابة عذر في الــوقت الحاضر. أحتاج لأن أعرف أنك قبلت بالحقيقة. لا يستطيع أي منا تحمل انتكاسة أخرى".

نظر تيدي إلى كاولي، إلى ذلك الرجل النحيل جداً مع هالات كبيرة تحت عينيه. هذا الرجل الذي جاء لإنقاذه. هذا الرجل الذي قد يكون الصديق الوحيد الذي حظى به.

تذكر صوت مسدسه عندما نظر إلى عينيها وشعر بالمعاصم السرطبة لابنيه، فيما وضعهما على صدريهما، ورأى شعر ابنته، فيما أبعده عن وجهها بسبابته.

قال: "لن أنتكس. اسمي آندرو لايديز. قتلت زوجتي، دولوريس، في ربيع العام 52...". كانت الشمس في الغرفة حين استيقظ.

جلسس ونظر نحو القضبان، لكن القضبان لم تكن موجودة. فقط نافذة، منخفضة أكثر مما هو مفترض، إلى أن أدرك أنه على السرير العلوي في الغرفة التي تشاركها مع تراي وبيبسي.

كانت فارغة. قفز عن السرير وفتح الخزانة ورأى ملابسه هناك، آتية حديثاً من المصبغة، وارتداها. توجه إلى النافذة ووضع قدماً على حافتها لربط حذائه، ونظر إلى حارج المجمع، ورأى مرضى وممرضين وحراساً بعدد متساو، بعضهم يمشي أمام المستشفى، فيما يتابع بعضهم الآخر عمليات التنظيف، وبعضهم يشذب ما بقي من شجيرات الورد قرب القاعدة.

تأمــل يديه، فيما ربط الحذاء الثاني. إنهما ثابتتان. أصبحت رؤيته واضحة مثلما كانت عندما كان ولداً، وكذلك هي الحال بالنسبة إلى رأسه.

غادر الغرفة ونــزل السلالم وخرج من المجمّع ومرّ أمام الممرضة مارينو، التي وجهت إليه ابتسامة وقالت: "صباح...".

قال لها: "جميل جداً".

"رائع. أظن أن العاصفة ودّعت فصل الصيف".

اتكاً على الدرابزين ونظر إلى السماء التي كان لونها مثل لون العينين الزرقاوين لطفل بريء، واستطاع شم النضارة في الهواء الذي يفتقده منذ شهر يونيو.

"استمتع بيومك". قالت الممرضة مارينو وراقبها وهي تمشي في الممر، وأحس أنَّ استمتاعه بتمايل وركيها هو دليل صحة ربما.

دخـــل الجحــع ومرّ أمام بعض الحرّاس الذين هم في يوم إجازتهم يرمون الكرة لبعضهم بعضاً ولوّحوا له وقالوا: "صباح الخير". فلوّح لهم وقال: "صباح الخير".

سمع صوت المركب يصدح، فيما يقترب من الرصيف ورأى كاولي وآمر السحن يتحدثان وسط المرج أمام المستشفى وأومأا له برأسيهما فأومأ لهما برأسه.

جلــس عــند زاویــة درج المستشفی ونظر إلى كل ذلك وشعر بارتياح لم يشعر به منذ زمن طويل.

"خذ".

"كيف حالنا هذا الصباح؟".

"حيد. وأنت؟". امتص الدخان عبر رئتيه.

"لا أستطيع التذمر".

لاحظ أن كاولي وآمر السحن يراقبالهما.

"هل عرفت يوماً، ما ذلك الكتاب الذي يحمله آمر السجن؟".

"لا. قد أذهب إلى القبر من دون أن أعرف".

"هذا عار حقيقي".

"ربما هناك بعض الأمور التي لا يجدر بنا معرفتها على هذه الأرض. انظر إلى الأمر بهذه الطريقة".

"منظور مثير".

"حسناً، سأجرب".

مـــج السيجارة مرة جديدة، ولاحظ كم أن مذاق التبغ لذيذ! إنه أغنى ويلتصق بكعب حنجرته.

قال: "ما خطوتنا التالية؟".

"أنت قل لي سيدي".

ابتــسم لتــشاك. كانــا يجلسان هما الاثنان تحت ضوء الصباح، مرتاحين، ويتصرفان كما لو أن كل شيء جيد في العالم.

قــال تيدي: "علينا العثور على طريقة للابتعاد عن هذه الجزيرة. العودة إلى منازلنا".

أومأ تشاك برأسه. "تصورت أنك ستقول شيئاً كهذا".

"هل تملك أي أفكار؟".

قال تشاك: "أعطني دقيقة".

أوماً تيدي برأسه واتكأ على السلالم. لديه دقيقة. أو ربما دقائق قليلة. راقب تشاك وهو يرفع يده ويهز رأسه، في الوقت نفسه، ورأى كاولي يومئ له ثم يقول كاولي شيئاً ما لآمر السجن، ويعبران المرج نحو تيدي مع أربعة حراس وراءهم، فيما أحد الحراس يمسك بحزمة بيضاء، من نوع القماش، وظن تيدي أنه لمح بعض المعدن عليها، فيما فتحها الحارس ولمع المعدن تحت أشعة الشمس.

قال تيدي: "لا أعرف، تشاك. هل تظن أهم آتون إلينا؟".

"لا". أرجع تشاك رأسه إلى الخلف، وطرفت عيناه قليلاً تحت أشعة الشمس وابتسم لتيدي. "نحن أذكى من ذلك".

قال تيدي: "نعم. أليس كذلك؟".



جزيرة منعزلة... مستشقى للأمراض العصبية... مجرمة فارة... شيفرة سرية... إعصار مدمر... إشاعات حول تجارب طبية مشبوهة

ينسبج الكاتب خيوطاً عدة ليصنع منها عقدة روائية لا تخطر بيال، عبر تهيئة مسرحية آسرة وشخصيات متطورة التركيب وحوار يتملك القارئ بمرحه وأحزانه وغموضه يوجّه تفكيره وخياله نحو متاهات وسراديب هيتشكوكية تُصعّد تشويقه مع كل صفحة.

مرفق عسكرى سابق في «جزيرة شاتر» المغلقة تم تحويله إلى مصح للأمراض العقلية تهرب منه مجرمة مريضة حسناء. يتم استدعاء رجلي شرطة للتحقيق في ملابسات عملية الهرب ليكتشفا سريعاً بأن الموضوع هو أكثر تعقيداً من مجرد العثور على امرأة مفقودة. ورغم أن الشرطيين لآزالا جديدين في العمل معاً كشريكين، ولكنهما يطورا علاقة تشوبها المرارة والسخرية أثناء تبادل تفاصيل هموم حياتهما الشخصية. ولكن وبعد مراجعتهما سجلات المرضى الطبية يصلا إلى حائط مسدود بفضل مدير

DENNIS LEHANE

المصح الغير متعاون. وفجأة يختفي أحد رجلي الشرطة في ظروف غامضة خلال هبوب عاصفة بحرية هوجاء، فتتملك شريكه هواجس عدة ليس أقلها الخطر على حياته.

من هنا تنطلق العقد الروائية واحدة إثر أخرى في إطار من التشويق النفسي الأخاذ لتترك القارئ في طوفان من الإثارة المستمرة حتى النهاية يبدو فيها العنف الإجرامي باهتاً أمام رعب مؤامرات العقل البشري.



ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان الدار العربية للعلوم ناشرون مَأَتَفُ 961-1،785 (+961-1) .Arab Scientific Publishers, Inc فاكس: 786230 (1-961-1) www.asp.com.lb - www.aspbooks.com البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb